بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

التناص الديني عند أبي العتاهية

Abu Al Atahya,s Poetry Religious Intertextuality

إعداد الطالب:

حسن علي بشير بهار

رقم جامعي:

١٢٠١١٠٦٤١

إشراف:

د. محمد مصطفى كلاب

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالًا لمُتطلبَاتِ الحصولِ على درجةِ الماجستيرِ في الأدب العربي من كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

٢٠١٣-٢٠١٤م

يقول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه-:

"لولا أنَّ الكلام يعاد لنفد"[١]

---

[١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ج١، ص٩١.

ملخص الرسالة باللغة العربية

تناول البحث ظاهرة التناص الديني في شعر أبي العتاهية، وتظهر أهمية البحث في أنها تظهر تعدد التناصات الدينية لدى أبو العتاهية، حيث إنه استقى العديد من أفكاره ومعانيه من النصوص الدينية لتكون بجانب لغته أسلوباً يجذب المتلقي، ويحجز للشاعر مكاناً في قلب المتلقي.

وقد اشتمل البحث على تمهيد، وأربعة فصول، تناول الباحث في التمهيد وبشكل موجز حياة الشاعر، وفي الفصل الأول تناول مفهوم التناص لغة، واصطلاحاً؛ عند النقاد العرب القدماء والمحدثين، وعند نقاد الغرب.

وأما الفصل الثاني فقد تناول فيه الباحث مصادر التناص الديني في شعر أبي العتاهية والمتمثلة في (القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والسنة النبوية، والسيرة النبوية) مع بعض التفصيل في الموضوعات الفرعية تحت هذه الأنواع، وفي الفصل الثالث تناول الباحث آليات التناص التي استخدمها أبو العتاهية في شعره والمتمثلة في التناص (الاجتراري، والامتصاصي، والحواري)، وفي الفصل الرابع تناول الباحث مستويات التناص في شعر أبي العتاهية بشكليه الإفرادي والتركيبي.

وأثبت الباحث في نهاية الدراسة خاتمة بَيَّن فيها خلاصة البحث واستنتاجاته، وأهم التوصيات.

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

Abstract

The research tackled religious intertextuality in Abu Al Atahiya poems, the significance of this research can be recognized through a variety of religious intertextualities demonstrated by Abu Al Atahiya, where he drew most of his ideas and connotations from the religious texts which in conjunction with his powerful language helped shape his attractive style and made him a fancy of the readers of poetic texts.

The research included an introduction and four chapters, the introduction focused on the poet's biography, and the first chapter addressed the concept of intertextuality in lexical and contextual terms from the viewpoint of old Arab and contemporary critics and western critics.

The researcher in the second chapter tackled the sources of religious intertextuality in the poems of Abu Al Atahiya in (the Holy Quran, Torah, Bible, Prophetic Sunnah, Prophetic Biography) putting more emphasis on the underlying subjects of such types, the third chapter shed light on the intertextuality methods used by Abu Al Atahiya in his poems as in the following types (citation, transformation, and dialogue). In the fourth chapter, the researcher discussed the levels of intertextuality in Abu Al Atahyia's poems in both individual and structural forms.

Finally, the researcher provided the findings and conclusions in addition to the most significant recommendations.

الإهداء

- **أُهدي هذا البحث إلى**

❖ روح والدي الذي كان يرجو الله أن أكون في هذا المكان.

❖ أمي الغالية التي علمتني معنى التضحية.

❖ روح ابنتي الغالية "تسنيم"

❖ زوجتي الحبيبة.

❖ أبنائي الأعزاء "علي وإيمان وأحمد"

❖ أخي وأخواتي.

❖ كل من عمل لخدمة الدين الإسلامي، واللغة العربية.

إليكم جميعا أُهدي ثمرة هذا الجَهْد.

شُكرٌ وامتِنَانٌ

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]

التزامًا مني بهذه الآية العظيمة الكريمة

أتقدَّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنانِ للهِ تبارك وتعالى، الذي خلقني وهداني، وجعلني على خيرِ دين، وسخَّر لي من نعمه وآلائه الكثير، فله الحمد والشكر حتى يرضى، وحين الرضى وبعد الرضى.

وأعطف شُكري وامتناني، واحترامي وتقديري إلى والِديَّ الحبيبين العزيزين، اللذَيْنِ أوصاني ربي بهما خيرًا، وكانت دعواتُهما لي خيرَ زادٍ ومداد، رحم الله أبي وأطال في عمر أمي، وأعانني ووفقني لبرِّهِمَا، فاللسانُ يعجزُ عن شكرِهما.

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٤.

شُكرٌ وتقدِيرٌ

" لا يَشكر الله مَن لا يشكر النَّاس"

انطلاقًا من الهدي النَّبويِّ الشريف

فإنَّني أتقدمُ بالشُّكر الكبيرِ، والعِرفانِ بالجميلِ، إلى فضيلَة الدكتور الجليل: محمد مصطفى كلاب أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية، الذي تكرَّم أنْ يشْرفَ على بحثي، والحمد لله ابتداءً وانتهاءً أنْ تتلمذتُ على يديه، ونَهَلْتُ من معينِه اللُّغوي والأدبي، فلم يبخل عليَّ بتوجيهاته القيِّمة ونصائحه المباركة، وكلماته العَذبةِ الرقراقة، التي لا تخدِشُ حياءً، ولا تَجْرحُ شعورًا، فغدا نِعْم المشرِف، ونِعْمَ المُربّي، فبارك الله في جهوده، وجعل ذلك في ميزان حسناته، والله أسألُ أن يُحلِّني وإيَّاه دار المقامة من فضله، بصحبة حبيبنا محمد –صلى الله عليه وسلَّم–.

كما أتقدَّمُ للأستاذينِ الكريمين، فضيلة الدكتور المبارك: محمد شحادة تيم، الذي كان نعم المربي في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، وفضيلة الأستاذ الدكتور المبارك: عبد الفتاح أحمد أبو زايدة الذي يشرفني أن أكون امتدادا لبذرة زرعها قبل أعوام طويلة، أتقدم للأستاذين الكريمين بعظيم الشكر والامتنان؛ لتكرُّمِهما بقبولِ مناقشةِ رسالتي فبارك الله فيهما، وجعلهما ذخرًا لأهل العلم والتعلم، وللإسلام والمسلمين، فلطالما تعلم على يديهِما الكثير من طلبة العلم والمعرفة، واستقوا من علومهما النافعة القيِّمة.

كما لا أنسى أصدقائي وزملائي في الدراسة، ولا أستثني منهم أحدًا، فلهم مني الوفاء والتقدير، والله أسأل أن يوفِّقهم في هذه المسيرة.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، أحمدك يا ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله، وصحبه، والتابعين ومن اقتفى أثرهم، أما بعد:

فلقد شرفنا الله تعالى بالإسلام، وأكرمنا بالقرآن، وجعل القرآن على خير لغة، اللغة العربية البحر العظيم، المليء بالدرر والكنوز، والتي قال فيها ابن قيم الجوزية: "وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها ..."[(١)]، وهذه اللغة التي تكفَّل الله بحفظها، وذلك بحفظه للقرآن الكريم، لقوله جلَّ في علاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[(٢)].

أولاً: أهمية الموضوع:

ظهر مصطلح التناص في الدراسات النقدية العربية حديثاً وقد استقاه النقاد العرب من الغرب عن طريق الترجمة، باعتبار أن النص الأدبي ليس نظاماً لغوياً مقفلاً ومستقلاً عن البيئة المحيطة وإنما هو سلسلة من الارتدادات والانعكاسات لمعان ودلالات متعددة ، وهذا لا يعني أن مفهوم التناص لم يكن موجوداً في تراثنا النقدي، فلو نظرنا إلى العصر الجاهلي لوجدناه تجلى في المقدمة الطللية، وكذلك تجلى واضحاً تناص الشعراء من القرآن على مر العصور، ورأيناه يتجلى في العصر العباسي العصر الذي انفتح على الحضارات انفتاحاً واضحاً جلياً وخصوصاً في مدينة البصرة، فكان انعكاس الثقافة الدينية ظاهراً في إبداعات شُعراء ذلك العصر وكُتَّابِه.

وكان من أبرز الشعراء العباسيين الذين تأثروا بالمذاهب الدينية أبو العتاهية، وقد ظهر ذلك جلياً في تناصاته الدينية، وهذا ما شجع كثيراً من الباحثين لإجراء بحوث ودراسات تناولت شعر أبي العتاهية في معانيه وصوره وأساليبه، بحيث يصعب على الباحث الجديد أن

---

(١) المشوق إلى علم القرآن والبيان، شمس الدين أبي عبد الله المعروف بابن قيِّم الجوزية الحنبلي، تصحيح: محمد النعساني، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٠٦م، ص٧.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

يجد موضوعاً جديراً بالدراسة؛ ولكن مع مزيد من البحث المتواصل، واستشارة أهل الاختصاص وبدافع من حب تراثنا الأدبي والإسلامي، استطعت أن أجد موضوعاً لبحث الماجستير، بعنوان: التناص الديني عند أبي العتاهية .

وهذا البحث لا يقف عند الحديث عن التناص الديني عند أبي العتاهية مع الدين الإسلامي بل ويتحدث عن التناص الديني مع بعض الرسالات السماوية، وهو بذلك يختلف عن تلك الموضوعات التي قد تتشابه في العناوين.

ومما شجع الباحث على اختيار هذا الموضوع غزارة شعره المتناص مع المصادر الدينية، والذي تجلى واضحاً في قصائد ديوانه التي جمعها الدكتور شكري فيصل وحققها تحقيقاً علمياً، بذلك تشكلت رؤية قوية في نفس الباحث بأن التناص الديني عند أبي العتاهية أمرٌ أصيل في تجربته الشعرية، ولم يكن أمراً طارئاً عليه فقد جاء نتيجة لسعة ثقافته الدينية .

أولاً: أسباب اختيار الموضوع :

لقد جاء البحث في التناص الديني عند أبي العتاهية، لتحقيق عدد من الأهداف، أهمها :

١- طلب العلم النافع الذي حثنا عليه ديننا الإسلامي الحنيف .

٢- إبراز أهمية شعر العصر العباسي بين عصور الأدب العربي .

٣- الكشف عن مكانة الشاعر أبي العتاهية بين شعراء عصره .

٤- محاولة الربط بين الحديث والقديم من خلال تطبيق مفاهيم حديثة على تراثنا الشعري في العصر العباسي .

ثانياً: الدراسات السابقة:

١- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م

٢- أثر القرآن الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير) ، هالة فاروق فرج العبيدي، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣- التناص في شعر أبي العلاء المعري ، د. إبراهيم مصطفى محمد الداهون، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١١م.

٤- التناص في شعر الرواد، د. أحمد ناهم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

ثالثًا: منهج البحث:

وقد كان المنهج المتبع في بحثي بعون الله تعالى هو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يبين مواضع التناص من خلال عرض النصوص الشعرية المتعلقة بها، ثم تحليلها بهدف فهم جزئياتها ومكوناتها، وإظهار التناص الحاصل فيها، وهذا من شأنه أن يعزز الثقة بين القارئ والنص، ويبرز دور التراث الشعري في تشكيل الحاضر الثقافي ؛ فرغم حداثة مصطلح التناص في الثقافة الإنسانية إلا أن شواهده موجود في تراثنا الأدبي .

رابعًا: خطة البحث :

مقدمة:

تمهيد:

أبو العتاهية حياته وشعره

الفصل الأول– مفهوم التناص:

- التناص لغة.
- التناص اصطلاحاً.
- التناص عند النقاد العرب
- التناص عند النقاد الغربيين.

الفصل الثاني– مصادر التناص الديني:

- المبحث الأول: القرآن الكريم .
- المبحث الثاني: التوراة.
- المبحث الثالث: الإنجيل.
- المبحث الرابع: الحديث الشريف.
- المبحث الخامس: السيرة النبوية.

الفصل الثالث– آليات التناص :

- المبحث الأول: تناص اجتراري.
- المبحث الثاني: تناص امتصاصي.
- المبحث الثالث: تناص حواري.

الفصل الرابع- مستويات التناص:

- المبحث الأول: تناص إفرادي.
- المبحث الثاني: تناص تركيبي.

الخاتمة:

وفيها ذكر أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

الفهارس الفنية

والله تعالَى أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَه خَالِصًا لِوَجْهِهِ، وَأَنْ يُعِيْنَنَا عَلَى خِدْمَةِ لُغَةِ قُرْآنِه، وَأنْ يُهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدا.

الباحث:
حسن بهار

التمهيد:

أبو العتاهية(حياته)

- اسمه.
- سبب كنيته.
- أصله.
- أوصافه.
- صنعته.
- مذهبه وفلسفته.
- اتهامه بالبخل.
- احتضاره.
- وفاته.

التمهيد:

أبو العتاهية (حياته):

١٣٠هـ-٢١١هـ

اسمه:

هو إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كَيسان، مولى عنزة، وكنيته أبو إسحاق. ولقبه أبو العتاهية، نشأ بالكوفة وكانت بدايته بها. مولده بعين التّمر[١] بليدة بالحجاز بقرب المدينة[٢] -يعني الكوفة-، وَكَانَ مولده سنة ثلاثين ومائة [٣]، "ويقال أطبع الناس بشار[٤] والسيد[٥] وأبو العتاهية وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته"[٦].

---

(١) عَينُ التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منهما يجلب القصب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جدّا، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة. (معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٩٥ م، ج٤، ص١٧٦.)

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١٤٠٦،١هـ- ١٩٨٦م، ج٣، ص٥٢.

(٣) البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج١٠، ص٢٦٩.

(٤) بشار بن برد: كان شاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه ويجزل له في العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، كانت وفاته سنة سبع، وقيل: ثمان وستين ومائة في أيام المهدي. (طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، تح: عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٣، ص٢١.)

(٥) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، أبو هاشم أو أبو عامر: شاعر إمامي متقدم. قال صاحب الأغاني: يقال إن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار وأبو العتاهية والسيد، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع، وكان أبو عبيدة يقول: أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار، نشأ بالبصرة، وعاش مترددا بينها وبين الكوفة، ومات ببغداد سنة ثلاث وسبعين ومائة للهجرة.(الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٢٢.)

(٦) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ج٣، ص١٢٢.

سبب كنيته:

وفي سبب كنيته أقوال منها؛ ما ذكر الأصبهاني "قال المهدي يوما لأبي العتاهية: أنت إنسان متحذلق معته فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له في الناس"(١).

والقول الثاني ما ذكر ابن العديم "ويقال: بل كان ابنه محمد(٢) يلقب عتاهية فكني به(٣)" والقول الأخير ما ذكره الخطيب البغدادي "وقيل بل كان يحب المجون والخلاعة فكني لعتوه أبو العتاهية(٤)." وبذلك أيضاً قال الأصبهاني(٥).

وذكر ابن سلام أنه " كان جرّارا، ويرمى بالزندقة، وكان له ابنتان، يقال لإحداها: لله، وللأخرى: بالله! ورأيته يستعظم ذلك. وكان له ابن شاعر ناسك، كان أحد المطبوعين، وممّن يكاد يكون كلامه كلّه شعرا، وغزله ضعيف مشاكل لطبائع النساء." (٦).

أصله:

يقال: "إنّ أصله من عَنَزة، وإنّ جده كيسان كان من أهل عين التَّمر بالقرب من الأنبار(٧)"(٨)، وهناك رأي أخر ولكنه ضعيف في أن أصله نبطي(٩).

---

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٣.

(٢) العَتَاهِيَة: محمد (العتاهية) بن إسماعيل (أبي العتاهية) بن القاسم، أبو عبد الله: شاعر عراقي مطبوع حذا طريقة أبيه في شعر الزهد. وتقدم في الأدب والفقه. وولي القضاء برهة. وأخذ عنه بعض كبار العلماء في عصره كالنسابة ابن أَبي خَيْثَمَة وابن أبي الدنيا والمبرد والحافظ إبراهيم بن إسحاق الحربي، توفي سنة مائتان وأربعة وأربعون.(الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٦، ص٣٤)

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تح: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج٤، ص١٧٥٦.

(٤) تاريخ مدينة السلام، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، ج٧، ص٢٢٦.

(٥) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٣.

(٦) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م، ص٥٤٣.

(٧) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد، كانت الفرس تسمّيها فيروز سابور، أول من عمرها سابور ذو الأكتاف، سمّيت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير. وأقام بها أبو العباس السفّاح إلى أن مات، وجدّد بها قصورا وأبنية.(مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ١٣٧٣هـ– ١٩٥٤م، ج١، ص١٢٠).

(٨) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٣.

(٩) انظر: السابق، ج٣، ص١٢٣.

وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة وفي ذلك يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أن أبا العتاهية فضل عليه العتابي، فقال فيه:

قـــــل للمكنـــــــي نفســـــــه مُتَخيّـــــــــرا بعَتَاهِيـــــــــهْ
والمرسِـــــل الكلِـــــم القبـــــيح وعثْـــــــه أُذْنٌ واعيــــــــــهْ
إن كنـــــت سِـــــرّا ســـــوئتني أو كــــــان ذاك علانيــــــــهْ
فعليـــــك لعنـــــةُ ذي الجـــــلال وأُمُّ زيـــــــدٍ زانيـــــــــهْ(١)

أوصافه:

روى أبو الفرج عن محمد بن موسى قال: "كان أبو العتاهية قضيفاً(٢)، أبيض اللون، أسود الشعر، له وفرة جعدة، وهيئة حسنة، ولباقة، وحصافة"(٣)، وروى عبد الله بن المعتز أنه، كان ضعيف البنية(٤).

وحدث المبرد بوصف عتبة لأبي العتاهية في أول أمرها معه، إذ قالت: "إني لأرى هيئة جميلة، وضعفاً ظاهراً، ولساناً فصيحاً، ورجلاً بليغاً"(٥).

ووصفه المسعودي فقال: "وكان أبو العتاهية قبيح الوجه، مليح الحركات، حلو الإنشاد، شديد الطرب"(٦).

صنعته:

كان أبو العتاهية وأهله يعملون الجِرار الخُضر، ويبدو أنه برع في عمل الخزف والفخار، مما حدا بالناس على اختلاف طبقاتهم الذهاب إلى مكان عمله لسماع أشعاره، يقول صاحب

---

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٥.

(٢) أي دقيق العظم قليل اللحم.

(٣) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٥.

(٤) طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، ص٢٣٠.

(٥) مروج الذهب في معادن الجواهر، للمؤرخ ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تح: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م، ج٣، ص٣٠١.

(٦) السابق، ج٤، ص٣٩.

الأغاني: "رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها"[١].

ولم يتوقف أبو العتاهية عند هذه الصناعة بل كان حجاماً أيضاً، سئل ذات مرة: "أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل أكذلك كان قال: نعم، قال له: فما أردت بذلك، قال: أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا وأضع منها ليسقط عنها الكبر وأكتسب بما فعلته الثواب"[٢].

"ويروى عن يحيى بن خالد[٣] أنه أُخبر أن أبا العتاهية قد نَسك، وأنه جلس يحجم الناس للأجر تواضعاً بذلك؛ فقال: ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك؟، فقيل له: بلى، فقال: أما في بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغني به عن الحجامة؟"[٤].

ولكن أبا العتاهية ينفي عن نفسه أنه كان جراراً بقوله: "أنا جرار القوافي وأخي جرار التجارة"[٥]، إلاّ أن جارية المهدي "عُتبة" تؤكد هذا الخبر في محاولتها لدفع رغبة الخليفة في تزويجها لأبي العتاهية بقولها: "يا أمير المؤمنين، حرمتي وخدمتي، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومتكسب بالشعر؟"[٦].

مذهبه وفلسفته:

اتهم أبو العتاهية بالزندقة، مع كثرة نظمه في الزهد والمواعظ والحكم والأمثال، وذكر الموت والحشر والنار والجنة والثواب والعقاب، فقد روي عن منصور بن عمار أنه قال: "أبو العتاهية

---

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٥.

(٢) السابق، ج٣، ص١٢٥.

(٣) يحيى البَرْمَكي: يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل: الوزير السريّ الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه، ومن كلام يحيى لبنيه: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون، توفي سنة مائة وتسعين للهجرة. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٨، ص١٤٤.)

(٤) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٥.

(٥) السابق، ج٣، ص١٢٥.

(٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، تقديم: محمد عبد الحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، ج١، ص١١٩.

زنديق أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار وإنما يذكر الموت فقط"[١]، ويبدو أنه قد حكم علية بذلك عندما سمع قوله في عُتبة:

كــأنّ عتابَــة مــن حسـنها دُمْيَــةُ قــسَّ فتنَــتْ قَسَّـها
يـا رَبِّ لـو أنْسَـيْتَنيها بمـا فـي جَنَّـة الفِـرْدوس لـم أَنْسَـها[٢]

"فشنع عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون"[٣].

لكن أبا العتاهية لم يستسلم لاتهامه بالزندقة، وردّ على متهميه، فيروى أنه قال: "زعم الناس أني زنديق والله ما ديني إلا التوحيد، فقلنا له: فقل شيئا نتحدث به عنك، فقال:

أيـا عجبـي كيـف يعصـى الإلــ ـه أم كيـف يجحـده جاحـد؟
ولله فـي كـل تحريكـة وفـي كـل تسـكينة شـاهد
وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل علـى أنـه واحـد"[٤]

ومن المعلوم أن أول من شكك في زهد أبي العتاهية ابن المعتز بقوله: "والذي يصح عندي أنه كان ثنوياً"[٥]، ولعله نظر إلى قول أبي العتاهية:

لكـلّ شـيء مَعْـدِنٌ وجَـوْهَرُ وأوسـطٌ وأصـغرٌ وأكبـرُ
وكـلُّ شـيء لاحـقٌ بجـوهرهْ أصـغرُه مُتّصِـلٌ بـأكبرهْ[٦]

ففيها ما يشير إلى ثنائية الأشياء، ولكن هناك فرقاً بين الثنوية التي تقول بوجود إلهين؛ إله الخير وإله الشر، وبين ثنائية الأشياء؛ فالكون مبني على الثنائية؛ كالليل والنهار.

وفي الأغاني "كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما وأن العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعا"[٧].

---

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٨.
(٢) السابق، ج٣، ص١٤٦.
(٣) السابق، ج٣، ص١٤٦.
(٤) السابق، ج٣، ص١٣٨.
(٥) طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، ص٢٢٨.
(٦) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٩.
(٧) السابق، ج٣، ص١٢٤.

وإذا كان أبو العتاهية يُحكم قوله وشعره في رد الاتهام عن نفسه، فإنّ النقاد والمتهمين له بالزندقة قد أدانوه بنظمه، وأوردوا شواهد كثيرة على هذه القضية(١).

فالدكتور شوقي ضيف –مثلاً– يقول: "ومن المعروف أن المانوية كانوا يدَّعون الزهد في الدنيا والعمل للآخرة كما كانوا يدعون إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش، ومن هنا يختلط الموقف على من يقرأ أشعار أبي العتاهية الزاهدة، وبخاصة أنه استقى فيها كثيراً من آي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– غير أن من يتعمق في هذه الأشعار يجد أبا العتاهية مشغولاً بما كان يراه المانوية من أن العالم نشأ عن أصلين هما النور والظلمة، ومن النور نشأ كل خير، ومن الظلمة نشأ كل شر، وأن أجناس الخير خلاف لأجناس الشر، وفي كل حاسة من حواس الإنسان جنس قائم بنفسه من النوعين، جنس مستقل عما يماثله في الحواس الأخرى"(٢)، وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

لكلّ شيء مَعْدِنٌ وجَوْهَرُ ... وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
وكلُّ شيء لاحقٌ بجوهرهْ ... أصغرُه مُتّصِلٌ بأكبرهْ
الخَيرُ والشرُّ بها أزواجُ ... لِذا نِتاجٌ ولِذا نِتاجُ
لكلّ إنسانٍ طبيعتانِ ... خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا ... بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جِدًّا(٣)

لكن هناك رأي آخر في زندقة أبي العتاهية فمنصور بن عمار مثلاً بعد أن رمى أبا العتاهية بالزندقة، رد عليه أبو العتاهية بقوله:

إن يوم الحساب يوم عسير ... ليس للظالمين فيه نصير
فاتخذ عدّة لمطّلع القبر وهـ ... ـول الصراط يا منصور(٤)

فندم منصور على قوله وحمد الله وأثنى عليه وقال: "أشهدكم أن أبا العتاهية قد اعترف بالموت والبعث، ومن اعترف بذلك فقد برئ مما قذف به."(٥)

---

(١) انظر: أعلام الفكر العربي "أبو العتاهية"، د. هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص١٤.

(٢) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة– مصر، ط٨، ١٩٧٢م، ص٢٤١.

(٣) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٩.

(٤) تاريخ مدينة السلام، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ج٧، ص٢٢٩.

(٥) السابق، ج٧، ص٢٢٩.

والصحيح أن ما وجه لأبي العتاهية من تهم قد يكون مبعثها حسد الحساد والمناوئين، فهم عصبة في كل بلاط، يدل على ذلك ما رُوي من آرائهم فيه واعترافاته بشاعريته، فهي أقوال يُشم منها رائحة الحسد والكره والغيرة، وهذه بعض تلك الأقوال والاعترافات:

يقول ابن مناذرة وقد سُئل عنه: "هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كمه هو أشعر أهل الإسلام من المحدثين"[١]، فهو يصفه (بالخبيث) لأنه سريع البديهة غزير الشاعرية، وهذا ما أكده أبو العتاهية نفسه، إذ يقول عن نفسه: " لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت"[٢].

ويتمثل ذلك أيضاً في رد أبي نواس على من قال له أنت أشعر منه فقال: "والله ما رأيته قط إلا ظننت أنه سماء وأنا أرض"[٣].

اتهامه بالبخل:

لقد أسهب صاحب الأغاني في التحدث عن بخل أبي العتاهية، وساق مجموعة من الأمثلة التي تؤكد تلك الظاهرة، وقد أورد بعضاً منها على لسان ثُمامة بن أشرس، وقد أورد على لسان محمد بن عيسى الجُزيمي أحدها: "قال: قلت لأبي العتاهية أتزكي مالك فقال والله ما أنفق على عيالي إلا من زكاة مالي، فقلت سبحان الله إنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين، فقال لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم" [٤].

"وقيل لأبي العتاهية: مالك تبخل بما رزقك الله؟ قال: والله ما بخلت بما رزقني الله قط. قيل له: وكيف ذاك، وفي بيتك من المال ما لا يحصى؟ قال: ليس ذلك رزقي، ولو كان رزقي لأنفقته!!"[٥].

وإذا صحت قضية بخله، فإننا نكون قد واجهنا شخصية مزدوجة متناقضة، ويتمثل هذا التناقض في قضيتين هما: السلوك، والقول، فالسلوك لم نشهده، وكذلك القول لم نسمعه بشكل مباشر، فمثلما نستدل على زهده بشعره الذي وصل إلينا عن طريق الرواية، فإن أخبار سلوكياته

---

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٤٩.

(٢) السابق، ج٣، ص١١١.

(٣) السابق، ج٣، ص١٥٦.

(٤) السابق، ج٣، ص١٣٠.

(٥) السابق، ج٣، ص١٦٧-١٦٨.

وصلت إلينا عن طريق الرواية أيضاً، فاستوت عندنا الروايتان في الصحة، وقد توقعنا من الشاعر أن يطابق قوله فعله، ولو تحقق ذلك لكان الشاعر كريماً سخياً لا ينظر إلى دنياه، وبخاصة أنه يتبنى مبدأ الزهد، ويترفع عن لذة الحياة، ورغد العيش، لكن الأخبار جاءت نافية لأشعاره(١)، يقول:

يـــا طَالِـــبَ الـــدُّنيا ليُثقِـــلَ نَفسَـــهُ   إنَّ المُخِـــفَّ غَـــداً لأَحسَـــنُ حَـــالاَ
وإنَّـــا لفـــي دارٍ نَـــرَى الإكثـــارَ لا   يبقـــى لصـــاحِبِه ولا الإقـــلاَلاَ
أَأُخـــيَّ إنَّ المـــالَ إن قَدَّمتَـــهُ   لَـــكَ لـــيسَ إن خَلَّفتَـــهُ لَـــكَ مـــالا
أَأُخَـــيَّ كـــلٌّ لا محالـــةَ زائـــلٌ   فلِمَـــن أراك تُثمِّـــرُ الأمـــوَالاَ
أَأُخَـــيَّ شـــأنَكَ بالكفـــافِ وخَـــلِّ مَـــنْ   أَثـــرَى وَنـــافسَ فـــي الحُطـــامِ وَغـــالى
كـــم مِـــن ملـــوكٍ زالَ عـــنهم ملكُهُـــم   فكـــأنَّ ذاكَ الملـــكَ كـــانَ خيـــالا(٢)

احتضاره:

"قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن يجيء مخارق(٣) فيضع فمه على أذني ثم يغنيني"(٤):

سَـيُعْرَضُ عـن ذِكْـرِي وتُنْسَـى مَـوَدّتي   ويَحْـــدِثُ بعـــدي للخليـــلِ خليـــلُ
إذَا مـا انقضـتْ عنِّـي مِنَ الـدَّهْرِ مُدَّتِي   فـــإنَّ غَنَـــاءَ الباكيـــاتِ قَليـــلُ(٥).

وذكر صاحب الأغاني: أن محمد بن أبي العتاهية قال: آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه:

إلهـــي لا تُعَـــذِّبْنِي فـــإنّي   مُقِـــرٌّ بالَّـــذي قـــد كـــان مِنّـــي
فمـــا لـــي حيلـــةٌ إلاّ رجـــائي   لِعَفْـــوِك إنْ عَفَـــوْتَ وحُسْـــنُ ظَنّـــي
وكَـم مِـنْ زَلَـةٍ لـي فـي الخَطَايـا   وأنـــتَ علـــيَّ ذو فَضْـــلٍ ومَـــنِّ
إذَا فَكَّـــرتُ فـــي نَـــدَمي عليهـــا   عَضِضْـــتُ أَنـــامِلي وقَرَعْـــتُ سِـــنِّي
أجـــنُّ بِزَهْـــرةِ الـــدُّنْيا جُنونـــا   وأَقْطَـــعُ طـــولَ عُمْـــري بـــالتَّمنِّي

---

(١) انظر: أعلام الفكر العربي "أبو العتاهية"، د. هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٢.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٣) مُخَارِق: أبو المهنأ بن يحيى الجزار: إمام عصره في فن الغناء. ومن أطيب الناس صوتا، كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه، وأعطاه ٣٠ ألف درهم، واتصل بعد ذلك بالمأمون. وزار معه دمشق. وتوفي بسر من رأى. أخباره كثيرة جدا، كان مملوكا لعاتكة بنت شهدة بالكوفة، وهي التي علمته الغناء والضرب على العود، وباعته، فصار إلى الرشيد، فذكره له إبراهيم الموصلي، فسمعه، وأعتقه، وأغناه، وكناه بأبي المهنأ. وكان لحانا، لا يقيم الإعراب. وأبوه جزار من المماليك، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٧، ص١٩١.)

(٤) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص ١٧٤.

(٥) السابق، ج٣، ص ١٧٤.

ولَــوْ أَنِّــي صَـــدَقْتُ الزُّهْــدَ عنهـــا قَلَبْـــتُ لأَهْلِهـــا ظَهْـــر المَجَـــن
يَظُـــنّ النـــاسُ بـــي خيـــراً وإنِّـــي لَشَــرُّ الخَلْــقِ إنْ لــم تَعْـفُ عنِّــي[1].

وذُكر كذلك أنه قال لابنته رقية في علته التي مات فيها: قومي يا بنية فاندبي أباك بهذه الأبيات، فقامت فندبته بقوله:

لَعِـــبَ البِلَـــى بمَعَـــالِمِي ورُسُـــومي وقُبِـــرْتُ حَيًّـــا تحـــت رَدْمِ هُمُـــومي
لَـــزِمَ البِلَـــى جِسْــمِي فَــأَوْهَنَ قُــوَّتي إنّ البِلَـــــى لَمُوَكَّـــــلٌ بِلُزومـــــي[2]

وفاته:

وذكر صاحب الأغاني: أنه توفي وإبراهيم الموصلي وأبو عمرو الشيباني عبد السلام في يوم واحد في خلافة المأمون وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: إنه مات وراشد الخناق وهشيمة الخمارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين، وقيل: أنه مات في يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي ببغداد وذكر الصولي عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية أن أباه توفي سنة عشر ومائتين، وكان أبو العتاهية قد أمر أن يكتب على قبره:

أُذْنَ حَـــــــــــيٌّ تَسَـــــــــمَّعِي إسْـــــمَعِي ثُـــــمّ عِـــــي وعِـــــي
أنـــــــا رَهْـــــــنٌ بِمَضْـــــــجَعِي فَاحـــــذَرِي مِثْـــــلَ مَصْـــــرَعِي
عِشْـــــتُ تســـــعينَ حِجَّـــــةً أَسْـــــلِمَتْني لمَضْـــــــجَعي
كَـــــمْ تـــــرى الحَـــيَّ ثابتـــاً فـــــي دِيَـــــارِ التزَعْـــــزُعِ
لـــــيس زادٌ ســـــوى التُّقـــــى فخُـــــذِي منـــــه أوْ دَعِـــــي[3]

ويقول ابن خلكان أوصى أبو العتاهية أن يكتب على قبره هذا البيت:

إن عيشـــاً يكـــون آخـــره المـــو ت لعـــيش معجـــل التنغـــيص[4].

ولما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال:

يـــا أبـــي ضَـــمَّكَ الثَّـــرَى وطَـــوَى المـــوتُ أَجْمَعَـــكْ
ليتَنـــي يـــومَ مُـــتَّ صِـــرْتُ إلـــــى حُفْـــرةٍ مَعَـــكْ

---

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٧٥.

(٢) السابق، ج٣، ص١٧٥.

(٣) السابق، ج٣، ص١٧٥.

(٤) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ج٧، ص٥٩.

رحِـــــــمَ اللهُ مَصْـــــــرَعَكْ		بَــــــــرَّدَ اللهُ مَضْــــــــجَعَك[1]

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٧٥-١٧٦.

الفصل الأول:

مفهوم التناص

- التناص لغة.
- التناص اصطلاحاً.
- أولاً: عند النقاد العرب.
- ثانياً: عند النقاد الغربيين.

الفصل الأول

مفهوم التناص

أ- التناص لغة:

إذا ما تتبعنا معنى كلمة النص فسنجدها عند ابن منظور "النص: رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نص، ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، قال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حتى تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره؛ ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام"(١).

والتناص من نص نصاً، الشيء أي رفعه وأظهره، ونقول نص الحديث؛ أي رفعه إلى صاحبه، وقد وردت بمعنى الازدحام، إذ أوردها صاحب تاج العروس فقال: "تناص القوم ازدحموا"(٢).

ويورد المعجم الوسيط بعض الدلالات المولدة للنص فالنص هو؛ "صِيغَة الْكَلَام الأَصْلِيَّة الَّتِي وَردت من الْمُؤلف، وَمَا لَا يحْتَمل إِلَّا معنى وَاحِدًا أَو لَا يحْتَمل التَّأْوِيل، والنص من الشَّيْء منتهاه ومبلغ أقصاه يُقَال بلغ الشَّيْء نَصه وبلغنا من الْأَمر نَصه شدته"(٣).

وباستقراء معاجم اللغة العربية يمكن القول إن "الدلالة المركزية الأساسية للدالة "نص" هي الظهور والاكتمال في الغاية، وهي تؤكد جزءاً من المفهوم الذي أصبح متعارفاً عليه في النص"(٤).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ج٧، ص٩٧-٩٨.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج١٢، ص١٨٢.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٥، ٢٠١١م، ص٩٦٤.

(٤) الخطيئة والتكفير والخلاص(الخطاب الشعري عند الشاعر محمد حسيب القاضي) دراسة نصانية، مي عمر نايف، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة- فلسطين، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤.

التناص اصطلاحاً:

أولاً: التناص عند النقاد العرب:

إذا ما تتبعنا مفهوم التناص ونشأته في النقد العربي، نجده مصطلحاً جديداً لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، فالتأمل في طبيعة التأليفات النقدية العربية القديمة يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه ولكن تحت مسميات أخرى وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث حيث "أوضح الدكتور محمد بنيس ذلك وبين أن الشعرية العربية القديمة فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب مثلاً بالمقدمة الطَّللية والتي تعكس شكلاً لسلطة وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها"(١).

فلقد أدرك الشعراء منذ الجاهلية، ضرورة تواصل الشاعر مع تراثه الشعري والاغتراف منه، واقتفاء آثار السلف، وما استفهام عنترة "هل غادر الشعراء من متردم؟" إلا لإبراز تقليد البداية الذي ينبغي الأخذ به في كل نص شعري، لتتحقق شاعريته(٢).

وإنْ رُصد هذا الأثر عند نقاد العرب القُدامى فقد اتخذ تسميات متعددة؛ اندرجت فيما أسموه بباب "السرقات الأدبية" التي خصصوا لها مجالاً واسعاً في الكثير من مؤلفاتهم، فالشاعر مهما كانت موهبته أو نبوغه الشعري، فإنه يحمل نفحات من نصوص غيره، ومن هذه النفحات، ما هو واضح جلي، ومنها ما يتطلب براعة الناقد وحصافته للكشف عنها، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أنَّ النقاد العرب القُدامى قد اختلفوا في تشغيلهم لمصطلح السرقات بين الرفض أو الاستهجان والقبول(٣)، فابن رشيق يذهب إلى أنَّ "اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات." (٤)، أما ابن الأثير فنجده أحياناً

---

(١) التناص النشأة والمفهوم، جدارية محمود درويش (نموذجاً)، إيمان الشنيني، مجلة أفق إلكترونية، ص٢. (الاثنين، ١٥-١٠-٢٠١٣م)
http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=print&sid=1382

(٢) التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ليديا وعدالله، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ص١٥.

(٣) السابق ، ص١٦-١٧.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ج٢، ص١٨١.

يقول :"... ذلك من أحسن السرقات ..."[١]، وفي موضع آخر يقول: "... وليس في السرقات الشعرية، أقبح من هذه السرقة ..." [٢].

وتوجد بعض المواقف النقدية الأخرى لنقاد كانوا أكثر اعتدالاً في تقديم تصوراتهم حول هذه العلاقات بين النصوص، وإخراجهم للسرقات من دائرة الاتهام، باستخدام مصطلحات أخرى؛ كتوارد الخواطر والاحتذاء والاقتباس[٣]، ومن هؤلاء النقاد عبد القاهر الجرجاني وأبو هلال العسكري، وعبد العزيز الجرجاني، الذي يرى أنه لا يدخل في باب "السرقات الشعرية" المعاني المشتركة بين الناس "... ومتى أنصفت علمت أنَّ أهل عصرِنا، ثم العصر الذي بعدنا أقربُ فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمّة؛ لأن من تقدَّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها ... ومتى أجهَد أحدُنا نفسَه، وأعمل فكرَه، وأتْعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنّه غريباً مبتدَعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفّح عنه الدواوين لم يُخطِئه أن يجدَه بعينه، أو يجد له مثالاً يغضّ من حُسنِه؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بتّ الحكم على شاعر بالسرقة."[٤].

"إنَّ هذا القول ينفي بكارة النص الإبداعي، كما ينفي عنه السرقة في المعنى، لأن الشعراء الأوائل، قد طرقوا جميع المعاني، وتفننوا في قولها، ولهذا فإنَّ النص يتراءى جديداً مبتكراً، فإنَّ معناه قد طرق بشكل أو بآخر في الدواوين الشعرية السابقة، وبهذا فالتناص قدر كل نص، مهما كان جنسه"[٥].

وهذا يعني أن التناص حاضر في مستويات الحياة كافة، ومتأصل في التراث الإنساني؛ ولا فكاك منه؛ لأنه قانون طبيعي في الثقافات والحضارات الإنسانية[٦].، وهذا ما أشار إليه علي بن

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٦٨.

(٢) السابق، ج٢، ص ٢٥٩.

(٣) سئل أبو عمرو بن العلاء: أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره؟ قال: تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال: الشعر جادة، وربما وقع الحافر على موضع الحافر. (العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ج٢، ص٢٨٩.).

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت- لبنان، ص ٢١٤-٢١٥.

(٥) التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ليديا وعدالله، ص١٨.

(٦) انظر: المبدأ الحواري ميخائيل باختين، تزفيتات تودروف، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٢٩.

أبي طالب –رضي الله عنه– في قوله: "لولا أنّ الكلام يعاد لنفد."[١]، فهو ضرورة من ضرورات تقدم الحضارات الإنسانية وتطورها.

لكن رغم هذا فإنَّ "اهتمام العرب القدامى بالعلاقات بين النصوص، كان اهتماماً قاصراً، رغم تماكنهم من رصد بعض العلاقات التي تصب في نظرية التناص، إلا أن تلك البذور والإرهاصات، لم تجد من يستثمرها ويبلورها في نظرية متكاملة، وهي لا تزال بحاجة إلى قراءات جادة وعملية لتبويبها واختزالها وإعادة إنتاجها بصورة تكون فيها أكثر فعالية في الساحة النقدية العربية، وأكثر ارتباطا بمفاهيم التناص الحديثة." [٢].

أما في النقد الحديث فقد أحدث التناص حِراكاً واسعاً، وشغل الحداثيينَ جميعاً، وأثار بينهم جدالاً نقدياً، كانَ مؤداه اختلاف النُّقاد العرب على ثابتة إيجاد صيغة لفظية أو ترجمة موحدة أو ثيمة لغوية لمصطلح التَّناص، "فأحياناً تُترجم إلى التناص، وأحياناً أخرى يُترجم إلى بينصية، التزاماً بأمانة نقل المصطلح باللغة الانجليزية، وربما تكون الترجمة الأخيرة أقرب إلى المصطلح في لغته الأصلية والذي يجزئه بعض النُّقاد الحداثيين إلى (بين–inter) و (نص–text)، فيكونُ التعبيرُ الأكثر دقةً هو (بين– نص)"[٣].

فمحمد مفتاح –مثلاً– حاول في دراسته التوفيق بين عدة مفاهيم غربية للمصطلح مستخلصاً، أنَّ التناص هو "تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة."[٤]، ويرى أنَّ "التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتلقين، إذ يُعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النص تجعله يكشف عن نفسه ويوجه القارئ للامساك به"[٥]، ويشير مفتاح إلى الآثار الوسيطة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، وهي الدراسات الحديثة التي قامت على دعامتين أساسيتين هما[٦]:

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ج١، ص٩١.
(٢) التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ليديا وعدالله، ص٢٠.
(٣) انظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، د. عبد العزيز حمودة، ص٣٦١.
(٤) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٢١.
(٥) السابق، ص١٣١.
(٦) السابق، ص١٣٤.

١- التوالد والتناسل، ذلك أننا نجد أثراً أدبياً أو غيره يتولد بعضه من بعض وتقلب النواة المعنوية الواحدة بطرق متعددة إلى صور مختلفة.

٢- التواتر، إلى إعادة نماذج معينة وتكرارها لارتباطها بماضٍ إيجابي مشتمل على تبجيل ما.

ثم يعرض مفتاح لأقسام التناص؛ الضروري والاختياري، الداخلي والخارجي، الاعتباطي والواجب، كما يعرض لوظائف التناص وآلياته، ثم استراتيجياته، عبر ثلاث بنيات حددها في كتابه(١).

ويؤكد مفتاح على أنَّ النقد العربي قد حفل بمصطلح التناص منذ بداية السبعينات من القرن العشرين. ولكن تمت آنذاك بصورة فيها كثير من الخلط والتشويش والتداخل بين مفهوم التناص وعدة مفاهيم أخرى، مثل "الأدب المقارن" ، "المثاقفة" و "دراسة المصادر"، و"السرقات" إضافة إلى أنَّ استعماله أحياناً كان لا يخضع لأي ضابط فكري أو منطقي(٢).

والتناص أساسه التفاعل والتشارك بين النصوص، وهذا يقتضي المعرفة السابقة للنصوص، "لأن النص يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها في نص مركزي يجمع بين الحاضر والغائب في نسيج متناغم مفتوح، قادر على الإفضاء بأسراره النصية لكل قراءة مفصلة تدخله في شبكة أعم من النصوص"(٣).

و يسمي محمد بنيس النص الأصلي بالنص الغائب، ويؤكد على أن الحضور الأقوى دائماً هو للنص الحاضر، يقول: "لا شك أننا لمسنا للنص الغائب، من خلال التداخل النصي وهجرة النص، محدودة للغاية، من حيث استقصاء التحليل. ونشير بسرعة إلى أن هناك طرائق نصية عديدة يمكن قراءتها ضمن التداخل النصي"(٤).

---

(١) انظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص١٢٢-١٣٠.

(٢) انظر: السابق، ص١١٩.

(٣) التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات الشعرية، مصطفى السعدني، منشأة المعارف بالإسكندرية- مصر، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ص٨.

(٤) الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها (٣- الشعر المعاصر)، د. محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط٣، ٢٠٠١م، ص٢١٠.

أما إبراهيم خليل فقد أوضح أن أول من تحدث بكلمة التناص هو إحسان عباس، حيث يقول: "وفي الوقت الذي لم يكن فيه أحد من الدارسين يتحدث بكلمة عن التناص تطرق إحسان عباس إلى هذه الظاهرة في شعر البياتي، مذكراً بأن كل نص شعري لا بد أن يكون مشرباً بغيره من النصوص"(١).

ويرى عبد الله الغذامي أنَّ النص وليد للنص؛ وذلك من حيث إن "العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ كما أنه لا يفضي الى فراغ. إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهي بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه..."(٢)، والنص عنده " بنية مفتوحة على الماضي مثلما أنه وجود حاضر ويتحرك نحو المستقبل"(٣).

أما شربل داغر فيشير إلى: أن الأدب المقارن، ينتظم على أساس مقارنة بين نصين، بين نص سابق التحقيق تاريخيا، بوصفه النص الأول والأصل، وفاعل التأثير والنسخة والخاضع للتأثير بالتالي، من جهة ثانية. وهو نظام يشبه في بنائه أساس العلاقات في الترجمة. أما التناص عنده فإنه يتجنب، بل يقلب تماما هذا الأساس التفاضلي، اللازم في أي عملية مقارنة، إذ إنه يسقط مبدأ المقارنة نفسه، ويجعل من النص المطلوب دراسته بنية في ذاتها، وإن تضمنت في عناصرها وعلاقاتها ما يشدها إلى نصوص واقعة قبلها وخارجها(٤).

أما الناقد سعيد يقطين فقد استعمل مصطلح " التفاعل النصي" في كتابه (انفتاح النص الروائي) كـ "مرادفاً لمصطلح التناص، والتناص في رأيه ليس إلا واحداً من أنواع التفاعل النصي"(٥)، لذلك فالتفاعل النصي – عنده – أعم من التناص، فالنص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتعالق بها، ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً، وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات، والنص عند سعيد يقطين ينقسم إلى بنيات نصية، منها "بنية النص" وهو الذي يتصل بـ"عالم النص" لغةً وشخصياتٍ وأحداثاً ... وقسم آخر نسميه "بنية المتفاعل النصي".

---

(١) تحولات النص، بحوث ومقالات في النقد الأدبي، د. إبراهيم خليل، وزارة الثقافة، عمان– الأردن، ط١، ١٩٩٩م، ص١٤.

(٢) ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م، ص ١١١.

(٣) السابق، ص ١١٣.

(٤) انظر: التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر، مجلة فصول، م١٦، ع١، صيف ١٩٩٧م، ص١٢٦.

(٥) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠١م، ص٩٨-٩٩.

كالمتفاعلات النصية هي البنيات النصية – أيا كان نوعها – التي تستوعبها " بنية النص" وتصبح جزءا منها ضمن " عملية التفاعل النصي"(١).

من خلال الاستعراض السابق لآراء النقاد العرب المعاصرين يمكن القول استنادا إلى الدليل بأنهم استقوا تعريفاتهم للتناص من حقول الباحثين الغربيين أمثال (بارت(٢)، وكريستيفا(٣)، وتودوروف(٤)...)، وقد استفادوا من تنظيرات الرواد الغربيين في بلورة أفكارهم الخاصة لمصطلح التناص، فهم قد بذلوا مجهودات كبيرة من أجل تطوير هذا المصطلح ليصبح منهجا إجرائيا له آلياته ووسائله التحليلية التي تساعد القارئ في الكشف عن النصوص الغائبة. إلا إنه وبالرغم من التعددية والتداخل الذي أصاب مفهوم التناص عند النقاد العرب إلا أننا نلحظ بأنهم يأخذون من مصادر أجنبية واحدة أو مماثلة، واللافت للانتباه اختلافهم في إيجاد صيغة لفظية أو ترجمة موحدة لمصطلح التناص(٥).

---

(١) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، ص٩٨-٩٩.

(٢) بارت: رولان بارت؛ ناقد ومنظر فرنسي، ولد في مدينة شيربورغ، أصيب في شبابه بمرض السل الذي عانى منه طويلاً، مات إثر حادث سيارة صدمته، له "الكتابة في الدرجة صفر، لذة النص..."، توفي سنة ألف وتسعمائة وثمانين للميلاد. (في معرفة النص، يمنى العيد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥، ص٢٨٦-٢٨٧.)

(٣) كريستيفا: جوليا كريستيفا؛ بلغارية الأصل والمولد، ناقدة وباحثة في علم الدلالة، ترتكز إلى العلوم الانسانية الحديثة، تهتم بتحليل نفسي للمعرفة، وتطرح أزمة العقل الغربي أو كما تقول: "الموت الذي يهددنا".(السابق، ص٢٩٧).

(٤) تودروف: تزفيتان تودروف؛ باحث وناقد من أصل روسي، اختار ونقل إلى الفرنسية نصوص الشكليين الروس التي نشرت تحت عنوان "نظرية الأدب"، له "ما هي البنيوية؟".(السابق، ص ٢٨٩-٢٩٠.)

(٥) انظر: أدونيس منتحلاً، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناص؟، كاظم جهاد، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٣م، ص٣٧.

ثانياً: التناص عند النقاد الغربيين :

إذا كانت بذور التناص موجودة لدى علماء العرب القدامى؛ فإن علماء الغرب في العصور الحديثة قد اكتملت لديهم البنية العامة لمفهوم التناص، وقد ينظر لباختين[1] على أنه أول من تطرق لهذا المفهوم وإن تطرق إليه بدون أن يستعمل المصطلح نفسه . "ومن الثابت أن جوليا "كريستيفا" هي أول من استعمل هذا المصطلح في كتاباتها، ثم تضافرت جماعة مجلة (تيل كيل Tel Quel) مع "كريستيفا" في إشاعة هذا المصطلح، مما جعله في فترة وجيزة من مصطلحات النقد الجديدة في فرنسا والولايات المتحدة."[2].

ونجد "باختين" يطلق عليه اسماً آخر فهو قد " استعمل مصطلح (الحوارية) لتعريف العلاقات الجوهرية التي تربط أي تعبير بتعبيرات أخرى، فكل خطاب –في رأيه– يعود إلى فاعلين، وبالتالي إلى جوار محتمل ... فمهما كان موضوع الكلام فإنه قد قيل بصورة أو بأخرى ومن المستحيل تجنب الالتقاء بالخطاب الذي تعلق سابقا بالموضوع"[3].

كما يذهب أنور المرتجى إلى أن التمهيد لمفاهيم التناص، يتبدى من خلال ملاحظات "ياكبسون"[4] الجادة، حول البنية والتزامن الذي اعتبر علاقة جدلية، تتضح في قوله "... إن مفهوم النظام التزامني الأدبي، لا يطابق مفهوم الحقبة L'epoque الساذج، ونظرا لأن هذا المفهوم، لا يتركب فقط من أعمال فنية متقاربة في الزمن، وإنما أيضا من أعمال انجذبت إلى فلك النظام، آتية من آداب أجنبية أو من حقبة سابقة، إنه ليس كافيا أن نفهرس بلا مبالاة، الظواهر المتعايشة، فما يهم دلالتها السليمة بالنسبة لحقبة معينة ..."[5].

---

(١) باختين: ميخائيل باختين؛ باحث سوفيتي، ولد وتوفي في موسكو، نشر دراسات عدة تحت أسماء مستعارة وعندما غيبه الموت تكشف كواحد من أكبر المنظرين الماركسيين للأدب في القرن العشرين، له "ديستويفسكي، الشعرية، والأسلوب ..."، توفي سنة ألف وتسعمائة وخمس وسبعين. (في معرفة النص، يمنى العيد، ص٢٨٦).

(٢) مفهوم التناص في اللغة، د. ناصر علي، مجلة الثقافية، ع٦١، كانون الثاني، نيسان ٢٠٠٤م، ص٤٦.

(٣) ترويض النص، حاتم الصكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٨٤– ١٨٥.

(٤) ياكبسون: ولد في موسكو، مؤلف عدة أعمال في جميع ميادين الألسنية، وفي نظرية الأدب، مؤسس حلقة موسكو الألسنية، له" مسائل شعرية ..."، توفي سنة الف وثمانمائة وست وتسعين،(في معرفة النص، يمنى العيد، ص٢٩٠)

(٥) نصوص الشكلانيين الروس (نظرية المنهج الشكلي)، تزفيان تودروف، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، ١٩٨٢م، ص١٠٢؛ نقلاً عن: التناص المعرفي، ليديا وعدالله، ص٢٢.

وقد تنوعت رؤى النقاد الغربيين لمفهوم التناص، فعلى سبيل المثال ترى جوليا "كريستيفا" أن "التناص هو التفاعل النصي في نص بعينه"(١)، وعندها يعد التناص إحدى سمات النص الأدبي؛ لأن كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى(٢)، وتأسيسا على ما سبق تنفي "كريستيفا" وجود نص مستقل منعزل عن غيره من النصوص، فلا بد من مداخلات نصوص أخرى، مما دفعها إلى القول : "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى*"(٣).

وهكذا يأتي تعريف "كريستيفا" لمفهوم النص متلاقياً مع رؤية النقاد العرب عندما يعدون الاقتباس جزءا حقيقيا من التناص؛ أو شكلا من أشكاله الرئيسية. وتحدد "كريستيفا" التناص "بأنه قانون جوهري: إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي"(٤).

وهو بتعريف" فيلب سولرس" "كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها، واحتداداً وتكثيفاً ونقلاً وتعميقاً "(٥) .

إلا إنه ومنذ أن صاغت "جوليا كريستيفا" مصطلح التناص لأول مرة في الستينات من القرن العشرين ، أصبح هذا المصطلح هاجسا يهيمن على دراسة الثقافة والأدب ، فتناولته عمليا الاتجاهات النظرية كلها، ومع ذلك لا يزال التناص يعرَّف بصيغ مختلفة، فهو مصطلح لا يتسم بالشفافية عموما، حيث يقول "جراهام ألان" في هذا : " فنقاد ما بعد البنيوية –مثلاً– يستخدمون مصطلح التناص للإخلال بمفاهيم المعنى في حين يوظِّف النقاد البنيويون المصطلح نفسه لتحديد

---

(١) التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر، ص١٢٧.

(٢) انظر: علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩١م، ص٧٩.

* "بهذه الأفكار تمكن التناص –حينئذ– من تقويض البنيوية، وزعزعة أفكارها، حينما عمد إلى "تحطيم فكرة المركز، والنظام، والبنية، والشكل والمضمون، والوحدة الموضوعية المتوهمة، وأصبح النص ينطوي على أبنية متعددة، متنوعة، متولدة، بلا توقف." (ما بعد البنيوية، حول مفهوم التناص، شكري الماضي، المعرفة السورية، مجلة ثقافية شهرية، وزارة الثقافة، دمشق، ع٣٥٣، شباط ١٩٩٣م، ص٩٤. نقلاً عن: التناص التراثي في الشعر المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م، ص١٥).

(٣) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، محمد الغذامي، النادي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٢٢.

(٤) علم النص، جوليا كريستيفا، ص٧٩.

(٥) التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات الشعرية، مصطفى السعدني، ص٨.

أو إصلاح المعنى الأدبي، وهذا دليل كاف على مرونته كمفهوم.[١]" ويعقب على ذلك : "وكيفما يستخدم مصطلح التناص فهو يروج لرؤية جديدة للمعنى، وبالتالي للتأليف والقراءة."[٢].

أما "رولان بارت Roland Barthes" فقد طور هذا المصطلح وعمقه وكثف البحث فيه، ولكنه قد يكون زاده غموضا لانفتاحه على آفاق وحقول ومصادر لانهائية ولا محدودة ترفد النص الأدبي، يقول بارت في مقالته المعروفة "من العمل –الكتابة– إلى النص" : إن كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة ... وكل نص (الذي هو تناص مع نص آخر) ينتمي إلى التناص، وهذا يجب ألا يختلط مع أصول النص، فالبحث عن مصادر النص أو مصادر تأثيره هي محاولة لتحقيق أسطورة بنوّة النص مجهولة (المصدر) ولكنها مقروءة فهي اقتباسات دون علامات تنصيص"[٣].

أما تودروف "فيعتبر أن جميع العلاقات التي تربط تعبيراً بآخر هي علاقات تناص، فيكون التناص بهذا الوصف دراسة كلية في علاقاته مع كلية النصوص الأخرى"[٤].

وكما كان حديث نقَّادنا القدامى عن تداخل النصوص يدور حول قضية "السرقات الأدبية" فالسرقة كما يقول جيرار جنيت "صنف من أصناف التناص"[٥].

أما "فوكو" فيرى بأنه "لا وجود لتعبير، لا يفترض تعبيرا آخر، ولا وجود لما يتولد من ذاته، بل من تواجد أحداث متسلسلة ومتتابعة، ومن توزيع للوظائف والأدوار" ، أما "بارت " فيخلص إلى "لا نهائية" التناص وهي قانون هذا الأخير."[٦].

ومن خلال اهتمام "الشكليون الروس"[٧] بفكرة العلاقات، والنظام، والنسق، قاربوا كذلك، مفاهيم التناص، فنجد "شكلوفسكي" يقول: "... إن العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية

---

(١) نظرية التناص، جرهام ألان، تر: د. باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، ٢٠١١م، ص١٣.

(٢) السابق، ص١٥.

(٣) التناص التاريخي والديني: مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية "رؤيا" لهاشم غرايبة، أحمد الزغبي، مجلة أبحاث اليرموك، ، مج١٣، ع١، إربد- الأردن، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ص١٧٠-١٧١.

(٤) مفهوم التناص في اللغة، د. ناصر علي، ص٤٧.

(٥) التناص (النشأة والمفهوم) جدارية محمود درويش (نموذجاً)، إيمان الشنيني، ص٢.

(٦) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٢١٥.

(٧) الشكليون الروس: جماعة من الطلاب الشباب من موسكو ولينيغراد، شكلوا فريق عمل اختباري للبحث في القوانين الداخلية المشتركة بين النصوص الأدبية؛ لم يتجاوز عددهم العشرة، مارسوا نشاطهم بين عامي ١٩١٥-١٩٣٠م. (في معرفة النص، يمنى العيد، ص٢٩٤.)

الأخرى، وبالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها، وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في تواز وتقابل مع نموذج معين، بل إن كل عمل فني يبدع على هذا النحو ..." [(١)].

---

(١) الشعرية، تزفيتان تودوروف، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البضاء- المغرب، ١٩٨٧م، ص٤١.
نقلاً عن: التناص المعرفي، ليديا وعدالله، ص٢١.

الفصل الثانـي:

مصادر التناص الديني في شعر أبي العتاهية

أولاً: التناص مع القرآن الكريم.

ثانياً: التناص مع التوراة.

ثالثاً: التناص مع الإنجيل.

رابعاً: التناص مع الحديث الشريف.

خامساً: التناص مع السيرة النبوية.

الفصل الثاني

مصادر التناص الديني في شعر أبي العتاهية

تنوعت مصادر التناص لدى الشعراء بتعدد الثقافات التي احتك بها كل شاعر، وقد تنوعت مصادر التناص لدى أبي العتاهية بحكم العصر والمكان الذي عاش بهما، فلم تكن بغداد في عصر إلا مزيجاً من الحضارات والثقافات التي انصهرت معاً في وعاء الحضارة الإسلامية، وقد كان ظاهراً في شعر أبي العتاهية تنوع المصادر المعرفية، وخاصة المصادر الدينية، ومن هذه المصادر التي تناص معها الشاعر.

أولاً: التناص مع القرآن الكريم:

تجلى التناص مع القرآن الكريم واضحاً في شعر أبي العتاهية وخاصة في شعر الزهد والحكمة، وهذا أمر طبيعي، فكثير من الموضوعات التي يثيرها هي موضوعات مستمدة من القرآن الكريم، والقرآن الكريم مقوم أساس من مقومات ثقافة الشاعر المسلم، لذلك تراه يتناص معه بوصف شاعراً، لأن القرآن الكريم "من أهم الوسائل المنتجة للدلالات، فهو معين لا ينضب، بما يحتويه من قصص وعبر وأحداث، كيف لا وهو كلام الله المعجز، حيث نرى الكثير من الشعراء يتكئون على مفرداته ومعانيه ويقتبسون من آياته، ليعكسوا مدى ما يشعرون به تجاه أحداث وقضايا العصور التي يعيشون فيها"[(١)].

والنص القرآني بقصصه ومعانيه ولغته يُعد أكثر المصادر توظيفاً، وأوسعها تأثيراً في المضامين الشعرية قديماً وحديثاً، ولعل وراء هذا الاهتمام في توظيف النص القرآني ما يمثله القرآن الكريم من خصوبة وعطاء متجددين للفكر والشعور، فضلاً عن تعلق ثقافة الشعراء به تأثُراً وفهماً واقتباساً، إلى جانب اشتراك رموزه بينهم وبين المتلقين، وما له من مكانة في قلب الشاعر والمتلقي على حد سواء، فكأنه قاعدة صلبة يتكئ عليها الشاعر في إيصال شعوره إلى المتلقي.[(٢)]

---

(١) التناص في ديوان لأجل غزة (رسالة ماجستير)، حاتم عبد الحميد محمد المبحوح، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص٦٤.

(٢) انظر: التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر، د. عزة محمد جدوع، مجلة فكر وإبداع، ع٩، الكويت، ١٩٥٣، ص١٣٦-١٣٧.

إلا أن هناك من الدارسين من ينكر أثر القرآن في الشعر، ويرى أن الآثار الروحية فيه جزئية جداً ولا تتجاوز بعض المفردات الإسلامية مثل: الله، والدين، والمعاد، والخلود، وعند شعراء معدودين فقط، ومن هؤلاء الدكتور عز الدين إسماعيل الذي ينكر أثر الإسلام في الشعر ويرى أن الإسلام لم يكن له تأثير في الأدب والنقد(١).

وإذا أمعنا النظر في ما بين أيدينا من أشعار لأبي العتاهية وإلى دلالاتها وكثرة تناصاتها مع القرآن الكريم والسنة فإنه سيثبت بالدليل القاطع أثر الإسلام في شعر أبي العتاهية، فأبو العتاهية تطرق إلى مفاهيم وأفكار وموضوعات إسلامية وعالجها معالجة مستمدة من آيات القرآن الكريم، فهو في بعض أشعاره كأنما يصوغ تلك الآيات شعراً، فقد تميز بقدرته على استيعاب معاني القرآن وصياغتها شعراً، فالقارئ لشعره يستطيع أن يميز من أيّ آية استقى هذا البيت، فكرم البستاني في تحقيقه لديوان أبي العتاهية –مثلاً–، يعقب على قول أبي العتاهية:

لَيتَ شعري فإنَّني لَستُ أدْري	أيَّ يَومٍ يَكونُ آخِرَ عُمري
وَبِأيِّ البِقاعِ تُقبَضُ رُوحي	وَبِأيِّ البِقاعِ يُحفَرُ قَبري(٢)(٣)

وتناص الشاعر في هذين البيتين مع الآية الكريمة ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤)، وفي الآية دعوة إلى التواضع "فالنفس البشرية لتقف أمام هذا الستار عاجزة خاشعة، تدرك بالمواجهة حقيقة علمها المحدود، وعجزها الواضح، ويتساقط عنها غرور العلم والمعرفة المدَّعاة. وتعرف أمام ستر الغيب المسدل أن الناس لم يؤتوا من العلم إلا قليلا وأن وراء الستر الكثير مما لم يعلموه ولو علموا كل شيء آخر فسيظلون واقفين أمام ذلك الستر لا يدرون ماذا يكون غدا! بل ماذا ستكون اللحظة التالية. وعندئذ تطامن النفس

(١) انظر: الأسس الجمالية في النقد الأدبي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٢م، ص١٥٧.

(٢) ديوان أبي العتاهية، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، ص١٧٢. أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل ، ص١٧٠.

(٣) وروى الأصبهاني في كتابه " أن أبا العتاهية، قال: لم أقل شيئاً أحب إليَّ من هذين البيتين في معناهما، وذكر البيتين برواية: يُقبض." (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٤٣–١٤٤)

(٤) سورة لقمان، آية ٣٤.

البشرية من كبريائها وتخشع لله."[1]، يُلمس في البيتين نبرة الحزن والعجز التي تتملك نفس الشاعر من معرفته لحقيقة أن علمه محدود، حتى في الأمور الخاصة به بدرجة شديدة.

ومن الملاحظ في شعر أبي العتاهية أنه لا يفرد قصيده بعينها لموضوع معين فيه تناص مع القرآن الكريم ، ومهما يكن فإن موضوعاته التي عالجها في شعره تدلل دلالة واضحة على حسن إسلامه، وقوة إيمانه وتغلغل المعاني القرآنية في نفسه، وقد تجلت المتناصات القرآنية في الموضوعات التالية:

١- الإقرار بربوبية الله وذكر صفاته، وأسمائه، وتسبيحه، وحمده، وتنزيهه، وتبجيله:

فَالحَمـــدُ لِلّهِ الَّـــذي هــوَ دائـــمٌ	أبَـــداً وَلَـــيسَ لِمَـــا سِـــواهُ دَوامُ
والحَمــــدُ لِلّهِ الَّـــذي لِجَلالِـــهِ	وَلِحِلمِـــه تَتَصـــاغر الأحـــلامُ
والحَمـدُ لِلّهِ الَّـذي هــوَ لَــم يَـزَل	لَا تَســـتَقِلُ بِعِلمِـــه الأوهـــامُ
سُـــبحانَهُ مَلِـــكٌ تَعـــالى جَـــدُّهُ	وَلِوجهِـــهِ الإجـــلالُ وَالإكـــرامُ[2]

تجد الأبيات السابقة في نفس المتلقي مكاناً، وهذا نابع من أنَّ الشاعر قد استقاها من العديد من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [3]، وفي صدر البيت الأخير تناص مع قوله تعالى على لسان الجن المؤمن: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ [4]، والآيات فيها تنزيه لله تعالى و" العرب كانت تزعم أن الملائكة بنات الله، جاءته من صهر مع الجن! فجاءت الجن تكذب هذه الخرافة" [5]، أما عجزه ففيه تناص مع قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالاكْرَامِ﴾[6]، وفيها "إشارة إلى أن الباقي والدائم لذاته هو الله تعالى لا غير والدنيا فانية ، والآخرة وإن كانت باقية لكن بقاءها بإبقاء الله تعالى" [7]. وكل هذا التكثيف التناصي يومئ إلى هدف يتجه إليه الشاعر وهو ترهيب الناس من الموت وما بعده، وتوجيههم إلى الطريق الصحيح، وفيه دلالة على إطلاع

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ، ج٥، ص٢٧٩٩.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٣٥٢.

(٣) سورة الرحمن، الآيات ٢٦-٢٨.

(٤) سورة الجن، آية ٣.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦، ص٣٧٢٧.

(٦) سورة الرحمن، الآية٧٨.

(٧) التفسير الكبير تفسير فخر الدين الرازي، للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ج٢٩، ص١٣٨.

الشاعر، ويُنبئ عن مدى إجلاله للنص القرآني، فهو يقتبس منه في كثير من أشعاره، وهذا يتنافى مع ما ذكر عنه بأنه قال: "قرأت البارحة (عم يتساءلون) ثم قلت قصيدة أحسن منها"(١).

وكذلك تناص الشاعر مع آيات قرآنية فيها ذكر لصفات الله وقدرته وذلك في قوله:

وَهُــوَ الخَفــيُّ الظَّــاهِرُ المَلِــكُ الَّــذي	هُوَ لَم يَزَل ملكاً على العَرشِ استوى
وهُــــوَ المُقَـــدِّرُ وَالمُـــــدَبِّرُ خَلقَـــــهُ	وَهُوَ الَّذي في المُلكِ لَيسَ لـهُ سِوى
وَهُـوَ الَّـذي يَقضـي بِمـا هُـوَ أَهلُـهُ	فينــاً وَلا يُقضـــى عَلَيــهِ إذا قَضــى
وَهُــوَ الَّــذي بَعــثَ النَّبِــيَّ مُحمَّــداً	صَـلّى الإلـهُ عَلـى النَّبِـيّ المُصطَفى
وَهُــوَ الَّــذي أَنجــى وَأَنقَــذَنا بِــهِ	بَعدَ الضَّلال منَ الضَّلالِ إلى الهُدى
وَاللَّيــلُ يَــذهبُ وَالنَّهــارُ وَفيهِمــا	عِبَــرٌ تَمُــرُّ وَفِكــرَةٌ لِأُلــي النُّهــى
حَتّــى مَتــى تَبْغــي عِمــارَةَ مَنْــزِلٍ	لا تَــأْمَنُ الرَّوْعــاتِ فيــه وَلا الأَذى(٢)

تناص الشاعر في المقطع الشعري السابق مع آيات قرآنية كثيرة، تجلت في صدر البيت الأول حيث تناص مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣)، وفيها أن الله جامع بين الظهور والخفاء -وقد أتى بمعنى "باطن" في البيت-، وفي عجز البيت تناص مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾(٤)، وفي صدر البيت الثاني هناك تناص مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾(٥)، "أي قدّر لكل إنسان وحيوان ما يصلحه، فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به"(٦)، وهذا من كمال حكمة الله، وفي عجزه تناص مع قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٧)، وفي البيت الثالث تناص مع قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٨)، وفي صدر البيت الرابع تناص مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٧.
(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٥
(٣) سورة الحديد، آية ٣.
(٤) سورة الحديد، آية ٤.
(٥) سورة الأعلى، آية ٣.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوراني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ج٤، ص٢٤٣.
(٧) سورة الإخلاص، آية ٤.
(٨) سورة البقرة، آية١١٧.

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[١]، وفي عجزه تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[٢]، وفي البيت الخامس تناص مع قوله تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٣]، وفي البيت السادس تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾[٤]، ومن الملاحظ أن المتناصات في هذه الأبيات متتالية من كتاب الله تدل على ثقافة الشاعر الدينية المتعمقة، ومدى اتصاله وتعلق قلبه بآيات القرآن الكريم، والشاعر يترك لنا الباب مفتوحاً لنقرأ ما بين السطور، فكل تناص مما سبق يفتح للقارئ آفاقاً جديدة كلٌ حسب ثقافته، ويظهرُ جلياً أن كل هذا المدح، والثناء على ذات الله يأتي ليؤكد للإنسان العابد للمال أنَّ الله هو الأولى بالعبادة، فأنت-أيها الإنسان- لماذا تبني في الأرض ما لا يبعدك عن عذاب الآخرة؟ فارجع إلى الله وتُب، فأنت خلقت لعبادة الله؛ وليس للخلود في الأرض، واعلم بأنك ستموت في يوم من الأيام لا محالة فاعمل لذلك اليوم.

وفي ذكره لصفات الله وقدرته يخاطب النفوس؛ يسأل ويوجه وينصح، بقوله:

إِذا ماَ خَلوْتَ الدَّهرَ يَوماً فَلا تَقُل   خَلوتُ ولكن قَل عَليَّ رَقيبُ
وَلا تَحسَبَنَّ اللهَ يَغفَلُ ما مضى   وَلا أنَّ ما يخفى عليهِ يَغِيبُ
لَهونا لَعَمْرُ الله حَتَّى تَتَابَعَتْ   ذُنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ[٥].

يستخدم الشاعر كما هي عادته أسلوب الوعظ والإرشاد في أشعاره[٦]، حتى لدى الخلفاء والحكام؛ "وهكذا يُدلل على السبيل التي كان أبو العتاهية يسلكها للتنفيس عن نزعاته والتعبير عن آرائه، بحيث لا يدركه عقاب، ولا لوم، بل لقد كان على هذا يُثاب"[٧]، وهو في هذه القطعة يُذَّكر

(١) سورة الجمعة، آية ٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٥٦.

(٣) سورة إبراهيم، آية ١.

(٤) سورة طه، آية ٥٤.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢١.

(٦) ذكر صاحب الأغاني أن: " الرشيد قال لأبي العتاهية عظني فقال له أخافك، فقال له أنت آمن فأنشده:

لا تَأْمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ   إذَا تَسَتَّرْتَ بِالأبواب والحَرَسِ
واعْلَمْ بأنّ سِهامَ الموت قاصدةٌ   لكلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِسِ
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتها   إنّ السفينةَ لا تَجْرِي على اليَبسِ

، فبكى الرشيد حتى بل كمه.(الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٧٣).

(٧) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، دار الكاتب العربي، القاهرة- مصر، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، ص٢٣٢.

من حوله بالآخرة، وأننا محاسبون على ما نفعل، وأن هذا الحساب يكون على كل ما نفعل وأنَّ لا شيء يخفى على الله لأنه يعلم السرَّ وأخفى، وهذا كله يجيء في سياق الترهيب مما بعد الموت، فالشاعر يريد نقل ما في نفسه من رهبة لما بعد الموت للمتلقي؛ لتكون النجاة للجميع، ولا يظهر ذلك إلاَّ بتعداد صفات الخالق وقدراته، وهذا يدلل –أيضاً– على مدى حُبه للمسلمين، وقد استوحى أبو العتاهية معنى هذا البيت من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(١)، وكذلك من قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢)، أما البيت الثاني ففي صدره تناص مع قوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(٣)، وتناص في عجزه مع قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٤).

يُقر أبو العتاهية بالحكم المطلق للخالق وأن من دبر أحوالنا، وحياتنا هو خالق لطيف بعباده، عالم بالسرائر، ويقول متمثلاً ذلك:

لَقَدْ دَبَّرَ الدُّنيا حَكيمٌ مُدَبِّرٌ ... لَطيفٌ خَبيرٌ عالِمٌ بالسَّرائِرِ(٥)

يتناص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٦)، وفي البيت يُقر الشاعر بأن الله عالم بما يصلح لنا نحن الخلائق، فليتق الإنسان ربه في سره وعلانيته، ليتحقق له الرضا من الله، فيوفقه إلى كل ما يُحب، ويرضى.

وقد تناص الشاعر مع سورة الإخلاص للدلالة على وحدانية الله، ومن الملاحظ أن هذا التناص يتكرر عنده، وهذا يدلل على ما لهذه السورة من مكانة في قلب الشاعر، حيث تجلت معانيها في قوله:

ايأَس مِنَ النَّاسِ وارْجُ الواحِدَ الصَّمَدا ... فَإِنَّهُ هُوَ أَعلى مِنَّةً وَيَدا
إِنْ كانَ مَنْ نالَ سُلطاناً فَسادَ بِهِ ... مُسْتَيْقِناً أَنَّهُ يَبْقى لَهُ أَبَدا
فَقُلْ لَهُ تِهْ فَقَدْ أُعْطيتَ مَنْزِلَةً ... لَمْ يُعْطِها اللهُ في تَدْبيرِهِ أَحَدا

---

(١) سورة ق، الآية ١٦.

(٢) سورة ق، الآية ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٩.

(٤) سورة طه، الآية ٧.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٤٩.

(٦) سورة طه، الآية ٧.

أَوْ لا فَوَيْحَـــكَ لا تَتْعَـــبْ بِنَفْسِـــكَ إِذْ　　　لَمْ تَدْرِ في الْيَوْمِ ما يُقضى عَلَيْكَ غَدا[١]

يتناص أبو العتاهية في صدر البيت الأول مع قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٢]، وفي عجزه مع قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٣]، وفي ذلك إيحاء بأنه قد يئس من الناس، وتوجه إلى الله، الواحد الصمد، المتفضل على الناس، الذي لا يُرد عن بابه أحد جاء يطلبه في حاجة، فهو الإله، بعكس أصحاب النفوس البشرية، فإن أحدهم إذا تَملك سلطاناً ظن أنه لا يُفارقه، وهو يخير المتلقي بين أمرين في الرد على هذا الفعل؛ إما أن تتركه في طغيانه وتعينه على ذلك، وإما –وهو المُقدم– أن تنبهه إلى أن أحوال الدنيا متقلبة، فهي يوم لك، وأيام عديده في يد غيرك، وأنها فانية؛ بعدها يوم الحساب، وقد جاء النص الشعري متواشجاً ومتماهياً مع النسيج القرآني من أجل بلورة موقف الشاعر ورؤيته، وبذلك استطاع النص القرآني أن يكون حجة ودعامة للشاعر أمام المشككين في أن الرزق بيد الله وحده.[٤].

ويتكرر التناص مع السورة نفسها في قوله:

الحمــــــدُ للهِ الواحِـــــدِ الصَّمـــــدِ　　　هـــو الـــذي لَـــمْ يُولَـــدْ ولـــم يَلِـــدِ
عليـــه أرزاقُنـــا فَلَـــيْسَ مَـــعَ الـــ　　　ـــلَّه بنـــا حاجـــةٌ إلـــى أحَـــدِ [٥]

يستمد الشاعر إيمانه بأن الرزق مكتوب، من إيمانه بأسماء الله وصفاته، فالإيمان عنده في القلب والعمل، وهذا يدلل على أنَّ شاعرنا بالإضافة إلى علمه بأسماء الله وصفاته، فهو يعلم معانيها، ولهذا كله فهو يقول: بأن الرزق مادام بيد الله فليس له حاجة إلى غيره، فهو حسبه وكافيه، وهو بهذا يستغني عن الناس، ويُرشد المتلقي إلى أنه إذا طلب فلا يطلب من غير الله، فهو وحده المتفرد بالعبودية، وبالرزق.

٢- ***القيامة وحياة البرزخ وهولهما:***

اعتمد أبو العتاهية في أشعاره التي تذكر يوم الحساب على آيات قرآنية؛ تصف ذلك اليوم وترسم له صورة مذهلة، وتنبع أهمية هذا اليوم عند أبي العتاهية من مساحة الحضور التي حظي بها يوم القيامة في القرآن الكريم والسنة، ومن أنه يوم الفصل بين الدنيا والآخرة، وبين العباد، وهو اليوم الذي يعرف الناس فيه مصيرَهم؛ فهم إما إلى جنة ، وإما إلى سعير، وأبو العتاهية يعلم –كما هي حال كل مسلم عارف بأمور دينه– أنَّ الإيمان به يُوجب تعديل السلوك من أجل السلامة من

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٢١.

(٢) سورة الإخلاص، أية ١.

(٣) سورة الفتح، أية ١١.

(٤) انظر: التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم الداهون، عالم الكتب الحديثة، إربد– الأردن، ط١، ٢٠١١م، ص١٢١.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١١٩.

هذا الموقف!!، لكن كل هذا العلم لا يمنع الصدمة التي يقع بها الخلق يوم القيامة من شدة الخوف من الله وعذابه، فهو يوم طويل عظيم الأهوال، الكل فيه يرجو السلامة، لذلك تراه يقول:

يــا تــاجِرَ الْغــيّ الْمُضِــرَّ بِرُشْــدِهِ ... حَتَّــى مَتــى بــالْغيّ أنــتَ تُغــالي
الْحَمْــــــدُ للهِ الْحَميـــــدِ بِمَنّـــــهِ ... خَسِــرَتْ وَلَــمْ تَــرْبَحْ يَــدُ الْبَطّــالِ
للهِ يَـــــومٌ تَقشَـــــعِرُّ جُلـــــودُهُم ... وَتَشــيبُ مِنْــهُ ذَوائِــبُ الأطفـــالِ
يَـــومُ النَّـــوازِلِ والـــزَّلازِلِ والحَـــوا ... مِـــلِ فيـــهِ إذ يَقـــذِفنَ بالأحمـــالِ
يَـــومُ التَّغـــابُنِ والتَّبـــايُنِ والتـــوا ... زُنِ والأمـــورِ عَظيمَـــةِ الأَهـــوالِ
يَـــومُ يُنـــادى فيـــهِ كُـــلُّ مُضَـــلِّلٍ ... بِمُقَطَّعـــاتِ النَّـــارِ والأَغـــلالِ(١)

يصف أبو العتاهية ذاك اليوم بأوصاف استمد معظمها من القرآن الكريم، فهو يوم تقشعر منه الجلود، وتشيب منه ذوائب الأطفال من شدة الخوف، رغم أنَّهم لم يفعلوا شيئاً يحاسبون عليه، فماذا نقول لأصحاب الذنوب؟ وفيه تضع كل ذات حمل حملها – وهي الأشد تعلقاً بوليدها من غيره – من شدة الخوف، وهو يوم الأهوال العظيمة ويوم التغابن، ويوم تزلزل الأرض، لتخرج ما فيها من أثقال، وهو يستقي معالم هذا اليوم من آيات قرآنية كثيرة؛ ومنها تناصه في البيت الرابع مع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهَّ شَدِيدٌ﴾(٢)، أما البيت الخامس فقد استوحى معناه من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾(٣)، ومن قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾(٤)، وفي البيت السادس تناص مع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾(٥)، المتأمل في هذا المقطع الشعري يرى أنَّ الشاعر يجمع بين العديد من أسماء يوم القيامة، وهذا ليس اعتباطياً، فكل اسم من هذه الأسماء يكمل صورة الموقف العظيم ويوضحها، كل هذا ليعطي للمتلقي الصورة مكتملة، مع رد المتلقي للآيات التي تناص معها، ولو تفكر القارئ في سبب جمعه لأهوال يوم القيامة في قطعة واحدة، فسيجد أنه يحاول أن يُنبه نفس ذاك الإنسان

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٨٣.
(٢) سورة الحج، آية ٢.
(٣) سورة التغابن، آية ٩.
(٤) سورة الزلزلة، آية١.
(٥) سورة الحاقة، الآيتان ٣١-٣٢.

المتعمق بالغي الذي لم يُحَكِّم عقله، فجاء التذكير ليقوِّم الاعوجاج، وليكون رادعاً لهذه النفس المنفلتة.

ولمكانة هذا اليوم في فكر الشاعر، ولكثرة انشغاله به، فهو يرسم لنا صورة أخرى من صور يوم الحشر؛ تلك الصورة التي يحبس النَفَس عندها، وهي صورة تطاير الصحف والناس يأخذونها باليمين والشمال، وذلك في خطابه الموجه للنفس الإنسانية:

أَيا نَفسُ لا تَنسَي كِتابَكِ واذكَري	لَكِ الوَيلُ إن أُعطيتِهِ بِشِمالِكِ
أَيا نَفسُ إنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ تَفَرُّغ	فَدونَكِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ اشْتِغالِكِ
ومَسْئولَةٌ يا نَفسُ أنْتِ فَيَسِّري	جَواباً لِيومِ الْحَشرِ قَبْلَ سُؤالِكِ[(١)]

يعظ الشاعر في هذا المشهد النفوس –متمثلاً نفسه– ومذكراً بضرورة العمل لذلك اليوم الذي تتطاير فيه الصحف ويحذر من أن تؤخذ بالشمال، لأن أخذ الكتاب بالشمال علامة على الهلاك ودخول النار –والعياذ بالله–، والمعاني التي تشي بها الأبيات مستوحاة من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾[(٣)]، وهذا من شأنه أن يؤكد على ضرورة العمل لهذا اليوم، وأنه يجب على الإنسان أن يُعد جواباً لسؤاله يوم الحشر، جواباً بالأعمال لا بالأقوال، لأن النفوس مسؤولة عن كل صغيرة وكبيرة في حياتها، فلنجعل أعمالنا سبيلاً لدخول الجنة، وهذا ما أوحى به في قوله:

لَيتَ شِعري بِيَميني أُعطى	أم شِمالي عِندَ ذاكَ الكِتابا
سامِحِ النَّاسَ فَإنّي أَراهُمْ	أصْبَحوا إلا قَّليلاً ذِئابا
أَفْشِ مَعْروفَكَ فيهم وَأكْثِرْ	ثُمَّ لا تَبْغِ عَلَيْهِ ثَوابا[(٤)]

يجد المتذوق للشعر أنَّ هذه الأبيات هي عبارة عن نظم يخلو من روح الشعر، إلاَّ إن أبا العتاهية يستلهمها من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾[(٥)]، وقوله

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٧٢.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٩.

(٣) سورة الحاقة، آية ٢٥.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤١.

(٥) سورة الحاقة، الآية ١٩.

تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾(١)، ليوصي الإنسان بأن يسامح الناس وإن كانوا لا يستحقون العفو، والمعروف الذي تصنعه لهم في الغالب، ولا تنتظر لهذا المعروف مقابل، هذه الأخلاق هي السبيل إلى الجنان، وإلى أخذ الكتاب باليمين، ولعل ذلك يحيلنا إلى قوله –صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا"(٢).

وعندما يتحدث الشاعر عن المشهد الذي ينتج عن موقف تطاير الصحف، تراه يُذكر بحقيقة انقسام الناس يوم القيامة إلى فريقين؛ فريق إلى الجنة، وفريق في السعير، كل هذا بالنظر إلى ما في الصحيفة التي تمسك بها في يديك، وفي هذا يقول:

سَأُسْأَلُ عَنْ أُمورٍ كُنْتُ فيها ... فَمَا عُذْرِي هُناكَ وَمَا جَوابي
بأَيَّةِ حُجَّةٍ أحتَجُّ يَوْمَ الْـ ... ـحِسابِ إذا دُعيتُ إلى الْحِسابِ
هُما أمرانِ يُوضِحُ عَنهُما لي ... كِتابي حينَ أنظُرُ في كِتابي
فَإمّا أنْ أُخَلَّدَ في نَعيمٍ ... وَإمّا أن أُخَلَّدَ في عَذابِ(٣)

يُحكم أبو العتاهية البناء في هذه الأبيات ليظهر ما ليوم الحساب في نفسه، وقد يكون هذا ظاهراً في توجيه الخطاب لنفسه، والأبيات فيها تناص مع قوله تعالى واصفاً حال أهل الجنة، وأهل النار: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٤)، هذه النهاية كان لها مقدمات؛ فالجنة تحتاج إلى أفعال الخير، والنار تحتاج إلى التعدي على حُرمات الله، فليتقِ الإنسان هذا الموقف بفعل الخير، وليحذر من يُهلك نفسه، ويُذكِّر بوجوب سؤال الإنسان لنفسه عن الأعمال التي يقترفها، وأنه يجب أن يجهز لنفسه جواباً، وهو يدعو الإنسان للتفكير قبل أن يفعل أيَّ أمر يتعدى فيه على حق الله، وحق العباد، لأن هناك آخرة يتم فيها الحساب، وهذا يُحيل المتلقي إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى

---

(١) سورة الحاقة، آية ٢٥.

(٢) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجُعفي، دار الحديث، القاهرة– مصر، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، ج٤، ص١١٠.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣٤.

(٤) سورة هود، الآيات ١٠٦–١٠٨.

الله"[1]، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا."[2]، ويُلاحظ أن أبا العتاهية يجمع في الفكرة الواحدة العديد من التناصات، وهذا يُدلل على ثقافته، ولذلك فمثل هذا النص يحتاج لقارئ مثقف يوازي في ثقافته ثقافة أبي العتاهية؛ حتى لا يصبح النص عقيماً لا يُرى فيه تناص مع القديم[3]، وحتى تُلمح تلك اللوحة الفسيفسائية التي أبدعها أبو العتاهية في تناصه مع العديد من النصوص الدينية[4].

وأبو العتاهية لا يكتفي بذكر يوم الحشر وكفى؛ وإنما يصف الجنة وحال أهلها، والنعيم الحاصل لهم، وهو بذلك يدحض ما قيل عنه بأنه زنديق، لأنه يذكر الموت فقط ولا يذكر الجنة والنار [5]، فتراه يُذكرهم بقوله:

لِلمُتَّقِينَ هناك نُزلُ كَرامَةٍ ... عَلَتِ الوُجُوهَ بِنَضرَةٍ وجَمالِ
زُمَرٌ أضاءَت لَلحِسابِ وُجوهُها ... فَلَها بَريقٌ عِندَهُ وتَلالي[6][7]

تناص الشاعر في هذه الصورة الشعرية مع قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[9]، وهي صورة توحي بالنهاية السعيدة، والكريمة، التي تستحق من الإنسان كل جهد، والذي يدفع الإنسان للوصول إليها ليس خوفه من فقدانها فقط، وإنما لأن البديل عنها موقف كله خزي وعار، بديل يُسهم في دفع نفس الإنسان العاقل لفعل المزيد من الأفعال الطيبة للابتعاد قدر الإمكان عن مثل هذه المواقف المؤلمة.

---

(١) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٥٥٤.

(٢) السابق، ص٥٥٤.

(٣) انظر: ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، عبد الله الغذامي، ص١١٢.

(٤) انظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص١٢١.

(٥) ذكر صاحب كتاب الأغاني" أن منصور قال: أبو العتاهية زنديق أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار وإنما يذكر الموت فقط". (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٨.).

(٦) تلالي: أي تتلألأ.

(٧) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٨٣.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٣٣

(٩) سورة القيامة، الآية ٢٢.

ويلاحظ إطلاق صفة الزنديق بشكل عشوائي على الكثير من الشعراء وخصوصاً المقربين من الخلفاء ومما ذاع صيتهم، فإطلاق صفة زنديق على أبي العتاهية لأنه يذكر الموت فقط، هذا يُخالف المتعارف عليه من معنى الكلمة " فالزندقة فرقة خاصة كانت تطلق على أصحاب الاثنين من المانوية، ويبدو أنه توسع في استعمالها بعد ذلك ، فأصبحت تطلق على ضروب الإلحاد بوجه عام"[١].

٣- التقوى:

التقوى (فضيلة أراد بها القرآن أحكام ما بين الإنسان والخلق، وأحكام ما بين الإنسان وخالقهِ، لذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في أكثر آياته الأخلاقية والاجتماعية) [٢].

ولقد أكثر أبو العتاهية من توظيف مفردة التقوى وما يتعلق بها من أسباب ومبررات، وهذا يدلل على صحة معتقده، ودحض تُهم من اتهموه بالكفر والزندقة، ففي ذكره للتقوى يقدم أبو العتاهية صوراً مختلفة لها، حيث يذكر أسبابها ومبرراتها، فهي عنده الزاد الموصل إلى الجنة، بل هي أفضل زاد كما يتجلى في قوله:

تَلْهــو وَلِلْمَــوْتِ مُمْســانا وَمُصْــبَحُنا ... مَـنْ لَـمْ يُصـبِّحْهُ وَجْـهُ الْمَـوْتِ مَسَّـاهُ
كـم مِـنْ فَتـىً قَـدْ دَنَـتْ لِلْمَـوتِ رِحلَتُـهُ ... وَخَيــرُ زادِ الْفَتَــى لِلْمَــوتِ تَقْــواهُ
مـا أَقْـرَبَ الْمَـوْتَ فـي الـدُّنيا وأَفظَعَـهُ ... ومــا أَمَــرَّ جَنــى الــدُّنيا وأَحــلاهُ[٣]

استلهم الشاعر المعاني الواردة في هذا المشهد الشعري من قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٤]، ليستفهم عن عدد الذين اقترب أجلهم؟، فملك الموت ينظر إلى وجوهنا في الصباح والمساء، ويتساءل أبو العتاهية: هل هناك من زاد أفضل من التقوى للميت؟، فالإنسان لا يأخذ معه غير الأعمال الصالحة.

وقد صور الشاعر التقوى بأنها مدعاة للفخر، والكرامة. وهي ميزان التفاضل في الكرامة بين الناس، وذلك في قوله[٥]:

---

(١) التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية– مصر، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٥٠.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص١٠٠-١٠١.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٢٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٥) وذكر صاحب الأغاني: "أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مهرويه قال: قال الخليل بن أسد:=

ألاَ إنَّمـــا التَّقْـــوى هُـــوَ العِـــزُّ والكَـــرَمْ وحُبُّـــكَ لِلـــدُّنْيا هُـــوَ الـــذُّلُّ والعَـــدَمْ
ولَـــيْسَ عَلـــى عَبْـــدٍ تَقِـــيٍّ نَقيصَـــةٌ إذا صَـحَّح التَّقْـوى وَإنْ حـاك أو حَجَـم [1]

كشفت المعاني الواردة في هذا المشهد الشعري عن الخيار الأخر الذي يُطرح في مقابل التقوى هو حب الدنيا، الذي لا يورث غير الذل والخضوع، وميزان التقوى –عنده– ليس فيه قيمة للمهنة التي يمتهنها الإنسان، فهي لا تُنقص من قدره إذا رفعته التقوى، فالرجل التقي القانع الراضي بالقليل من حطام الدنيا هو أعلى الناس منزلة وأشرفهم وأعزهم، وهو الملك الحقيقي[2]، والشاعر يستخدم تقانة المقابلة ليبين أهمية التقوى التي جعلها الشاعر مقياس الاقتراب من الكمال الإنساني، وذلك في قوله:

وإنِ اتَّقَيْـــــتَ فَـــــإنَّ تَقْـــــوى اللهِ مـــــنْ خَيْـــــرِ النَّفَـــــلْ
وإذا اتَّقـــــــى اللهَ الفتـــــــى فيمـــــا يُريـــــدُ فَقَـــــدْ كَمَـــــلْ[3]

ومن معاني التقوى عنده مجاهدة النفس هواها، وجهادها هو الجهاد الأكبر الذي يوصل الإنسان إلى الكرامة والتقوى، حيث يقول:

أَشَـــدُ الْجِهـــادِ جِهـــادُ الْهَـــوى* وَمـــا كَـــرَّمَ الْمَـــرْءَ إلاَّ التُّقـــى[4]

تناص الشاعر في الأبيات السابقة مع المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[5]، ليوحي بأن جهاد النفس –المانع للنفس من الوقوع في ما حرم الله– هو أصعب الجهاد، وهذا الجهاد وهو الذي يوصل الإنسان إلى التقوى.

=كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول: أبو إسحاق الخزاف، وكان أبوه حجاماً من أهل ورجة ولذلك يقول أبو العتاهية:

ألاَ إنّمـــا التَّقْـــوَى هـــو العـــزّ والكَـــرَمْ وحُبُّـــك للـــدّنيا هـــو الفقـــر والعَـــدَمْ
ولـــيس علـــى عبـــدٍ تَقِـــيٍّ نقيصـــةٌ إذا صـــحّح التّقـــوى وإن حـــاك أو حَجْـــم

(الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٤).

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣٤٨– ٣٤٩.

(٢) انظر: أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٨٤.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣١٦.

- ويبدو أن هذه القول فيه تناص مع قول عمر بن عبد العزيز " فعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ؛ قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جِهَادُ الْهَوَى." (المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ، ج٥، ص١٤٨.)

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٧.

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٣.

ومن مظاهر التقوى الكفر بالطواغيت مع الإيمان بالله، ومنْ يفعل ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن لَمْ يوالِ الله والرُّسل التي بُعثت لهداية الناس فوليه الطاغوت، ويؤكد الشاعر على ضرورة التوحد على كلمة التوحيد وأنه لا تجمع حقيقي على غيرها، وفي مثل هذه المعاني يقول:

لِـمَ لاَ نبـادِرُ مَـا نـراهُ يَفـوتُ إذْ نحْـنُ نعْلَـمُ أنَّنَـا سَـنَموتُ
مَـنْ لَـمْ يُـوالِ اللهَ والرُّسُـلَ الَّتـي نَصَـحتْ لَـهُ فَوَلِيُّـهُ الطَّـاغوتُ[1]

يتناص الشاعر في هذا الأسلوب الإستفهامي مع قوله تعالى:﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ليوحي "بتكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني"[3]، وبذلك يستنكر أبو العتاهية على مَنْ يُضيِّع الحياة بدون اتباع للدين وهو يعلم أنه سيموت، وقد ألح على هذا الاستنكار في قوله:

وَلا تَجْعَلَـنَّ الْحَمْـدَ إلاَّ لأَهْلِـهِ وَلا تَـدَعِ الإِمْسـاكَ بـالعُروَةِ الـوثقى[4]

استلهم أبو العتاهية المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[5]، ومع قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6] ليكشف عن القيمة الأخلاقية والتي مفادها : أن ينسب الإنسان المعروف إلى أهله.

٤- الموت والفناء والبعث والنشور:

أكثر أبو العتاهية من ذكر الموت حتى كان السبب في اتهامه بالزندقة، ولم يشفع له أن شعره يحتوي على كثير من المعاني في العديد من الأغراض، لكن أعين الحُسَّاد عميت عن رؤية

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٣.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٩١
(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٤٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٦

كل هذه المعاني، وحللت ذكره للموت تحليلاً يقدح في إيمانه، وذكره للموت في الحقيقة يأتي في سياق زهده في الدنيا، فلماذا الحرص على الدنيا والتفاخر فيها وآخرها الموت والقبر؟، وإن هي لم تبقَ لأحب الخلق على الله سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – فهي بالضرورة لن تبقى لغيره من الخلق!!، حيث يقول:

الْمَــوْتُ لا والِــداً يُبْقــي ولا وَلَــدا ... ولا صَــغيراً ولا شَــيْخاً ولا أحَــدا
كــانَ النَّبِــيُّ فَلَــمْ يَخْلُــدْ لِأُمَّتِــهِ ... لَــوْ خَلَّــدَ اللهُ حَيَّــاً قَبْلَــهُ خَلَــدا
لِلْمَــوْتِ فينــا سِــهامٌ غَيــرُ مُخطِئَــةٍ ... مَــنْ فاتَــهُ الْيَــوْمَ سَــهمٌ لَــمْ يَفُتْــهُ غَــدا
مــا ضَــرَّ مَــنْ عَــرَفَ الــدُّنْيا وغِرَّتَهــا ... ألاَّ يُنــافِسَ فيهــا أهْلَهــا أبَــدا[1]

تناص الشاعر في المقطع الشعري السابق مع آيات كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[3]، ليكشف من خلال هذا التناص عن قناعاته الراسخة بأن الموت حقٌ على كل مخلوق صغيراً كان أو كبيراً، وعلى السابقين، وحتى على النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومَنْ لم يمت اليوم فلأنَّ أجله لم يأتِ، ولكنه سيأتي عما قريب !!

ولهذا فالدنيا عنده لا داعي للتنافس فيها ما دام آخرها الموت والفناء، وقد عبر عن هذه المعاني بقوله:

أَلاَ إنَّنــــــا كُلَّنــــــا بائِــــــدُ ... وَأَيُّ بَنــــــي آدَمٍ خالِــــــدُ [4]

وقوله:

أَمــاَ مِــنَ الْمَــوْتِ لِحَــيِّ نَجــاَ ... كُــلُّ امْــرِئٍ آتٍ عَلَيْــهِ الْفَنــا [5]

والدنيا عنده لا داعي للمنافسة عليها لأن الموت حقيقة لابد منه مهما طالت آجال الناس أو قصرت، فالموت لم ينجُ منه أحد قبل ذلك، والموت هو السبيل المشترك الذي لا بُدَّ أن يسلكه كلُّ حيّ، وفي ذلك يقول:

أَمّــا جَميــعُ الخَلْــقِ فيهــا فَمَيِّــتٌ ... وَلكــنَّ آجــالاً تَطــولُ وَتَقْصُــرُ [6]

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١١١.
(٢) سورة الرحمن، الآية ٢٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٤-٣٥.
(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٠٢.
(٥) السابق، ص٨.
(٦) السابق، ص١٦٩.

استلهم الشاعر المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣)، ليسلط الضوء على الفكرة المسيطرة عليه وهي فكرة الموت، التي هي نهاية الخلق مهما طالت الحياة أو قصرت، ولا أحد سينجو من ذلك، ولا خلود في الدنيا، ويتضمن كل هذا الدعوة إلى العمل للآخرة للفوز بالجنان مادامت الدنيا دار ممر، والدنيا منتهية لا محالة، ولا خلود فيها وكل ما فيها من بهجة وسرور فانٍ، ولابد لكل إنسانٍ أن يدركه الموت فهو يصوره بالنبع الذي لابد أن يرده كل إنسان شاء ذلك أم أبى، فالأمر قد بُتَ فيه وانتهى الأمر، ويتجلى ذلك في قوله:

كُلُّ نَفْسٍ سَتُوَفَّى سَعْيَها وَلها ميقاتُ يَومٍ قَدْ وَجَبْ (٤)

تناص الشاعر في هذا البيت مع قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾(٦)، ليوحي "بأن الخلائق جميعاً السابقين منهم واللاحقين، سيجمعون ويحشرون ليوم الحساب الذي حدَّده الله بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر"(٧).

وحقيقة الموت عنده مقرونة بقانون من قوانين السماء، ومحتوى هذا القانون أن مدة حياة الإنسان مشروطة بانقطاع رزقه الذي حدده الله له، وكأن الإنسان ورقة في شجرة، إذا انقطعت عوامل الحياة عنها سقطت، وجفت، وهذا وفق قضاء الله وقدر كما كُتب في اللوح المحفوظ، وقد تجلت هذه المعاني في قوله:

لِكُلِّ امْرِئٍ حَيٍّ مِنَ المَوتِ خُطَّةٌ يَصيرُ إِلَيْها حِينَ يَستَكمِلُ الرِّزْقا(٨)

استلهم الشاعر المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٩)، ليبرز أن الموت بيد الله، فالإنسان منا كأنه يسير على طريق

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٦.

(٢) سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٨.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨١.

(٦) سورة الواقعة، الآية ٤٩-٥٠.

(٧) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ج٣، ص١٢٧١.

(٨) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٤٥.

(٩) سورة الأعراف، الآية ٤٥.

مرسوم، أو خطة مكتوبة، لا تنتهي إلى آخرها حتى يستكمل رزقه، وأنَّ الموت خارج عن إرادة الإنسان وقدراته، فالموت لا يُردُّ بكثرة جمع لمال، ولا بوفير أسباب البقاء، وفي هذا يقول:

أبْلِغِ الجامِعَ أنْ لَوْ قَدْ أتى يَوْمُهُ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ ما جَمَعْ[1]

تجلى في هذا البيت التناص مع قوله تعالى:﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2]، ليكشف أن الموت نهاية الحياة الدنيا وبداية لحياة جديدة تبدأ بالبعث ثم الحساب، وهذا المعتقد هو ما يميز المؤمن المسلم عن بقية عباد الله، ويوم الحساب هو الوقت الذي ليس فيه عمل وإنما جزاء فقط، وهو المميز بين طريقين، فإما إلى جنة وإما إلى نار كُلٌ حسب عمله، وفي ذلك يقول الشاعر:

فَما مُوّتَ الأَحْياءُ إلاَّ لِيُبْعَثوا وإلاّ لِتُجزى كُلُّ نَفْسٍ بِما سَعَتْ[3]

يستلهم أبو العتاهية البيت من قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[4]، ليؤكد على أن الموت ليس النهاية التي ليس بعدها شيء، وإنما هو بداية لحياة يكون فيها الحساب، ففي يوم الحساب؛ حساب ولا عمل، والدنيا عمل ولا حساب.

وقد يغدو الموت عنده فارساً بطلاً لا يُغلب حتى من الجن أو الإنس، إنه القوة العجيبة التي ما بعدها قوة، وفي هذا يقول:

ما يدفُع الموتَ أرصادٌ ولا حرسُ ما يغلبُ الموتَ لا جِنٌ ولا إنسُ
ما إن دَعَا الموتُ أملاكاً ولا سوقاً إلا ثَنَاهُمْ إليه الصرعُ والخُلَسُ
لِلْمَوْتِ ما تلدُ الاقوامُ كُلُّهُم وللبلى كُلّ ما بَنَوا وما غَرَسُوا[5]

تناص الشاعر في هذه الفكرة مع قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[6]، وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾[7]، ليوحي بأن الموت لا غالب له من الإنس أو الجن.

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢١٨.
(٢) سورة الشعراء، الآيتين ٨٨-٨٩.
(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٧٠.
(٤) سورة طه، الآية ١٥.
(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٨٨.
(٦) سورة النساء، الآية ٧٨.
(٧) سورة الجمعة، الآية ٨.

من كل هذا يُستنبط ما لحقيقة الموت من أثر في نفس الشاعر، فهو أسير ينتظر الفكاك، ويُلمس منها أيضاً الروح الخائفة في داخله والتي تخشى مما بعد الموت، ويبقى السؤال: هل ما بعده جنة فيفرح؟ أم غير ذلك؟، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

يشير البعض إلى مثل هذا الأبيات بأنها نابعة من النزعة الجبرية، وبأنها نابعة "ولا شك من الفشل في الوصول إلى تحقيق قدر معقول من الأماني والآمال يدفع إلى التعلق بهذه النزعة، وعلى قدر الفشل يكون مقدار التعلق، والهروب من الانتساب إلى هذا الفشل يعزو كل ما يتم من أمور الحياة الدنيا إلى القوى الغيبية استناداً إلى تعطيل حرية الإنسان وإرادته في نزوله إلى الحياة وخروجه منها"(١)، لكن هذا التسليم منه بالقضاء والقدر قد يقرأ بخلاف ذلك، فهذا رد المهدي على أبيات قالها أبو العتاهية في مواساته في وفاة ابنته: "أحسنت ويحك، وأصبت ما في نفسي ووعظت وأوجزت، وأمر له لكل بيت بألف درهم"(٢).

٥- الصلاة والزكاة :

جاء ذكر الصلاة في زهد أبي العتاهية منبعثاً من تأكيد القرآن الكريم على إقامتها في وقتها، فهي عمود الدين، وأساسه، فمن هدمها هدم الدين ومن أقامها فقد أقام الدين، بل إنها هوية المؤمن للمرور على الصراط المستقيم يوم القيامة، وطهورها علامة للمؤمنين يوم القيامة، فهم المحجَّلون، وإذا قبلت قُبل ما سواها، يقول أبو العتاهية مؤكداً على إقامتها في وقتها:

أَقِمِ الصَّلاةَ لِوَقْتِها بِطَهورِها   وَمِنَ الضَّلالِ تَفاوُتُ المِيقاتِ(٣)

يوظف أبو العتاهية المعاني الواردة في قوله تعالى:﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾(٤) في صدر البيت الأول، "حيث يحتضن الخطاب القرآني ركناً أساسياً من أركان الإسلام (الصلاة)، وهي عمود الدين، ورباطُهُ المتين؛ لأنَّها تُغيِّرُ واقعَ الإنسان، وحياته، فضلاً عن استمرارية علاقته مع الخالق"(٥)، وفي عجز البيت يؤكد على أن تفاوت موعد إقامتها ضلال وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(٦)، وما يُبين عِظم هذا

(١) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٨٣.

(٢) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٥٦.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧٨.

(٥) التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم الداهون، ص١٢٨.

(٦) سورة الماعون، الآيتان ٤-٥.

الركن في صدر شاعرنا ما ذكرته كُتب التراجم من حرص أبي العتاهية على هذا الركن، فهو الذي كان يذهب إلى المسجد ماشياً ويعود راكباً[1]، والصحيح أنَّ هذه العلامة لا تختص بدين الإسلام فقط، بل هي من أساسات جميع الأديان، فالله تعالى يقول على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[2].

وعلى ما يبدو أن أبا العتاهية قد تنبه للصلة الوثيقة بين الصلاة والزكاة، فالصلاة تعبر عن علاقة الإحسان ما بين العبد وربه، والزكاة تعبر عن علاقة الإحسان ما بين العبد وعباد الله، وتنبه للاقتران الكبير بينهما في آيات القرآن الكريم، فقد ألحق للبيت السابق ببيتين يحث فيهما على الإنفاق – وهو الذي اتهم بالبخل كما ذكرنا– وهو في البيتين يذكر مَنْ حوله بضرورة الإنفاق، ويؤكد على الأهمية بأن الزكاة مقرونة بالصلاة، حيث يقول:

وَإذا اتَّسَعْتَ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَاجْعَلَنْ	مَنْهُ الأَجَلَّ لأَوْجُهِ الصَّدَقاتِ
في الأَقْرَبينَ وفي الأَباعِدِ تارَةً	إنَّ الزَّكاةَ قَرينَةُ الصَّلَواتِ[3]

يؤكد الشاعر في البيت الأول على ضرورة إخراج الزكاة، وجعل ذلك من أفضل المال وأعلاه، ثم يعدد من صورها فهي: للأقارب ولغيرهم ممن يستحقونها، ويستلهم هذا من قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾[4]، وأما عجزه فيشير إلى اقتران الزكاة بالصلاة وهذا الاقتران تكرر أكثر من خمس وعشرين مرة في القرآن الكريم، وفيه تناص مع قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5]، ومع قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[7].

---

(١) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ج٤، ص١٧٥٨.

(٢) سورة مريم، الآيتان ٣٠-٣١

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٥) سورة النور، الآية ٥٦.

(٦) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٧) سورة الحج، الآية ٤١.

ومن الجدير بالذكر أن يُذكر ما للصلاة من فضل على أبي العتاهية، فهي السبب في أن حمدويه[١] صاحب الزندقة تركه وحاله بعد أن أُتهم أبو العتاهية بالزندقة[٢].

وقد كان لإقامة أبي العتاهية في "عبادان"[٣] بالغ الأثر، فهو يفضل الارتقاء بالعبد بالنوافل، كما ورد في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–:"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ..."[٤]، حتى يتقرب إلى الله، حيث يقول:

إنَّ القَريـــــرَةَ عَيْنُـــــهُ عَبْـــــد	خَشِـــيَ الإلـــهَ وعيشـــهُ قصْـــدُ
عبـــدٌ قليـــلُ الـــنومِ مجتهـــدٌ	للهِ ، كـــلُّ فعالـــهِ رشـــدُ
نـــزهٌ عـــنِ الـــدُّنيا وباطِلِهـــا	لا عَـــرَضٌ يَشْغَلُـــهُ ولا نَقْـــدُ
مُســـتَجهلٌ فـــي اللهِ محتقـــرٌ	هـــزلُ المخافـــةِ عنـــدهُ جـــدُّ
متـــذلّلٌ لله مرتقـــبٌ	مـــا ليـــسَ مـــن إتيانـــه بـــدُّ
رفـــضَ الحيـــاةَ علـــى حلاوتِهـــا	واختـــارَ مـــا فيـــه لـــهُ الخلـــدُ[٥]

رسم الشاعر في هذا المشهد صورة لعباد عبادان تناص فيها مع قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والأبصارُ﴾[٧]، وقد كشق لنا هذا التناص عن شخصية قلقة،

---

(١) حمدويه أو حمدنه (صاحب الزنادقة): مُحَمَّد بن عِيسَى من أهل ميسَان كَانَ الْمهْدي جعل أَمر امتحان الزَّنَادِقَة إِلَى عمر الكلوذاني وَكَانُوا كَثُرُوا فِي أَيَّامه فَشدد عَلَيْهِم وَقتل مِنْهُم خلقا كثيرا ثمَّ مَاتَ عمر فقرر بعده حمدونه فاشتهر حَتَّى لَا يُقَال لَهُ إِلَّا حمدونه صَاحب الزَّنَادِقَة.(نزهة الألباب في الألقاب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ج١، ص٢١٤.)

(٢) أخبرني النسائي عن محمد بن أبي العتاهية قال: كانت لأبي العتاهية جارة تشرف عليه، فرأته ليلة يقنت. فروت عنه أنه يكلم القمر، واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة فصار إلى منزلها، وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يصلي، ولم يزل يرقبه حتى قنت وانصرف إلى مضجعه، وانصرف حمدويه خاسئاً. (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٨.).

(٣) عَبّادانُ: بتشديد ثانيه، وفتح أوله، قال بطليموس: عبّادان في الإقليم الثالث، طولها خمس وسبعون درجة وربع، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وقال ابن الكلبي: أول من رابط بعبّادان عبّاد بن الحصين. (معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ج٤، ص٧٤.)

(٤) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجُعفي، ج٤، ص٢١٧-٢١٨.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١١٤-١١٥.

(٦) سورة الذاريات، الآية ١٧

(٧) سورة النور، الآية ٣٧.

تخاف من الاتي بعد الموت، لذلك فهي تُعد العدة للاستعداد، وإن كان هذا الإعداد يُجهد نفسه، ويُبعدها عن الحياة الرغيدة.

٦- الأخلاق الإسلامية:

كان للأخلاق حضور في أشعار أبي العتاهية، وهو في تذكيره بهذه الأخلاق "يُحاول أن يأخذ بيدك في رفق، بالحجة مرة، وبالموعظة مرة أخرى، ليدلك على الطريق"(١)، وقد يكون ذلك نابعاً من معرفة أبي العتاهية بأن الإيمان هو الخلق ومَنْ زاد خُلُقه زاد إيمانه، وأنَّ الحبيب المصطفى لما مدحه الله قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)، لهذا كُله تراه يدعو إلى خُلُق التواضع بين المسلمين، لأن به يتحقق الفوز في الدنيا والآخرة، وقد تجلى ذلك في قوله:

وَارْعَ الْجِوارَ لِأَهْلِهِ مُتَبَرِّعاً ... بِقَضاءِ ما طَلَبوا مِنَ الْحاجاتِ
وَاخفِضْ جَناحَكَ إنْ رُزِقْتَ تَسَلُّطاً ... وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ هَنٍ وَهَناتِ(٣)

وفي البيت تناص مع قوله تعالى في أمره للنبي –صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، هذا التواضع يجب أن يتخلق به الفقير، والغني، إلا أنَّ أبا العتاهية ينبه صاحب السلطة دون غيره من الوقوع في مثل هذا الخلق السيئ عملاً بأخلاق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وخصوصاً مع أهل الجوار فهم أحق بنصيحة أبي العتاهية بالتذلل، لأنه الأقرب إلى التكبر من الفقير، صاحب الحاجة.

ومن القيم الأخلاقية التي يحرص على استثمارها تذكير المتلقي بوصية لقمان الحكيم لابنه –كما ذكر القرآن– في تهذيب نفسه، وذلك في قوله:

وإذا نَطَقْتَ فَلا تَكُنْ هَذِراً ... واقصِدْ فَخَيرُ النَّاسِ مَنْ قَصَدا(٥)

استثمر الشاعر القيم الأخلاقية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(٦)، ليذكر من خلالها بالأخلاق الإسلامية التي تحث على

---

(١) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٨٤.

(٢) سورة القلم، الآية ٤.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٦٠.

(٤) سورة الشعراء، الآية ٢١٥.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل،ص١١٨.

(٦) سورة لقمان، الآية ١٩.

أن يكون الكلام في الخير، وفي موضعه لكي يحقق القيمة المرجوة من ورائه، لذلك فهو ينكر على الذي يأتي ما نهى الله عنه، ويأمر الناس بالخير ولا يفعله، فالله قد نهى عن هذا الفعل، وقد تجلت هذه المعاني في قول الشاعر:

يـــا ذا الَّـــذي يَقْـــرَأُ فـــي كُتُبِـــهِ ... مـــا قَـــدْ نَهـــى اللهُ ولا يعمَـــلُ
قَـــدْ بَـــيَّن الرَّحمـــانُ مَقْـــت الَّـــذي ... يَـــــأمُرُ بِـــــالْحَقِّ ولا يَفْعَـــــلُ
مَـــنْ كـــانَ لا يُشْـــبِهُ أفْعالُـــهُ ... أقْوالَــــهُ فَصَــــمْتُهُ أجْمَــــلُ(١)

رسم الشاعر في هذا المشهد الشعري صورة للإنسان الذي يقرأ في كتاب الله ولا يلتزم بتعاليمه، مستلهماً بذلك قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢)، ومستنكراً هذا الفعل، بل ويرى أنه من الأولى السكوت؛ لأن هذا يُنافي العقل.

وكذلك يتعجب الشاعر من الإنسان المتكبر كيف يتكبر؟ وكيف له أن يتكبر وقد خُلق من طين ومن ماء، وفي هذا يقول:

فَـلا تَمْـشِ يَومـاً فـي ثِيـابِ مَخيلَـةٍ ... فإنَّـكَ مِـنْ طـينٍ خُلِقْـتَ وَمـاءِ(٣)

تناص الشاعر في صدر البيت مع قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾(٤)، وفي عجزه تناص مع قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾(٥)، ليبرز من خلال هذا التناص ضعف الإنسان، وكيف لإنسان ضعيف مخلوق من تُراب أن يتكبر على الخلق ويمشي في خُيلاء، هذا لعمرك في القياس بديع!!.

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل،ص٢٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ٤٤.
(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣.
(٤) سورة الإسراء، الآية ٣٧.
(٥) سورة الصافات، الآية ١١.

٧- **القصص القرآني:**

أ- قصة ارم ذات العماد "عاد إرم":

وهي "عاد الأولى. وقيل: إنها من العرب العاربة أو البادية. وكان مسكنهم بالأحقاف وهي كثبان الرمال في جنوبي الجزيرة بين حضرموت واليمن، وكانوا بدوا ذوي خيام تقوم على عماد. وقد وصفوا في القرآن بالقوة والبطش، فقد كانت قبيلة عاد هي أقوى قبيلة في وقتها وأميزها: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ﴾(١) في ذلك الأوان.." (٢).

أفاد أبو العتاهية من التناص مع القصص القرآني في توصيل المراد من كلامه بأقل الكلمات معتمداً بذلك على ثقافة المتلقي، فالقصة القرآنية رافد من روافد الإبداع الفني لما فيها من متعة وإفادة، وإغناء بالإشارة، وما لها من دلالات عميقة، وبخاصة حين تصبح هذه القصص القرآنية قناعاً فنياً أو معادلاً موضوعياً للشاعر إذ يكشف استدعاء القصص القرآني ألواناً من الانفعالات الجمالية والنفسية، ويضع ثقافة الشاعر على المحك، إذ تتوارد الصور المخزنة على الذهن(٣)، وتثير انفعالات المبدع فيتناص معها، وقد أجاد أبو العتاهية ذلك فتناص مع القصص القرآني وهذا ما رسخَ لديه خُلُق التواضع ونلمس ذلك من خلال استثماره لفاعلية التساؤل عن مصير القرون الماضية الذين بنوا الحصون وشيدوا المدائن، وذلك في قوله:

أيْنَ الْقُرونُ بَنُو الْقُرونِ ... وَذَوُو المَدائن والْحُصونِ
وَذَوُو التَّجَبُّرِ في المَجالِسِ وَالتَّكَبُّرِ في العُيونِ(٤)

استثمر الشاعر الفاعليات الدلالية والجمالية الواردة في قصة "عاد إرم" وهي عاد الأولى، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾(٥)، دون أن يُشير إلى اسم القصة داخل النص، وإنما ترك للمتلقي حرية استحضار الاسم والقصة، واستوحى أبو العتاهية النص القرآني ليومئ للمتلقي بأنه لا خلود على هذه الأرض لأيّ كان ، ويُذكر بالموت

---

(١) سورة الفجر، الآية ٨.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦، ص٣٩٠٣.

(٣) انظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- ليبيا، ط١، ١٩٧٨م، ص٢٠ وما بعدها.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣٦٤.

(٥) سورة الفجر، الآية ٦-٨.

الذي سيطال جميع المخلوقات مهما تبلغ القوة المادية والعمرانية، وتناصه مع هذه القصة القرآنية، يجعل القارئ يستحضر النهاية الأليمة التي عاشها أهل إرم. (١)

ب-قصة عاد وثمود:

ويذكر كذلك قصة الأقوام السابقة مثل عاد وثمود، ويأتي ذلك أيضاً في سياق حديثه عن الموت والتحذير مما بعده، والدعوة إلى العمل الصالح للنجاة في الآخرة، حيث يقول:

المَنايــــا تَجـــوسُ كـــلَّ الـــبِلادِ والْمَنايـــا تُفْنـــي جَميـــعَ الْعِبـــادِ
لَتَنـــالَنَّ مِـــنْ قُـــرونٍ أراهـــا مِثْـلَ مـا نِلْـنَ مِـنْ ثَمـودٍ وعـادِ(٢)

والشاعر يتناص في البيتين السابقين مع قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾(٣)، حيث استعان بالقصة القرآنية في توضيح فكرة أنَّ النهاية حتمية لجميع النَّاس وإن اختلفت النهاية، والأبيات فيها تحذير ضمني من نهاية شبيهة بنهاية عاد وثمود.

"ولو أردنا أن نتقصى ما أخذ من القرآن الكريم لوجدنا من ذلك شيئاً كثيراً منبثاً في ديوانه يطالعنا في زهدياته في كل قصيدة أو في كل صفحة منه، أو ما يقرب من ذلك. وهو لا يأخذ من القرآن فحسب، وإنما يتطلع كذلك إلى السنة النبوية"(٤)

---

(١) انظر: التناص في شعر الرواد، د. أحمد ناهم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص٩٩-١٠٠.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١١٢.

(٣) سورة الحاقة، الآيات ٤-٦.

(٤) أبو العتاهية، حياته وشعره، د. محمد الدش، ص٣١٦.

التناص مع الكتب السماوية:

لم يقتصر التناص عند أبي العتاهية على ما جاء في القرآن الكريم والسنة، بل تعدى ذلك إلى ما جاء في الكتب السماوية من نصوص توراتية وإنجيلية ، ليرفد مادته الشّعرية بما تحتويه هذه النصوص من قيم يوظفها لخدمة موضوعه، قد يكون القرآن أو الحديث تعرض لها أو صححها.[1]، وقد يُرى الشاعر في بعض تناصاته مع القرآن الكريم ينكر أفعالاً لأهل الكتاب أنكرها القرآن الكريم، فيقول مُستلهماً:

شَــرُّ أيّــامي هُــوَ الْيَــوْمُ الَّــذي أقْبَــلُ الــدُّنيا بِــدِيني عِوَضــا[2]

قد يكون أبو العتاهية استلهم معنى هذا البيت من العديد من الآيات القرآنية ومنها؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾[5]، يظهر من أمثال هذا التناص العقيدة الراسخة لدى أبي العتاهية، في عدم التأثر بالعقائد الفاسدة رغم ما يُذهب إليه من اطلاعه على كتب التوراة والإنجيل، فالشاعر ينكر على المتلقي فعل شراء الدنيا بالآخرة، متمثلاً في ذلك نفسه، ويعتبر هذا من المهلكات في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: التناص في الشعر العربي الحديث –البرغوثي نموذجاً–، حصة البادي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان– الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م، ص٤٧.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٤.

ثانياً: التناص مع التوراة:

التوراة هي "الْكتاب الْمنزل على مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام و (عِنْد أهل الْكتاب) أسفار مُوسَى الْخَمْسَة والعهد الْقَدِيم عِنْد النَّصَارَى"[١]، "ويطلقها اليهود على خمسة أسفار يُقال إنَّ موسى كتبها، وهي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية"[٢].

ويشير سيد قطب إلى ضياع التوراة الأصلية –توراة موسى– قائلاً: " فالتوراة التي أنزلها الله على موسى قد حرقت نسخها الأصلية على يد البابليين عند سبي اليهود. ولم تعد كتابتها إلا بعد قرون عديدة– قبيل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون– وقد كتبها عزرا (وقد يكون هو عزيز) وجمع فيها بقايا من التوراة. أما سائرها فهو مجرد تأليف!" [٣]

وقد أكد محمد رشيد القلموني[٤] ما ذهب إليه سيد قطب، لكن هذا "لا يعني أنَّ فقدان التوراة الأصلية ضياع كل ما فيها من أحكام وشرائع، فذلك لا يتفق مع ما ورد في القرآن الكريم"[٥] في مثل قوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[٦]، والراجح أنَّ "ما في أيدي اليهود، والنصارى اليوم من التوراة والأناجيل المتعددة، والأسفار، والإصحاحات، التي بلغت العشرات، ليست هي عين التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، ولا عين الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام؛ لانقطاع أسانيدها، واحتوائها على كثير من التحريف، والتبديل، والأغاليط، والاختلاف فيها، واختلاف أهلها عليها، واضطرابهم فيها، وأن ما كان منها صحيحا فهو منسوخ بالإسلام، وما عداه فهو محرف مبدل، فهي دائرة بين النسخ والتحريف." [٧].

يتناص الشاعر مع التوراة في العديد من المواضيع، لكن هذا التناص لا يتعدى في الغالب مع الأفكار والمعاني الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد تجلت هذه التناصات في الموضوعات الآتية:

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٩٣.

(٢) استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، د. إخلاص فخري عمارة، دار الأمين، الجيزة– مصر، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ص١٨.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص٨٨١.

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط٢، ج٣، ص١٥٧.

(٥) استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، د. إخلاص فخري عمارة، ص١٩.

(٦) سورة المائدة، الآية ١٣.

(٧) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ، ص٧٤.

١- *حقيقة الموت:*

للموت تبعات على الإنسان وعلى من حوله من محبين، واليهود وإن كانوا يؤمنون به فإنهم يكرهون ذكره، لقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(١)، ولقول رسوله – صلى الله عليه وسلم- : "والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه"(٢)، إلا أننا إذا ما بحثنا في التوراة نجد ما يوافق قول أبي العتاهية:

قَطَّعَ الْمَوْتُ كُلَّ عَقْدٍ وَثِيقِ لَيْسَ لِلْمَيْتِ بَعْدَهُ مِنْ صَدِيقِ
مَنْ يَمُتْ يَعْدَمِ النَّصِيحَةَ وَالإِشْـ ـفاقَ مِنْ كُلِّ ناصِحٍ وَشَفيقِ (٣)

تناص الشاعر في هذه الصورة الشعرية مع ما ذُكر في سفر راغوث: "إنما الموت يفصل بيني وبينك"(٤)، فليس للميت بعد موته من صلة مع الأحياء، لأنه ليس موجوداً بينهم، لهذا يجب على كل عاقل أن يستعد لما بعد الموت، ويستفيد من نصائح الآخرين الدالة على الخير، إلا أنَّ فكرة أنَّ الجميع ميت قد تتعارض مع جاء في مواضع أخرى من التوراة، ففي سفر التكوين: "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه"(٥)، وتفسير ذلك عند النصارى أنه لم يمت، فقد أوردوا في الرسالة إلى العبرانيين: "بالإيمان نقل أخنوخ كي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله"(٦)، وهذا من فساد العقيدة، إلا أن أبا العتاهية لم يأخذ إلا ما يوافق عقيدة الإسلام، وتراه كأنه يرد على هذه العقائد الفاسدة بقوله:

أَلاَ إِنَّنا كُلَّنا بائِدُ وَأَيُّ بَنِي آدَمٍ خالِدُ(٧)

ورغم أن التناص هنا يُخالف ما ورد في التوراة، إلا أنه يوافق مع ما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٨)، فالبيت يُشير كما الآية إلى أن الموت سيقع لكل مخلوق، وإن كان حبيب الحق، وسيد الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم- قد كُتب عليه الموت، فما هي حال بقية المخلوقات؟.

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٦-٧.
(٢) الكشاف، للزمخشري، ج٤/ ص٥٣١.
(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٤٦.
(٤) سفر راغوث: ١/ ١٧.
(٥) سفر التكوين: ٥/ ٢٤.
(٦) الرسالة إلى العبرانيين: ١١/٥.
(٧) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٠٢.
(٨) سورة الزمر، الآية ٣٠.

وفي الواقع فإن حديثه عن الموت قد طرق أسماع أُناس وقلوبهم من غير المسلمين، حتى أننا "نجد نفراً من المستشرقين –في عصرنا الحديث– قد أعجبوا بشعره وأولوه عناية خاصة، ونقلوا إلى لغاتهم طائفة منه، كما فعل رينولد نيكلسون، والفريد فون كريمر، اللذان نقلا إلى الإنجليزية والألمانية بعض شعره في الحكمة حول الحياة والموت والأخلاق."[١].

وقد يُذكِّر هذا الفعل القارئ بقصة أبي العتاهية مع ملك الروم، الذي أرسل رسولاً يطلب من الرشيد أن يبعث إليه بأبي العتاهية من أجل شعره[٢].

٢- *الدعوة إلى الأخلاق:*

لا يُعدم الخير في نفوس البشر حتى لدى اليهود، ففي كُتبهم ما يَدعو إلى ذلك وقد يتلاقى ذلك مع ما جاء على لسان أبي العتاهية:

أَلْخَيْـــرُ أَفْضَـــلُ مـــا لَزِمْتـــا ... و الشَّـــرُّ أَخْبَـــثُ مـــا طَعِمْتـــا
والنَّـــاسُ مـــا سَـــلِموا علـــى الْـــ ... أَيَّـــام مِنْـــكَ وقَـــدْ سَـــلِمْتا
أَمّـــا الزَّمـــانُ فَـــواعِظٌ ... ومُبَـــيِّنٌ لَـــكَ إِنْ فَهِمْتـــا
وَكفـــى بِعِلْمِـــكَ بِـــالْأُمو ... رِ إن انْتَفَعْـــتَ بِمـــا عَلِمْتـــا[٣]

تناص الشاعر في هذا المقطع الشعري مع ما جاء في سفر إشعياء:" زُبداً وعسلاً يأكلُ متى عَرَف أن يرفض الشَّرَّ ويختار الخير"[٤]، والأبيات فيها –كما النص التوراتي– دعوة إلى عمل الخير، والبعد عن الشر، مع الترغيب في الخير، فبه تُيسَّر أمور الإنسان، ويلقى التوفيق من الله، والأبيات فيها إضافة تدل على المعاتبة من الشاعر للمتلقي، فهو يتعجب من فعل الإنسان الذي يتناقض مع فعل من حوله، فهم يقدمون الخير، وهو يقابلهم بالشر، والإساءة، وهذا يُخالف ما تربينا عليه وما تعلمناه من الآخرين، على مر الزمان.

٣- *قَصَص الأنبياء:*

قصص الأنبياء وأقوامهم فيها العبر، والعظات للأمم التي تليهم، ومن هنا فقد نقلت لنا الكتب السماوية أخبار الأنبياء وأقوامهم حتى نأخذ منها ما يفيدنا في حياتنا ويوضح لنا

---

(١) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد الدّش، ص٤٠٤.

(٢) انظر: الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٧٢.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٦١.

(٤) سفر إشعياء: ٧/ ١٥.

الطريق، وقد استفاد الشعراء من هذا القصص ليوصلوا للمتلقي أفكارهم بأقل الكلمات، ومن هؤلاء الشعراء أبي العتاهية، فتراه يقول:

نُــــــحْ عَلــــــى نَفْسِــــــكَ * يــــــا مِسْــــــكينُ إنْ كُنْــــــتَ تَنــــــوحُ

لَتَمــــــوتَنَّ وإنْ عُمِّــــــرْتَ مــــــا عُمِّــــــرَ نُــــــوحُ[١]

استدعى الشاعر في هذا المقطع الشعري شخصية نوح –عليه السلام– وتناص مع ما جاء في سفر التكوين: "وعَاشَ نُوحٌ بَعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة* فكانت كلُّ أيام نوحِ تسع مئة وخمسين سنه ومات"[٢]، والنص التوراتي فيه إشارة إلى عمر نوح –عليه السلام– الطويل، لكن في نهاية النص يُصدم القارئ بكلمة هي نهاية كل حي "ومات"، والشاعر في الأبيات يذكر المتلقي بهذه النهاية بطريقة غريبة، فهو يأمر بالنياحة على النفس قبل الموت!! لكن لو ذهبنا إلى أعماق هذا الأمر فسنجد دعوة إلى أن نجعل مخافة الله بين عيوننا، حتى تكون أخرتنا أفضل من دُنيانا، وعندها فلا حاجة للنياحة.

وهو يتناص في الصورة الشعرية السابقة مع ما جاء من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[٣]، والصورة الشعرية فيها إيحاء إلى أن طول العمر لا يُبعد، أو يزحزح الإنسان عن العذاب، وكأن هذا التحليل يُحيل المتلقي إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

- استلهم أبو العتاهية البيت الأول من قول " نبينا صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى إلى عيسى أن نح على نفسك في الفلوات وعاتبها في الفلوات وسارع إلى الصلوات واستعمل الحسنات وتجنب السيئات وابك على نفسك بكاء من ودع الأهل والأولاد وأصبح وحيدا في البلاد وكن يقظان إذا نامت العيون خوفا من الأمر الذي لا بد أن يكون" فإذا كان روح الله وكلمته خوف بهذا التخويف فكيف يكون المكلف الضعيف." (فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٩).

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٩٩.

(٢) سفر التكوين: ٢٨/٩.

(٣) سورة العنكبوت، الآية١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٩٦.

ويلاحظ أن أبا العتاهية وظف القصص الدينية "توظيفاً يميل إلى الإيجاز والإشارة والتلميح دون التفصيل في القصة، وهذه الخاصية من السمات الشعرية"[1].

مما سبق، يُستنتج أن أبا العتاهية رغم زعم البعض بأنه تأثر بالنصرانية[2] إلا أنه لم يذهب إلى ما ذهب إليه النصارى من الإيمان بعقيدة التثليث، فبقي على التوحيد، وأن ما تناص معه يُمكن أن يُحال في الغالب إلى القرآن الكريم والسنة، وهذا يُمكن أن ينسحب على تناصاته مع التوراة.

(١) المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري، دار صفاء للنشر والتوزيع- مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ص٧٨.

(٢) أبو العتاهية، حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٠٢..

ثالثاً: التناص مع الإنجيل:

الإنجيل: "كتاب الله الْمنزل على عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَهِي كلمة يونانية مَعْنَاهَا الْبشَارَة وجمعها أناجيل"(١)، "وقد أطلقها النصارى علماً على أربعة كتب تعرف بالأناجيل، ومضافاً إليها كتاب "أعمال الرسل"، ورسائل بطرس، وبولس، ويوحنا، ويعقوب، ورؤيا يوحنا ومن المعروف أن الإنجيل الأصل الذي أوحي إلى عيسى عليه السلام كان مجهولاً للعامة وضاع بموت المسيح وحوارييه، أما ما يُعرف بالعهد الجديد أو الأناجيل، فقد كتبت بعد المسيح بأربعمائة عام "(٢)، "وأما كتب النصارى فلم تعرف وتشهر إلا في القرن الرابع للمسيح؛ لأن أتباع المسيح كانوا مضطهدين بين اليهود والرومان، فلما أمنوا باعتناق الملك قسطنطين النصرانية سياسة ظهرت كتبهم "(٣).

وهذه الكتب أو الأناجيل "لا تحوي إلا ما حفظته ذاكرة تلامذة المسيح وتلامذتهم بعد نحو قرن من وفاة المسيح– عليه السلام– ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير! ومن ثم لا يجوز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين في أمر من الأمور!"(٤).

كان لثقافة أبي العتاهية الأثر الواضح في شعره فهو قد ألم بالكثير من الثقافات اليونانية والهندية وغيرهما، وقد أكد بروكلمان على تأثره بالديانة المسيحية بقوله: "وقلما كان أبو العتاهية يذهب في شعره مذهب القدماء. وهو مولع كثيراً بافتتاح أبياته بلفظ (أين)، ولعل ذلك راجع إلى تأثير وعاظ النصارى؛ كما أنه لم يكن من قبيل الصدفة تُذكرنا المعاني الشعرية في ديوانه بنظرات الشاعر السرياني (يعقوب السروجي)" (٥).

وتجلت هذه المعاني في قول أبي العتاهية:

الصَّمْتُ فِي غَيْرِ فِكْرَةٍ سَهْوُ ... وَالْقَوْلُ فِي غَيْرِ حِكْمَةٍ لَغْوُ
وَمَنْ بَغَى السَّرْوَ فَالتَّنَزُّهُ عَنْ ... حُبِّ فُضُولِ الدُّنيا هُوَ السَّرْوُ

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٢٩.

(٢) استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، د. إخلاص فخري عمارة، ص٢٠-٢١.

(٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ص١٥٩.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص١٨٨١.

(٥) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة– مصر، ط٢، (د. ت)، ج٢، ص٣٥.

تَسَـــلَّ عَنْهـــا فإنَّهـــا لَعِـــبٌ   تَفْنـــى سَـــرِيعاً وإنَّهـــا لَهْـــوُ
وَإنَّ حُلْـــوَ الـــدُّنيا غَـــداً غَيْـــرَ مـــا   شَـــكَ لَمُـــرٌّ وَمُرُّهـــا حُلْـــوُ[١]

وقد استوقفت المتناصات الإنجيلية شكري فيصل فعلق عليها بقوله: "هذا مأخوذ كله مما يروى عن المسيح عليه السلام أنه قال: "حلو الدنيا مُرّ الآخرة، ومُرّ الدنيا حلو الآخرة، وأنه قال: كل كلام في غير ذات الله لغو، وكل فكر لغير الله سهو، وكل عمل لغير الله لهو"[٢]، وهذا يكشف عن مدى استلهام الشاعر للمعاني الإنجيلية التي فتحت أمامه موضوعات تناص فيها مع ما جاء في الإنجيل وتمثلت هذه الموضوعات فيما يلي:

١- كلمة الصليب في شعره:

الصليب في اللغة "الشَّديد الْقوي والخالص النّسَب يُقَال: هُوَ عَرَبِيّ صَلِيب، والمصلوب والودك وكل مَا كَانَ على شكل خطين متقاطعين من خشب أَو مَعْدن أَو نقش أَو غير ذَلِك وَمَا يصلب عَلَيْهِ، وعِنْد النَّصَارَى الْخَشَبَة الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّه صلب عَلَيْهَا الْمَسِيح وجمعها صلب وصلبان."[٣]، وذكر في كُتب النصارى: "فإنَّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله." [٤]

وقد ذكر أبو العتاهية كلمة الصليب في قوله:

وَلَقَــد عَجِبْــتُ لِطــولِ أمــنِ مَنِيَّتــي   وَلَهـــا إلـــيَّ تَوَثُـــبٌ وَدَبيـــبُ
بِـهِ عَقْلـــي مـــا يَـــزالُ يَخـــونُني   وَلَقَـــدْ أراهُ وَإنَّـــهُ لَصَـــليبُ[٥]

يتعجب الشاعر من طول أمانيه وقوتها، وهو يعتبر هذا التعلق بالدنيا من باب خيانة العقل، وهو يصفه في حالته هذه بالصليب، وقد وردت كلمة الصليب في الإنجيل في كثير من المواضع، وشاعرنا يتناص معها، نذكر منها: "وكان المجتازون يُجدفون عليه وهم يهزون رءوسهم قائلين آه يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام* خلص نفسك وانزل عن الصليب"[٦]، وهو يرى بأن عقله في هذه الحالة من العجز –الذي لا تليق به– يجب أن يخلص نفسه لأن، الفهم الذي وهبه الله له يجب أن يوصله إلى طريق النجاة.

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٣٠.
(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٣٠.
(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٥٣٩.
(٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: ١٨/١.
(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٨.
(٦) إنجيل مرقس: ٢٩/١٥-٣٠.

واستخدام أبو العتاهية لكلمة "الصليب" في شعره يؤكد ما ذهب إليه شوقي ضيف من أنَّ " الزهد نشأ نشأة إسلامية خالصة، فقد دعا إليه القرآن الكريم، ودعت إليه السنة النبوية، ولكنه في عهد الفتوحات دخلته عناصر أجنبية كثيرة على رأسها عناصر مسيحية من تلك التي كانت في العراق والشام ومصر، وحركة الزهد وما يتصل بها من زهد ساعد في اتساع هذه النزعة لا في وجودها ولا في تنشئتها ولكن في نموها وازدهارها"(١)، إلا إنَّ هذا الرأي لم يكن ينطبق تماماً على شعر أبي العتاهية، فالملاحظ أنَّ أكثر جزئيات التناص تعتمد أساساً على القرآن الكريم والسنة، وما جاء من جزئيات أخرى لا يعتمد على ما سواهما إلا في القليل، وقد يكون سبب ذلك عدم الاعتقاد بما جاء في الإنجيل إلا بما يتوافق مع المنهج الإسلامي.

٢- *صفات الله في الإنجيل:*

تضطرب الصفات التي يتصف بها الله في الإنجيل فتارة يوصف بالوحدانية كما في إنجيل مرقس "بالحق قلت لأنهُ (الله) واحدٌ وليس آخر سواهُ"(٢)، وأنه لا يستحق العبودية أحدٌ سواه، كما في إنجيل متى "حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنهُ مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"(٣)، ولكن فساد العقيدة يظهر على السطح كما إنجيل لوقا "أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلصٌ هو المسيح الرب"(٤)، بل إنَّ الرب المسيح -كما يدعون- له أم كما ورد في إنجيل لوقا "فمن أين لي هذا أن تأتي أمُّ ربي إليَّ"(٥)، وقد أشار بعض عُلماء العرب إلى مثل هذه التحريفات والزيادات في الإنجيل ، فثعلب يقول: "وَمِمَّا حرَّفَته النصارَى أَنَّ فِي الْإِنْجِيل يَقُول الله مُخَاطبا لعيسى: أَنْت نبِيِّي وَأَنا وَلَّدْتُك أَي رَبَّيْتُكَ، فَقَالَت النَّصَارَى: أَنْتَ بُنَيِّي وَأَنا وَلَدْتُك"(٦).

لكن هذا التضارب والانحراف عن الأصل الصحيح لا يظهر في شعر أبي العتاهية، رغم ما ورد من أخبار أبي العتاهية من أن "مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما وأن العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٦، القاهرة- مصر، ١٩٥٩م، ص٥٧.

(٢) إنجيل مرقس: ٣٢/١٢.

(٣) إنجيل متى:١٠/٤.

(٤) إنجيل لوقا: ١١/٢.

(٥) إنجيل لوقا:٤٣/١.

(٦) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ج١٤، ص١٢٦.

جميعا"(١)، ونراه يرد على أكثر من هذا الإدعاء، فهو يرد على رميه بالزندقة بقوله: "زعم الناس أني زنديق والله ما ديني إلا التوحيد، فقلنا له فقل شيئا نتحدث به عنك فقال:"

ألاَ إنّنـــــا كلّنـــــا بائـــــدُ ... وأيّ بنـــــــي آدمٍ خالـــــــد
وبَــــدْؤُهُم كـــان مـــن ربّهـــم ... وكـــلٌّ إلــــى ربّـــه عائـــد
فيـــا عجبـــا كيـــف يُعْصَـــى الإلـــهُ ... أم كيـــف يَجْحَـــدُه الجاحـــدُ
وفـــي كـــلّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ ... تـــدلّ علـــى أنـــه واحـــدُ (٢)

يتناص الشاعر في هذا المشهد الشعري مع الإنجيل بما يتناسب مع عقيدته الإسلامية، فالأبيات مستوحاة مما ورد في إنجيل متى "حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنهُ مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"(٣)، وأيضاً فيه تناص مع قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٤)، وهذا ينفي ما قيل عنه من أقول تستند على مقاطع من شعره، أقوال تستند على تأويلات لشعره، مع احتمال الأبيات نفسها لتأويلات أخرى، لكن الغريب أنه يضمن أبياته آيات من سورة الإخلاص رغم ما ذكر عنه في الأغاني: "وكان جار أبي العتاهية قال: كان أبو العتاهية من أقل الناس معرفة، سمعت بشرا المريسي يقول له: يا أبا إسحاق لا تصلِ خلفَ فلان جارك وإمام مسجدكم فإنه مشبه!! قال: كلا إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة ﴿ قل هو الله أحد ﴾، وإذا هو يظن أن المشبه لا يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾"(٥)، هذا ما يدفع إلى الاعتقاد بأن هناك الكثير من الأقوال غير دقيقة قيلت بحقه.

ويُعتقد بأنَّ التناص الحاصل عنده قد يكون ناتجاً من تناصه مع بعض شعراء النصارى أمثال عدي بن زيد، "فشعر عدي بن زيد وقع على نحو ما لأبي العتاهية، فصادف من نفسه ميلاً، ولقي منها استجابة، وقد ذكرنا من قبل أن ثقافة أبي العتاهية، ...، كانت دينية، وهو من هذه الناحية أيضاً يشبه عدى بن زيد وإن تباعدت مسافة الزمن بينهما، واختلفت مصادر هذه الثقافة الدينية عند كل منهما"(٦).

(١) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٨.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣٥٢.

(٣) إنجيل متى:٤/١٠.

(٤) سورة الإخلاص، الآيات ١-٤.

(٥) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٦٠.

(٦) أبو العتاهية، حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٠٧.

رابعاً: التناص مع الحديث الشريف:

أبدع أبو العتاهية في تناصاته مع الحديث الشريف- فقد جاء الحديث النبوي شارحاً ومفسراً لآيات القرآن الكريم – ولا عجب في ذلك ففي عصره تم جمع الحديث، وفي عصره ولد علم الجرح والتعديل، والأخبار الدالة على هذا التناص في شعره تدلل على ذلك، فقد سُئل مرة عن شعرٍ قاله(١)، مِنْ أين قضيت بهذا؟، فقال: من قول رسول الله "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت"(٢).

تعددت الموضوعات التي عالجها في شعره، وفيها تناص مع أقوال النبي، وهذا يدلل على الثقافة الواسعة، والاطلاع الكبير على أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن هذه الموضوعات:

١ – ذكر الله وصفاته، وأسمائه:

يُنبه أبو العتاهية إلى أنَّ العمل الصالح لا يدخل الجنة وحده، ولا يوصل إلى النجاة، وإنما الموصل إليها هو رحمة الله، وفي هذا يقول:

ساعاتُ لَيْلِكَ والنَّهارُ كِلَيْهِما ... رُسُلٌ إلَيْكَ وَهُنَّ يُسْرِعْنَ الْخُطا

(١) قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية:

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المالِ نفسَه ... تَملّكه المالُ الذي هو مالِكُه

ألاَ إنَّما مالي الذي أنا مُنفِقٌ ... وليس لِيَ المالُ الذي أنا تارِكُه

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي ... يَحِقّ وإلاّ استهلَكَتهْ مَهَالِكُهْ

فقلت له: من أين قضيت بهذا، فقال من قول رسول الله:" إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت " فقلت له: أتؤمن بأن هذا قول رسول الله وأنه الحق، قال: نعم، قلت: فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك، فقال: يا أبا معن والله إن ما قلت لهو الحق ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس، فقلت: وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد فترك جواب كلامي كله، ثم قال لي: والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته فأمسكت عنه، وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام. (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٨-١٢٩.)

(٢) السابق، ج٣، ص١٢٨. وتاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد، تح: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ، ج٢، ص٥٣٢.

وَلَـئِنْ نَجَـوْتَ فَإِنَّمـا هِـيَ رَحْمَـةُ الْـ ـمَلِكِ الـرَّحيمِ وَإِنْ هَلَكْـتَ فبِـالجَزا[١]

والبيت الأخير فيه تناص مع قول النبي – صلى الله عليه وسلم–الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: "لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ"، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا"[٢]، فدخول الجنة غير مقترن بالأعمال وإنما برحمة الله تعالى، الرحيم بخلقه وهذا لكل من يدخل الجنة، ولا يستثنى منه أحد حتى نبينا –صلى الله عليه وسلم–، وهذا يدلل على ما في نفسه من تسليم لخالقه، وإيماناً برحمته.

٢– *التوكل:*

رغم الأخبار المتعددة عن بُخل الشاعر– والتي أطال الأصبهاني في ذكرها[٣]– إلاَّ أنَّ المُتأمل لإشعاره يرى دعوته إلى التوكل على الله ظاهرة جلية، فهو ينصح ويذكر بضرورة التوكل على الله، حيث يقول:

إنَّ المَطَايـا تَشْـتكيكَ لأنَّهـا قَطَعـت إلَيْـكَ سَباسِـبا ورِمـالا
فَـإذا أتَـيْنَ مُخِفَّـةً وإذا رَجَعْـنَ بِنـا رَجَعْـنَ ثِقـالا[٤]

والشاعر هنا يذكر بأن التوكل على الله مطلوب ولكن لا توكل بدون الأخذ بالأسباب، وفي البيتين تناص مع قول النبي – صلى الله عليه وسلم –:"لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا"[٥]، وجاءت الأبيات في سياق المدح لأمير المؤمنين، حيث جعله سبباً في الرزق لشدة كرمه، فالجمال تشتكي من كثرة الحمولة التي عليها من عطايا الخليفة، ورغم التشابه في حالة الطير، وحالة الجمال في رحلتي الذهاب والعودة، إلا أن الجمال تعود شاكية من ثقل حملها، ويدلل بهذا على شدة كرم الممدوح.

٣– *الغنى والتقوى والرضا:*

أكثر أبو العتاهية في الحديث عن هذا الجانب، والتناص فيه مع أحاديث النبي كثير، فعنده لِمَ نبنِ ونعمر ما دومنا للموت سائرين، حيث يقول:

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٤.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، المشرف العام على هذه الموسوعة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ج١٦، ص١٧٩.

(٣) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٨–١٣٣.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٦٠٦.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣٢.

لِمَــنْ نَبْنــي وَنَحْــنُ إلــى تُــرابٍ   نَصــيرُ كَمــا خُلِقْنــا مِــنْ تُــرابِ[١]

وفي البيت تناص مع قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "... كلكم لآدم وآدم من تراب..."[٢]، ولقد خالف أبو العتاهية النظرة الإسلامية من جهة ووافقها في الأخرى، فالإسلام يدعو للعمل للدنيا، وليس العمل للآخرة فقط، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يوصي الأمة فيقول: " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى، فاعمل عمل امرئ تظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا"[٣].

والشاعر ينصح من حوله بتقوى الله بالجد والاجتهاد في الأعمال الصالحة، حيث يقول:

اتَّـــــــقِ اللهَ بِجُهْـــــــدِكْ   قاصِـــداً أَوْ بَعْـــضَ جَهْـــدِكْ[٤]

ويتناص في البيت مع قول النبي –صلى الله عليه وسلم– :" اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ"[٥]، فهو يدعو إلى تقوى الله حسب الاستطاعة.

وكذلك الغنى عنده هو غنى النفس لا غنى المال، والقناعة سبيل للحياة الكريمة والحرص جالب للتعب، حيث يقول:

وَفــي جَميــلِ القُنُــوعِ يَــنْخَفِضُ الْــ   ــعَيْشُ وَبِــالْحِرْصِ يَعْظُــمُ التَّعَــبُ
إنَّ الْغِنــى فــي النُّفــوسِ وَالعِــزُّ تَقْــ   ــوى الله لا فِضَّــةٌ ولا ذَهَــبُ[٦]

والشاعر يستلهم معنى الأبيات من قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"[٧]، والغنيُ عنده هو الإنسان القنوع، وأما الإنسان الحريص فهو بعيد كُلَّ البعد عن الغنى، بل زيادة على هذا فهو صاحب التعب الذي يجلبه حرصه على المال الذي في يده، ويؤكد الشاعر على هذه المعاني بقوله:

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣٣.

(٢) مسند الربيع بن حبيب، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، تح: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ص١٧٠.

(٣) الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختا أحمد الندوي، الدا السلفية، بومباي– الهند، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، ج٦، ص٣٨٧.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٢٨.

(٥) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٤٥١.

(٦) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٥.

(٧) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض– السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م، ص٦٨٨.

إنَّ الْغِنـــى لَهُـــوَ الْقنُـــوعُ بِعَيْنِـــهِ　　　ماَ أبْعَدَ الطَّبْعَ الْحَريصَ مِنَ الْغِنـى[١]

وفي نفس المعنى يقول:

يَطْلُـــبُ الْعَـــيْشَ الْفَتـــى عَبَثـــاً　　　وَالْغِنـــى فـــي الـــنَّفْسِ إنْ قَنِعَـــتْ[٢]

فالشاعر يرضى بالقليل من القوت مع الصحة عملاً بقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[٣]، والشاعر راضٍ بقضاء الله يدعوا إلى الرضا به، لما له من الراحة في النفس، حيث يقول:

وَلَقَــلَّ امْــرُؤٌ يُفـــارقُ مـــا يَعْـــ　　　ــــتادُ إلاَّ وَقَلْبُـــــهُ مُقْشَـــــعِرُّ

وَإذا مـــا رَضـــيتَ كُـــلَّ قَضـــاءِ اللهِ　　　لَـــمْ تَخْـــشَ أنْ يُصـــيبَكَ ضُـــرُّ[٤]

والمعنى العام للأبيات مستوحى من قوله –صلى الله عليه وسلم-: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[٥].

٤- *الموت:*

جاء الحديث عن الموت عند شعراء ما قبل الإسلام حديثاً لا يمت إلى عالم الآخرة الذي ذكره الإسلام بصلة بل جاء هذا الحديث بكاء على الميت وتعداداً لصفاته وأخلاقه، "فإن الشاعر أو الشاعرة لا يعرفان أمام جثة هامدة سوى الدعوة إلى الثأر أو مدح الميت"[٦]، أما في عهد الإسلام فقد اتخذ الحديث عن الموت ثوباً جديداً، فهو السبيل إلى حياة أخرى؛ حياة جديدة؛ حياة الخلود، إما إلى جنة وإما إلى نار.

وأبو العتاهية في ذكره للموت لا يذكره لمجرد الذكر، فبذكره يُحسن العاقل عمله، لأن الدُّنيا دار ممر، وهو يكرر ذكره تنفيذاً لأمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم-[٧]، ولأنه يريد أن يقول للملوك وغيرهم أن الموت أكبر منكم وأعظم فلا تغرنكم هذه المظاهر الكاذبة والأغراض

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٣.

(٢) السابق، ص٨٢.

(٣) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٦٨٩.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١٤٠.

(٥) صحيح مسلم، للأمام أبي الحسين مسام بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص١٢٤٩.

(٦) تاريخ الأدب العربي، د. بلاشير ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة- دمشق، ١٩٧٣م، ج٢، ص٢٦٧.

(٧) فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ» يَعْنِي الْمَوْتَ. (سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٥٢٢.)

الزائلة، وكان الناس من حوله يطربون لهذه المواعظ لأنها تنطوي على حقائق ثابتة من : تقلب الأحوال، ولعب الدنيا، ووقوع الموت لا محالة(١). وهو في أشعاره يُكثر من ذكر الموت ويعدد من أسمائه وصفاته، وهذا من شأنه أن يجدد الإحساس به فيزيد في التقوى، والحث على العمل لما بعد الموت، يقول:

أيا هادِمَ اللَّذاتِ ما مِنْكَ مَهْرَبٌ … تُحاذِرُ نَفْسي مِنْكَ ما سَيُصيبُها(٢)

يُخاطب الشاعر في هذا البيت الموت خطاباً مباشراً ويصفه بالوصف الذي دعاه به-صلى الله عليه وسلم- في قوله : "أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ"(٣)، فتراه لكثر ذكره في نفسه كأنه يُحدثُ شخصاً يعرفه، ويناديه من مكان قريب مستعملاً لذلك أداة النداء "أيا"، ويقول له أما من سبيل إلى الهروب منك؛ فنفسي تخاف مما سيصيبها منك!!؛ والظن الغالب أن حذره ليس من الموت، وإنما مما بعده، فلولا الذي بعد الموت لكان الموت راحة تطمح لها كل نفس!! لكن هذه حِكمة الله العدل في حُكمه.

وقد تكرر ذكر الموت بأسماء أخرى، حيث يقول:

ما ذا تَقولُ ولَيْسَ عِنْدكَ حُجَّةٌ … لَوْ قَدْ أَتاكَ مُنَغِّصُ اللذَّاتِ(٤)

وفي هذا البيت يُنكر على الإنسان الذي لا يعمل لما بعد الموت، فهذا ليس من فعال العقلاء، وهو بهذه المعاني يُحيل إلى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ"(٥)، فترى الشاعر ينصح ويذكر بضرورة العمل لما بعد الموت، لكن الاسم الذي أطلقه على الموت له دلالة جديدة، فالموت لا يهدم اللذات بمجرد قُدومه فقط؛ وإنما هو ينغصها كلما جاء ذكره على طول حياة المرء.

وقد أطلق الشاعر على الموت اسماً اقتبسه من أحاديث النبي، لكنه أُطلق على غيره، ليبين ما في نفسه اتجاه الموت، فيقول:

---

(١) انظر: أبو العتاهية، حياته وشعره، محمد محمود الدش، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص٢٥٣.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٨.

(٣) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٧٠٥.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٧.

(٥) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٧٠٥-٧٠٦.

فَيــا لَيْــتَ شِــعْري أبَعْــدَ الْمَشــيبِ ... سِوى الْمَـوْتِ مِـنْ غائِـبٍ يُنتَظَـرْ [1]

استمد الشاعر ألفاظ أسلوب الأستفهام في هذا البيت من قول النبي –صلى الله عليه وسلم-: "... أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ..."[2]، ليؤكد على حتمية الموت، والصحيح أنه اقتبس جزءاً من الاسم، وهذا فيه دلالة على ما في نفس الشاعر من حالة الانتظار، التي تعمل على تعديل السلوك، والخوف المستمر، والتحذير من الموت في البيت للذين شاب شعرهم أكثر من غيرهم.

٥- *التواضع:*

كان خلق التواضع ظاهراً في حياة أبي العتاهية؛ ويذكر الأصبهاني "أن أبا العتاهية قد نسك وجلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك"[3]، وكان يكفي لنفسه أن تُجبل على التواضع من ممارسته لصنعته الأولى، وترى أثر ذلك في شعره على الرغم من مجالسته للخلفاء، والأمراء.

فتراه يتعجب من الذين يفخرون بأنسابهم، ويتساءل على ماذا التفاخر وأصل الخلق من طين وماء؟، فيقول:

يــا آمــنَ الــدِّهْرِ علــى أهلِــهِ ... لِكُــلِّ عَــيْشٍ مُــدَّةٌ وانْتِهــا

بَيْنمــا يُــرى الإنْســانُ فــي غِبطَــةٍ ... أَصــبَحَ قَــدْ حَــلَّ عَلَيْــهِ البِلــى

لا يَفْخَــرِ النَّــاسُ بِأَنْســابِهِمْ ... فَإِنَّمــا النَّــاسُ تُــرابٌ وَمــاَ [4]

رسم الشاعر في هذا المشهد الشعري صورة لأصل خلق الإنسان تناص فيها مع قول النبي –صلى الله عليه وسلم- :"إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ، أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"[5]، وكما هو ظاهر فلأمر من الله على لسان نبينا –صلى الله عليه وسلم-، فَلِمَ التفاخر على العباد وكلنا أبناء آدم وحواء، وأصلنا واحد ألا وهو التراب والماء، بل وكَلنا سوف يموت فلكل إنسان بداية ونهاية، ولمَ الفخر بالأنساب والدنيا في تقلب فمن تفخر به اليوم قد لا يُشرفك غداً!!

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٧.

(٢) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٥٢١-٥٢٢.

(٣) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٢٥.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٨.

(٥) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٦٩٤.

٦- *إيمانه بالقضاء والقدر:*

الإيمان بالقضاء والقدر عقيدة كل نفس مؤمنة، فهو مَرتبط بالإيمان بالله الذي يقول في كتابه العزيز: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾(١)، وما سيتم طرحه في هذا الموضوع دلالة على صدق إيمان أبي العتاهية، وجَبٌ لكل الشكوك، والتهم التي اتهم بها، فهو يقول: بأن الموت محدد الميقات لا مهرب منه وأن موعده مُسجل في كتاب الله منذ خلق الله القلم وقال له: اكتب، فقال : وماذا اكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد تجلت هذه المعاني في قول الشاعر:

جَفَّتِ الأَقْلامُ مِنْ قَبْلُ بِما ... خَتَمَ اللهُ عَلَينا وَكَتَبْ
كَمْ مِنْ مُلوكٍ سادَةٍ ... رَجَعَ الدَّهرُ عَلَيهِمْ فَانْقَلَبْ
وَعَبيدٍ خُوِّلوا ساداتِهِم ... فَاسْتَقَرَّ المُلْكُ فيهِمْ وَرَسَبْ(٢)

تناص الشاعر في هذا المشهد الشعري مع قول النبي -صلى الله عليه وسلم- :"... وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"(٣)، ليوحي بأن قدر الله سابق ونافذ ولا راد لقضائه، وكل ما ترى من تقلب أحوال الناس، واختلاف أحوالهم قد سبق في علم الله.

٧- *الأخلاق الإسلامية:*

يُعبر الشاعر عن علو أخلاقه في أشعاره التي تنم عن شخصية متشربة لتعاليم الدين، فهو يدعو إلى معاملة الناس بالرفق، واللين؛ لأن ذلك من جميل الأخلاق ، حيث يقول:

عامِلِ النَّاس بِرَأيٍ رَفيقٍ ... وَالْقَ مَنْ تَلْقى بِوجهٍ طَليقِ
فَإذا أنتَ جَميلُ الثَّنا ... وإذا أنتَ كَثيرُ الصَّديقِ(٤)

---

(١) سورة مريم، الآية ٣٥.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٩.

(٣) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٥٦٦.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٤٧.

استلهم الشاعر المعاني الواردة في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"(١)، ليوحي بقيمة أخلاقية سامية وهي: أن تقابل الناس بالابتسامة، لأن ذلك يُجمل سيرة الإنسان، ويُحبب الخلق فيه.

ومن جميل الأخلاق عند الشاعر أن تصنع للناس جميلاً كما تُحب أن يفعلو لك، فهو يوجه المتلقي إلى ضرورة المنافسة في عمل الخير وذلك في قوله:

نافِسْ إذا نافَسْتَ في حِكمةٍ ... ولا تَدَعْ خَيْراً ولا تَتْرِكْ
واصْنَعْ إلى النَّاس جَميلاً كما ... تُحِب أنْ يَصنَعَهُ النَّاسُ بكْ(٢)

رسم الشاعر في هذا المقطع الشعري صورة مستوحاة من حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– :" فَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ"(٣).

وتُبرز هذه الصورة تمام الأخوة بين المسلمين، بل ويذهب الشاعر إلى أبعد من ذلك حيث ينصح المتلقي إلى الإحسان والمسامحة وعدم قطع حبال الأخوة، وبتعميق محبته للآخرين، وعدم الانجرار وراء الأحقاد، والتمسك بزلات الآخرين ، فهذا أكمل للدين، وأسلم للعقيدة، وهو المقرب إلى قلوب الناس، يقول الشاعر في هذا المعنى:

واقْطَع قُوى كُلِّ حِقْدٍ أنْتَ مُضمِره ... إن زَلَّ ذُو زَلَّةٍ أو إنْ هفا هافِ
وَلا تُكَشِّفْ مُسيئاً عَنْ إساءَتِهِ ... وَصِل حِبالَ أخيكَ الْقاطِعِ الْجافي
فتَسْتَحقَّ مِنَ الدُّنيا سلاَمَتَها ... وَتستَقَلَّ بِعِرضٍ وافرٍ وافِ(٤)(٥)

تناص الشاعر في هذه الصورة الشعرية مع قول الحبيب –صلى الله عليه وسلم– : "أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ"(٦)، ليبرز من خلاله أن الوصل والقطع يكون من أجل الله، وقد يفسر قول أبي العتاهية قول شيخ الإسلام ابن

---

(١) صحيح مسلم، للأمام أبي الحسين مسام بن الحجاج القشيري النيسابوري، ص١١١٦.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٦٩.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ج٢٧، ص٢١٦.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٤١

(٥) تناص أبو العتاهية في الأبيات مع ما جاء في الإنجيل: "سمعتم انه قيل تُحب قريبك وتبغض عدوك * وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم * لكي تكونون أبناء أبيكم الذي في السموات" (إنجيل متى: ٥/٤٣–٤٥)، لكن أبو العتاهية لما تناول المعنى العام أخذه من السنة والقرآن، وبما يتناسب مع العقيدة الإسلامية، فهو قد بقي بعيداً عن التسامح المتطرف الذي يوصل إلى الخنوع للأعداء، والجزاء النهائي لهذا التسامح كان موافقاً للعقيدة الإسلامية، بعكس الخرفات والتعديات على الذات الإلهية.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ج٢٤، ص٣٨٣.

تيمية[1]، حيث يقول: "والسعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم، كما جاء في الأثر: (ارج الله في الناس ولا ترج الناس في الله، وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله)، أي: لا تفعل شيئاً من أنواع العبادات والقرب لأجلهم، لا رجاء مدحهم ولا خوفاً من ذمهم، بل ارج الله ولا تخفهم في الله فيما تأتي وما تذر، بل افعل ما أمرت به وإن كرهوه"[2]

وإذا كان آخرنا الموت والفناء، فلماذا التمسك بالدنيا، وعدم الرفق بالآخرين؟، وهو يدعو إلى فضيلة الكرم على المحبين، فالرفق أولى بالناس لأنه من حُرمَ الرفق حُرم الدين والدنيا، ويؤكد الشاعر على هذه المعاني بقوله:

تَـزَوَّدْ مَـنَ الـدُّنيا فإنَّـكَ شـاخصٌ ... إلـى المُنْتَهـى وَاجعَـلْ مَطيَّتَـكَ الصِّـدقا
وأمْسِكْ مَنَ الـدُّنيا الْكَفافَ وَجُدْ علـى ... أخيـكَ وَخُـذْ بـالرِّفق واجْتَنِـب الْخُرْقـا
فـإنِّي رَأَيْـتُ المَـرْءَ يُحْـرَمُ حظَّـهُ ... مِـنَ الـدِّينِ وَالـدُّنيا إذا حُـرمَ الرِّفقـا[3]

استوحى الشاعر المعاني الواردة في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– :"مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ"[4]، لينبه إلى عظم الخطر الناتج عن عدم الرفق، والعواقب المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، مستخدماً لذلك أسلوب الأمر في محاولة لتوجيه المتلقي للطريق الصحيح الذي سيكون سبباً في نجاته في الدنيا والأخرة .

---

(١) ابن تَيْمِيَّة: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين بن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها: الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبويّة، ويسمى "السياسة الشرعية"، توفى سنة سبع مائة وثماني وعشرون.(الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج١، ص١٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، ج١، ص٤١.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٤٥

(٤) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص ٦١١.

مما سبق يُلاحظ مدى تفاعل أبو العتاهية مع أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومدى استفادته منها في إيصال الفكرة التي تجول في داخله إلى المتلقي، ويوضح مدى سعة إطلاع الشاعر، وعمق ثقافته.

خامساً: التناص مع السيرة النبوية:

يتناص الشعراء مع التاريخ في كثير من أشعارهم فهو النبع المتدفق إلينا عن سير السابقين، وهو المعين الذي لا ينضب، ولما كان الشعراء يتناصون مع أحداث من أثَّروا في حياتهم، كلٌ حسب ثقافته، ففكرة تعدد القراءات لا تُبنى على أن النص عالم خاص يفهمه المتلقي بما فيه من إشارات ومعطيات موضوعية تتحكم في توجيهه هذا الفهم، ولكنها تقوم على ضرورة تسلح القراء أنفسهم بمستوى معين من الثقافة لفهم النص[١]، وعلى هذا فإننا نجد لسير النبي – صلى الله عليه وسلم– أثراً في شعر أبي العتاهية، يُقارب ما كان لسنته –صلى الله عليه وسلم–في شعر أبي العتاهية، ويبدو أن قُرب عصر النبي من عصر أبي العتاهية كان سبباً في زيادة أثر السيرة النبوية في شعره، وفي الحقيقة أن شعراء هذا العصر كانوا يتناصون مع سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأسباب منها:

١– إثبات أحقية العباسيين في الخلافة، وذلك من خلال رد أصلهم إلى عمومة النبي صلى الله عليه وسلم.
٢– حُب الشُعراء للنبي، فتراهم يتناصون مع مواقف رسخت في أذهانهم، واستقرت في قلوبهم.
٣– وقد يأتي ذلك من باب المدح لخليفة ما من خلال إظهار التشابه بين صفاته وصفات النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي مدحه للرشيد يقول:

عادَ لي من ذِكْرِها نَصَبُ ... فدموعُ العَين تَنْسكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صَاحِبُه ... يَعْتَرِيهِ الهَمُّ والوَصَبُ[٢]
خيرُ مَنْ يُرْجَى ومَنْ يَهَب ... مَلِكٌ دانتْ له العَرَبُ
وحقيقٌ أنْ يُدَانَ له ... مَنْ أبوه لِلنَّبِيّ أَبُ[٣][٤]

---

(١) انظر: إشكالية التلقي والتأويل، د. سامح الرواشدة، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان– الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، ص١٧.

(٢) الوصب: الوجع وَالْمَرَض والتعب والفتور فِي الْبدن وجمعها أوصاب.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٨٣–٤٨٤.

(٤) ذكر الأصبهاني " أن الرشيد لما أطلق أبا العتاهية من الحبس لزم بيته وقطع الناس. فذكره الرشيد فعرف خبره فقال: قولوا له صرت زير نساء وحلس بيت، فكتب إليه أبو العتاهية:

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وأَخلاقِهِم ... فصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالوُحْدَهْ
ما أكثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وما ... أَقَلَّهم في مُنْتَهى العِدَّهْ=

ينسب أبو العتاهية الرشيد إلى النبي في سياق المدح، للدلالة على كريم الأصل، والرشيد بهذا النسب إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– خير من يعطي، وخير من تدين له العرب، وأن ينصاع لأمره ويطاع هو من باب الحق لا المنة، لأنه من آل النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن التناصات النابعة من محبة النبي –صلى الله عليه وسلم– في شعر أبي العتاهية، قوله في تعداد مظاهر اللين والرحمة في أخلاقه –صلى الله عليه وسلم، فتجده يقول:

وأفضَلُ هَدْيٍ هَدْيُ سَمْتِ مُحمَّدٍ ... نَبِيّ تَتَقَّاهُ الإلهُ لِدِينِهِ
عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ في النُصحِ رَحْمَةً ... وفي بِرِّهِ بالعالَمينَ وَلِينِهِ
إمامُ هُدى يَنْجابُ عَنْ وَجهِهِ الدُّجى ... كَأَنَّ السُّرَيا عُلِّقَتْ بِجَبينِهِ
بِحَبْلِ رَسولِ اللهِ أوْثَقْتُ عِصْمَتي ... وَخيرَتِهِ في خَلْقِهِ وَأَمِينِهِ(١)

يُعدد أبو العتاهية مناقب للنبي –صلى الله عليه وسلم– وفي تعداده هذا يتناص مع العديد من أحداث السيرة، التي تُظهر مدى رحمة النبي بأمته، متأثراً بمدائح السابقين من حسان بن ثابت(٢) ومن بعده، فالنبي محمد–صلى اله عليه وسلم– كان –وما يزال– النموذج المثالي الذي تهفو إليه القلوب المؤمنة وتتعطر بسيرته الألسنة الذاكرة، فهو المثل الأعلى والقدوة الحسنة والرجاء المنشود(٣)، ولنقف على ما جاء في السيرة من صفات النبي –صلى الله عليه وسلم–:"روى أبو نعيم عن قتادة رحمه الله تعالى قال: طهر الله تعالى رسوله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريبا، رؤوفا بالمؤمنين رحيما"(٤)، وهو ما يُحيل المتلقي إلى فعله–صلى الله عليه وسلم– مع الرجل الذي جاء

=ثم قال لا ينبغي أن يمضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها وهي: الأبيات. (الأغاني، للأصبهاني، ج٣، ص١١٢.)

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٠٢.

(٢) حَسَّان بن ثابِت: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته. لم يشهد مع النبي صلّى الله عليه وسلم مشهدا، لعلة أصابته. وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله، مات سنة أربع وخمسين للهجرة. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٢، ص١٧٥.).

(٣) انظر: اسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية)، د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، تقديم ومراجعة: د. سهير القلماوي، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٨٧م، ص١٢٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، ج٧، ص١٧.

ليقتله، ففيه يقول – صلى الله عليه وسلم-: "إن هذا اخترط عليّ سيفي، وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثا، ولم يعاقبه وجلس"(١).، والأبيات فيها تناص مع قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢)، لكن الشاعر قد جاء بكل هذه المناقب ليبين سبب إتباعه للرسول –صلى الله عليه وسلم-، وفيها دعوة ضمنية إلى؛ التَّشبه بأخلاقه –صلى الله عليه وسلم-. كيف لا؟ وهو خير خلق الله وأمينه في الأرض، وهو يستوحي البيت الثالث مما جاء في السيرة من "قول حسان بن ثابت – رضي الله عنه- في وصف النبي –صلى الله عليه وسلم-:

مَتَى يَبْدُ في الداج الْبَهِيمِ جَبِينُهُ يَلُحْ مثْلَ مِصْباح الدُّجَى الْمُتَوَقِّدِ (٣)

فقد "كان صلى الله عليه وسلم، أجلى الجبين، إذا طلع جبينه من بين الشعر أو اطلع في فلق الصبح أو عند طفل الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءوا جبينه كأنه ضوء السراج المتوقد يتلألأ. وكانوا يقولون: هو صلى الله عليه وسلم"(٤)، وفي الأبيات يظهر مدى إطلاع الشاعر على سيرة النبي، أكان ذلك بالاطلاع أو بالسماع، وقد يُضاف إلى حبه للنبي –صلى الله عليه وسلم- ما يحسه الشاعر بأن ثمَّة روابط وثيقة بين تجربته وتجربة النبي، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته والفارق بينهما أنَّ رسالة النبي رسالة سماوية. (٥).

والشاعر يحث المتلقي على مثل هذه الأخلاق، من أخلاق النبي –صلى الله عليه وسلم- القدوة لكل مسلم، مع أنَّ "الله لم يجمع لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم"(٦) فإنه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾(٧)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾(٨)، لكن ليأخذ كُلٌ منا على قدر استطاعته، والشاعر فهم هذه المعاني ويدعو إلى الاقتداء بأكرم الخلق، لمواجهة الحياة من خلال السير على خطاه، يقول:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصيبةٍ وَتَجَلَّدِ وَاعْلَمْ بأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

---

(١) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج٧، ص١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تح: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج١، ص٣٠٢.

(٤) السابق، ج١، ص٣٠٢.

(٥) انظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، ص٩٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ج٨، ص٣٠٢.

(٧) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

أَوَمــا تَـــرى أَنَّ الْمَصـــائِبَ جَمَّـــةٌ وَتَـــرى الْمَنِيَّـــةَ للْعِبـــادِ بِمَرْصَـــدِ
مَــنْ لَــمْ يُصَــبْ مِمَّــنْ تَّــرى بِمُصــيبةٍ هـــذا سَـــبيلٌ لَسْـــتَ فيـــهِ بأوحَـــدِ
وَإذا ذَكَـــرْتَ مُحَمَّـــداً ومُصـــابَهُ فـــاذْكُر مُصـــابَكَ بـــالنَّبيّ مُحَمَّـــدِ [١]

وتراه يعظ المتلقي موعظة الصبر ، كأنما تراه يعتلي منبراً في خطبة وعظية، أو درس وعظي، ويطالب بضرورة الصبر على كُل مصيبةٍ، لأن الإنسان يجب ألا يحزن على ما لا بد له من فقده، وأنه بالضرورة مفارقه، ويتساءل مَنْ مِن الناس لم يُصب بمصيبة، هذا لعمري في العالمين غريبٌ!!، ولزيادة التخفيف على المتلقي تراه يذكره بالمحن التي مر بها –صلى الله عليه وسلم– وهي كثيرة في سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، من موت ولده إبراهيم[٢] وما ورد من قوله: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون"[٣]، مروراً بالعام الذي سمِّي بعام الحزن، العام الذي فقد فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– زوجه خديجة[٤]، وعمه أبو طالب[٥]، ويُحيل المتلقي إلى الأذى الذي أصاب النبي –صلى الله عليه

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص١١٠– ١١١.

(٢) إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم سيد البشر بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم سماه باسم أبيه إبراهيم الخليل أمه مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان ومات في ربيع الأول سنة عشرة عن سبعة عشر شهرا وثمانية أيام فأكثر بل روي عن عائشة ثمانية عشر. (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م، ج١، ص٦٠.).

(٣) جمع الوسائل في شرح الشمائل، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، المطبعة الشرفية – مصر، (د. ط)، (د. ت)، ج٢، ص١٢٢.

(٤) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة رسول الله صلّى الله عليه وسلم الأولى، وكانت أسنّ منه بخمس عشرة سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفجار، وتزوجت ب أبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى (بحوران) وعاد رابحا، فدست له من عرض عليه الزواج بها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها (عمرو بن أسعد بن عبد العزى) فحضر وتزوجها رسول الله (قبل النبوة) فولدت له القاسم (وكان يكنى به) وعبد الله (وهو الطاهر والطيب) وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان بين كل ولدين سنة. وكانت تسترضع لهم وتهيء ذلك قبل أن تلد. ولما بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة، وكانت وفاتها بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة . (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٢، ص٣٠٢.).

(٥) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي (رضي الله عليه) وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الاباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله، فحماه أبو طالب وصدهم عنه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فامتنع خوفا من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه، ووعد بنصرته وحمايته، وفيه الآية: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ واستمر على ذلك إلى أن توفي، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة، مات في السنة الثالثة قبل الهجرة. (السابق، ج٤، ص١٦٦.)

وسلم- من مشركي قريش[١] من أمثال عقبة بن أبي معيطٍ[٢]، والصبر الذي يريده الشاعر في هذه الأبيات هو الصبر من أجل الله، لا من أجل سمعة أو رياء، وهذا يتناسب مع أمر الله تعالى لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، فالله تعالى يقول:﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[٣]، وقد أعطى النص الشعري لوحة فسيفسائية متعددة الصور حسب زاوية النظر إليها، فثقافة المتلقي هي التي تحدد اللوحة[٤].

ويلمس المتأمل في شعره حقيقة الدنيا الفانية، فتراه يتعجب من تنافس المتصارعين عليها، وهي لا تساوي جناح بعوضة، فهي حقيرة، ويدعو إلى عدم المنافسة عليها، ويستمد هذا المعنى من السيرة، فيقول:

إنَّمـــا الـــدُّنيا عَلـــى مـــا جُبِلَـــتْ	جِيفَـــةٌ نَحـــنُ عَلَيهـــا نَصْـــطرِع
التَّقِـــيُّ البـــرُّ مَـــنْ يَنْبُـــذُها	والمُحـــامي دونهـــا الخِـــبُّ الخـــدِع [٥]

تناص الشاعر في المقطع السابق مع فعلى النبي في تعريفه للصحابة بقيمة الدنيا، فعندما مر -صلى الله عليه وسلم بجدي أسك ميت،" فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: « فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»"[٦]، وفي هذا المعنى ينكر الشاعر على من تمسك بالدنيا ونعته "بالخب الخدع"؛ لأنه لم

---

(١) القُرَيْشُ: تصغير القرش، وهو الجمع من ههنا وههنا ثم يضمّ بعضه إلى بعض، وقيل: سمّيت قريش قريشا لتقرّشها إلى مكة من حواليها حين غلب عليها قصيّ بن كلاب، وقيل سمّيت قريش لأنهم كانوا أصحاب تجارة ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع، والقرش: الكسب، يقال: هو يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب. (معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ج٤، ص٣٣٦.)

(٢) عقبَة بن أبي معيط أبان بن أبي عَمْرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد منَاف وَأم عقبَة آمِنَة بنت كُلَيْب بن ربيعَة وَعقبَة هَذَا عَدو رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ عُرْوَة بن الزبير سَأَلت عبد الله بن عمر عَن أَشد مَا صنعه الْمُشْركُونَ برَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ بَيْنَمَا هُوَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يُصَلِّي فِي حجر الْكَعْبَة إِذْ أقبل عقبَة بن أبي معيط فَوضع ثَوْبه فِي عنق رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فخنقه خنقا شَدِيدا فَأقبل أَبُو بكر رَضِي الله عَنهُ حَتَّى أَخذ بمنكبه فَدفعهُ عَنهُ وَقَالَ أَتقْتلونَ رجلا أَن يَقُول رَبِّي الله وَلما كَانَ يَوْم بدر أسر عقبَة فَقتله رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم صبرا فَقَالَ لَهُ وَقد أَمر فِيهِ بذلك يَا مُحَمَّد أَنا خَاصَّة من قُرَيْش قَالَ نعم قَالَ فَمن للصبية بعدِي قَالَ النَّار فَلذَلِك يُسمى صبية العيط بن أبي معيط صبية النَّار. (الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٢٠، ص٥٩).

(٣) سورة المدثر، الآية ٧.

(٤) انظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، ص١٥١.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٢١.

(٦) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ج١، ص٤٦١.

يدرك قيمة الدنيا الحقيقية، وأثنى على فعل العاقل الذي ينبذها. أما حادثة وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– فقد كان لها في نفس أبي العتاهية الأثر الكبير؛ رغم أنَّ الحادثة قد وقعت منذ سنيين، فهي الحادثة التي تبكي قلوب المسلمين كلما تذكروها بتفاصيلها، فهو في سياق حديثه عن حتمية الموت على كل مخلوق، يُحيل القارئ إلى العرض الذي قُدم للنبي –صلى الله عليه وسلم–، لكنه يسوق في مثال جدلي لا يمكن تحقيقه!! فيقول في هذا:

هَبِ الدُّنيا تُساقُ إِلَيْكَ عَفْواً ... أَلَيس مَصير ذاكَ إِلى زَوال[1]
فَما تَرْجو بشيءٍ لَيْسَ يَبْقى ... وَشيكاً ما تُغَيِّرُهُ اللَّيالي [2]

تناص الشاعر في البيتين السابقين مع ما ورد في السيرة من قول النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل وفاته: "إن عبدا من عباد الله قد خيره الله بين الدنيا و بين ما عند الله فاختار ما عند الله"[3]. فهذا خير خلق الله يرفض الدُنيا؛ وقد عرضت عليه لمعرفته بحقيقتها، فما بال الذين يركضون خلفها، أما يعرفون حقيقتها؟ ألم يروا أنها لم تبقَ لأحدٍ من قبل وأن الموت حقيقة واقعة على كل مخلوق، فلماذا طول الأمل؟.

لكن هناك من النقاد من بنى على مثل هذه الشواهد آراء نقدية عبرت عن خوف أبي العتاهية من الموت، فهذا دكتور عبد الستار متولي يقول: "وسنرى أبا العتاهية في كلامه عن الموت جزعاً فاذا نفر من الدنيا لأنها زائلة فانية فلأنه يرهب الموت ويخشاه ولأنه يتسلى بذم الدنيا واستقصاء معايبها عن خوفه المقيم فليتفنن اذن في عرض مثالب الدنيا."[4].

وقد يتخذ من حادثة وفاة النبي مجالاً لمدحه –صلى الله عليه وسلم– وليبين مدى الفاجعة التي ألمت بالصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين– وتراه يقول:

لِيَبْكِ رَسولَ اللهِ مَنْ كانَ باكِيا ... وَلا تَنْسَ قَبْراً بالْمَدينَةِ ثاوِيا
جَزَى اللهُ عَنْا كُلَّ خَيْرٍ مُحَمَّداً ... فَقَدْ كانَ مَهْدِياً دليلاً وَهاديا
وَلَنْ تَسْرِيَ الذِّكْرى بما هُوَ أَهْلُهُ ... إذا كُنْتَ لِلْبَرِّ الْمُطَهَّرِ ناسِيا

(١) هذا البيت من الأبيات التي أعجبت أبو تمام حتى قال فيها: "لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شركه فيها أحد، ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر". أنظر بقية الخبر: (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٦٩).

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٢٩٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ، ج٦، ص٦٤.

(٤) أدب الزهد في العصر العباسي (نشأته وتطوره وأشهر رجاله)، د. عبد الستار متولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٤م، ص٨٩-٩٠.

أتَنْسـى رَسـولَ اللهِ أَفْضَـلَ مَـنْ مَشـى وَآثـــارُهُ بِالْمَسْـــجِدَينِ كمـــا هِيـــا
وَكــــانَ أَبَـــرَّ النَّــــاسِ كُلِّهِـــمْ وَأَكْـــرَمَهُمْ بَيْتـــاً وَشِـــعْباً وَواديـــا
تكَـــدَّرَ مِـــنْ بَعْـــدِ النَّبِـــيّ مُحَمَّـــدٍ عَلَيْـــهِ سَـــلامُ اللهِ مـــا كـــانَ صـــافِيا
فَكَـمْ مِـنْ مَنـارٍ كـانَ أَوضَـحَهُ لَنـا وَمِـــنْ عَلَـــمٍ أمْسَـــي وأَصْـــبَحَ عافِيـــا
رَكَنَّـــا إلـــى الـــدُّنيا الدَّنِيَّـــةِ بَعْـــدَهُ وَكَشَّـــفَتِ الأَطْمـــاعُ مِـــنَّ الْمَســـاوِيا[١]

فهو يوجه المتلقي إلى إنه إذا كان لابد باكياً فإنه لا أحد يستحق البكاء عليه إلا رسول الله، فقد كان خير هادٍ، ويتساءل: كيف ننسى رسول الله وآثاره لازالت باقية فينا وحولنا، وهو أرحم خلق الله بعباد الله، ثم يصف فاجعة الصحابة بوفاة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فـ"لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية"[٢]، وهو يتعجب ويستنكر من ركوننا إلى الدنيا ولا زالت ذكرى سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– باقية فينا.

وقد يجد المتأمل أنَّ أبا العتاهية لم يقف عند هذا الحد من التناص مع السيرة النبوية، وإنما تراه يتناص مع أقوال من عاصروا النبي –صلى الله عليه وسلم– من الصحابة الكرام، وغيرهم، حيث يقول:

هُـــو التَّنَقُّـــلُ مِـــنْ يَـــوْمٍ إلـــى يـــومِ كَأَنَّـــهُ مـــا تُرِيـــكَ الْعَـــيْنُ فـــي النَّـــومِ
إنَّ المَنايـــا وإنْ أصـــبَحتَ فـــي لَعِـــبِ تَحـــومُ حَوْلَـــكَ حَوْمـــاً أَيَّمـــا حَـــوْمِ
والـــدَّهرُ ذو دُوَلٍ فيـــه لَنـــا عَجَـــبٌ دُنيـــا تَنَقَّـــلُ مـــن قَـــوْمٍ إلـــى قَـــوْمِ[٣]

هذه الأبيات توحي بحكمة جرت في معناها على لسان أبي سفيان[٤] –رضي الله عنه– في يوم أُحد –وقد كان كافراً–: "يوم بيوم بدر، والحرب سجال"[٥]، وأبو سفيان هنا يذكر حقيقة قائمة

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٤٣٣.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين بر رجب الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م، ص١١٠.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٣٤١..

(٤) أَبو سُفْيان الهاشِمي: المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان الهاشمي (القرشي: أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخو رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الرضاع. كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي صلّى الله عليه وسلم الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة وهجاه وهجا أصحابه. واستمر على ذلك إلى أن قوي المسلمون وتداول الناس خبر تحرك النبي صلّى الله عليه وسلم لفتح مكة، فخرج من مكة ونزل بالأبواء – وكانت خيل المسلمين قد بلغتها قاصدة مكة – ثم تنكر وقصد رسول الله، فلما رآه، أعرض عنه النبي صلّى الله عليه وسلم فتحول المغيرة إلى الجهة التي حول إليها بصره، فأعرض، فأدرك المغيرة أنه مقتول لا محالة، فأسلم، ورسول الله معرض عنه. وشهد معه فتح مكة ثم وقعة حنين وأبلى بلاء حسنا، فرضي عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم كان من أخصائه، حتى قال فيه: (أبو سفيان أخي، وخير أهلي، وقد عقبني الله من حمزة أبا سفيان بن الحارث) فكان يقال له بعد ذلك (أسد الله) و (أسد الرسول). له شعر كثير في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير بالإسلام هجاء بالمشركين. مات بالمدينة سنة عشرين للهجرة، وصلى عليه عمر. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٧، ص٢٧٦).

(٥) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي الصلابي، ج٢، ص١٤١.

في حياتنا، وهي أنَّ الدنيا لا تبقى لأحد، ويقولون : لو دامت لغيرك لما وصلت إليك، ونلاحظ أن المتلقي في استنباطه لمثل هذه التناصات يجلب لنفسه لذة أدبية قائمة على المعرفة والاطلاع على الأصل، وأن كل تناص هو محاولة لإظهار للتراث المخزن في ذاكرة المتلقي(١).

الملاحظ في تناص أبي العتاهية مع سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– أنها كانت بإشارات قليلة، على غير المعهود عند شعراء العصر المعاصر، وقد يكون السبب راجع إلى أنَّ المتلقي قد تغير، فالثقافة هنا تلعب دوراً فاعلاً، فإنَّ قرب عصر النبي من عصر أبي العتاهية كان يكفي أبا العتاهية عناء الشرح الطويل، فمجرد ذكر طرف الخبر (طرف التناص) إذا جاز التعبير، كان كفيلاً بأن يُحيل القارئ إليه.

---

(١) انظر: لذة النص، رولان بارت، تر: د. منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، سورية، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٤.

الفصل الثالث:

آليات التناص

أولاً: التناص الاجتراري.

ثانياً: التناص الامتصاصي.

ثالثاً: التناص الحواري.

الفصل الثالث

آليات التناص

يبحث هذا الفصل في آليات التناص التي استخدمها أبو العتاهية في تناصه مع النصوص الدينية ، ولا يقوم هذا الفصل على تحديد النص المتناص وإرجاعه إلى أصوله ومؤثراته فحسب، بل على تحديد قانون هذا التناص، أي محاولة تصنيف النصوص الشعرية المتناصة مع نصوص أخرى ضمن هذه القوانين المذكورة، مع عدم إغفال دور القارئ طبعاً في هذه العملية لما يقوم به من استرجاع ومقارنة وموازنة ورصد ومعاينة النصوص[١]، ثم تأويل المعنى المطلوب، بالرجوع إلى النص ذاته مع النص الأصلي الذي أُخذ عنه، فإنك "إذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبة، إما تناسباً قريباً أو بعيداً"[٢].

وقد أفاد الشعراء من هذه الآليات في إيصال "تجاربهم المعاصرة عن طريق ربطها بجذورها وأصولها العميقة في تراثهم العريق، وهم في الوقت ذاته يحققون ذلك التفاعل الخلاق بين الشاعر وموروثه، في إطار علاقة خصبة يتبادل فيها الشعراء وموروثهم التأثير والتأثر، الأخذ والعطاء؛ فهم في الوقت الذي يسترفدون فيه موروثهم موضوعات وأدوات وأطر ووسائل فنية متنوعة يوظفونها لتجسيد ملامح رؤاهم الشعرية المعاصرة يفجرون في هذا التراث طاقات متجددة"[٣].

ولقد كان للنصوص الدينية أثر واضح في شعر أبي العتاهية، حيث أسهمت في التعبير عن تجاربه، وأشعاره، وساعدته كذلك في الوصول إلى المعنى الكامن في فكره ووجدانه، ودلت هذه التناصات على ثقافة الشاعر، وعلى الأثر الذي تركه العصر الذي عاشه في ثقافته، التي انعكست على أشعاره، ونعني بذلك التناص مع النصوص الدينية.

وأبو العتاهية "واحد من شعرائنا الذين يضربون بجذورهم الفنية والفكرية والوجدانية في أرض تراث عريق شديد الغنى والخصوبة، ويمتاحون من ينابيع هذا التراث وكنوزه السخية ما يغنون به تجاربهم ورؤاهم المعاصرة من أدوات ووسائل وأطر فنية، متوسلين إلى وجدانات جماهيرهم لما لمعطيات التراث من قداسة في نفوس هذه الجماهير ولصوق بوجدانهم، مستغلين ما اكتسبته هذه

---

(١) انظر: التناص في شعر الرّوّاد، د. أحمد ناهم، ص٤٩.

(٢) عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص٦٧.

(٣) قراءات في الشعر العربي المعاصر، د. على عشري زايد، دار الفكر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص٨٧.

المعطيات على مر العصور من طاقات إيحائية، وما ارتبط بها من دلالات نفسية وفكرية ووجدانية"(١).

والمتأمل في شعر أبي العتاهية يراه ينفتح على النص القرآني وفق ثلاث آليات من آليات التناص، وهي:

- التناص الاجتراري/ الاقتباسي.
- التناص الامتصاصي/ الإحالي
- التناص الحواري/ الإيحائي

أولاً: التناص الاجتراري/ الاقتباسي:

وهذا النوع من التناص يعمد الشاعر فيه إلى استدعاء النص الديني في سياق بيته الشعري دون أن يقوم بتغيير النص،(٢) أو مع تغيير طفيف لا يمس الجوهر بتطوير أو محاورة وقد يكون ذلك راجعاً إلى أسباب عدة منها: "نظرة التقديس والاحترام لبعض النصوص والمرجعيات لاسيما الدينية...، ومن جهة أخرى فقد يعود الأمر إلى ضعف المقدرة الفنية والإبداعية لدى الذات المبدعة في تجاوز هذه النصوص السابقة(٣)".

وإذا اعتبرنا التناص هو حضور نص قديم داخل آخر جديد "بشكل معلن أو خفي، فإنَّ الاستشهاد يُمثل الدرجة العليا لهذا الحضور النصي، حيث يعلن النص الغائب عن نفسه في النص الحاضر، فيصبح هذا الحضور بين النصين مندمجاً، حتى يغدوان كتلة واحدة غير متشظية، وإلا فإنَّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تجميع، لا مسوغ له، ولا رابط يربط بين أجزائه؛ ليؤدي دلالة مكثفة لعمل واحد، مكون من نصوص شتى سابقة عليه أو معاصرة له."(٤)، لأن أي نص أو جزء من نص يكون دائم التعرض للنقل من سياق إلى سياق آخر، في زمن آخر، فكل نص أدبي هو خلاصة تأليف لعدد من الكلمات، والكلمات هذه سابقة للنص في وجودها، كما أنها قابلة للانتقال إلى نص آخر، وهي بهذا كله تحمل معها تاريخها القديم والمكتسب. (٥)

---

(١) قراءات في الشعر العربي المعاصر، د. على عشري زايد، ص٨٧.

(٢) أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول، هالة فاروق فرج العبيدي، (رسالة ماجستير) جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٨٣.

(٣) التناص في شعر الرّوّاد، د. أحمد ناهم، ص٥٠.

(٤) التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر -أحمد العوضي أنموذجاً-، عصام واصل، ص٧٨-٧٩.

(٥) انظر: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريح، عبد الله الغذامي، ص٥٢-٥٣.

إلا أننا لن ننكر أن هذا الاقتباس يزيد من فاعلية النص، ومن قابلية تلقي النص في نفس المتلقي، لأن الشاعر يعتمد على إيصال فكرته على نصوص مقدسة، والوضوح في التناص يُحيل الذاكرة إلى النص المقتبس منه فينبه ويذكر، "فترتاح إليه النفس وتلتفت إلى السحر المبدع الذي ألفته في آيات الذكر الحكيم(١)".

وجد هذا النمط من التناص مع القرآن الكريم قبولاً عند المبدع والمتلقي؛ لأن تربية أطفال المسلمين من عصر النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى عصرنا هذا كانت في الغالب تتم على موائد القرآن، فكان من الطبيعي ظهور تناصات قرآنية في كلام العامة والخاصة بشكل عفوي وبدون تكلف، الأمر الذي "غيَّر طريقتي الكتابة والتفكير لدى المتلقي، وما يزال يمارس نفس الهيمنة الروحية والجمالية على النفوس على خلاف الكتب المقدسة الأخرى، مما يجعله منبعا ينهل الشعراء منه بكيفيات شتى، ليضفوا على نصوصهم قدسية، وروحانية، وهم ينفتحون عليه"(٢)، ومع كثرة تناص الشاعر مع القرآن، فإننا سنجد بعضاً من التناصات الاجترارية في شعره، على النحو الذي يقول فيه:

يـــا عَجَبــاً كُلُّنـــا يَحِيــدُ عَـــنِ الْـــ ـــــــحَيْنِ وكُـــــــلٌ لِحِيْنِـــــــهِ لاق
كــــأَنَّ حَيَّـــاً قَـــدْ قـــامَ نادِبُـــهُ وَالْتَفَّـــتِ السّـــاقُ مِنـــهُ بالسّـــاقِ
واسْـــتَلَّ مِنْـــهُ حَياتَـــهُ مَلَـــكُ الْـــ ـــمَوْتِ خَفِيَّـــا وقيـــلَ: مَـــنْ راقِ(٣)

يكاد يُجزم بأنَّ القارئ أو المتلقي سينصرف ذهنه إلى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾(٤)، بمجرد سماع الأبيات، فالشاعر "استضاف النص القرآني في بنية نصهِ الشعري مع تبنيه على أنه نصٌ قرآني، فكان أن جاءت الصياغة التركيبية مطابقة على مستوى بنيتها السطحية، أما على مستوى بنيتها العميقة فقد جاء استعمالها الدلالي موافقاً أيضاً، فبنية النص القُرآني ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾، اقتبسها الشاعر في عجز بيته بأكمله من حيث الصياغة التركيبية مع زيادة لفظة (منه) ليكتمل البيت الشعري، وكذلك ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ التي استدعاها في نهايةِ عجز مقطوعته الشعرية." (٥)، فالآية تأتي لوصف لحظة

(١) أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير)، هالة فاروق فرج العبيدي، ص٨٣.
(٢) التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر –أحمد العوضي أنموذجاً–، عصام واصل، ص٧٧.
(٣) ديوان أبي العتاهية، ص٥٨٩.
(٤) سورة القيامة، الآيات ٢٦-٢٩.
(٥) أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول، هالة فاروق فرج العبيدي(رسالة ماجستير)، ص٨٤.

الوفاة، لحظة شديدة العجز، "فمن ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به؟"[1]، والشاعر استثمر النص القرآني لينبه المتلقي؛ كأنه يهزه هزاً عنيفاً عندما يحيله للآية !!، "هذا التوظيف للنص القرآني إفادة دلالية زادت من فنية النص بدون أن يُعيد صياغة النص القرآني أو تفكيكه وصياغته من جديد"[2].

لكن يُلاحظ أنَّ زيادة (منه) في قوله (والتفت الساق منه بالساق) على ما هو في الآية، قد جاء ليوسع من مساحة التناص مع الآية، فكأنَّ الشاعر قال هذه الأبيات وهو في حضره إنسان تحضره الوفاة، أو ليسهم في صناعة صورة لشخص يحتضر في ذهن المتلقي.

ومن أجمل التناصات الموفقة في هذا الباب ما جاء ذكره في كُتب الأدب من قول أبي العتاهية في مدح المهدي:

أتتْــــــه الخلافــــــةُ مُنقــــــادةً	إليــــــهِ تُجَـــــرِّرُ أذيالَهـــــــا
ولـــــم تَــــكُ تصــــلُح إلاّ لَـــــهُ	ولـــــم يَــــكُ يَصـــلُحُ إلاّ لهــــا
ولــــو رامهــــا أحــــدٌ غيــــرُه	لَزُلزِلـــــــت الأرضُ زِلْزالَهـــــــا
ولـــو لـــم تُطِعْـــه بنـــاتُ القلـــوبِ	لمَــــــا قَبِـــــلَ اللهُ أعمالَهـــــا
وإنّ الخليفـــــةَ مـــــن بُغـــــض: لا	إليــــه لَيُـــبغِضُ مَـــن قالَهـــا [3]

يستلهم أبو العتاهية المعاني الواردة في سورة الزلزلة من قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[4]، ليبين مدى الغضب الذي سيصيب مخلوقات الله من أن يأخذ الخلافة أحدٌ غير المهدي، فبنظر الشاعر هو الوحيد في الأرض الذي يستحقها، وهذا النوع من المديح هو الذي كان يُطرب الخلفاء؛ فكأنَّ أبا العتاهية قد لمس الوتر الحساس لدى المهدي، لذلك ترى بشار بن برد يعقب على هذا القول، وقد اهتز طربا: "ويحك يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر عن فرشه طربا لما يأتي به هذا الكوفي"[5]، وابن الأثير يُعقب على كليهما، فيقول: "ولعمري إن الأمر كما قال بشار، وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته، سواء كان في مديح أو غيره، واعلم أن هذه الأبيات المشار إليها ههنا من رقيق الشعر غزلًا ومديحًا، وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر، ومع هذا، فإنك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات، وهذا هو الكلام الذي

---

(١) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، ج٧، ص٤١٥.

(٢) المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري، ص٥٣.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٦١٢-٦١٣.

(٤) سورة الزلزلة، الآية ١.

(٥) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٣٧.

يسمَّى "السهل الممتنع"، فتراه يطمعك، ثم إذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب، وهكذا ينبغي أن يكون من خاض في كتابة أو شعر، فإن خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذنٍ!"(١).

ونلمس هذه الآلية من آليات التناص واضحة وجلية في قوله :

أَلَا إِلَـــــى اللهِ تَصـــــيرُ الأُمـــــورْ	مـــا أَنْـــتِ يـــا دُنيـــايَ إلاَّ غُـــرورْ
إِنَّ امْـــــرَءًا يَصـــــفو لَـــــهُ عَيشُـــــهُ	لَغافِـــلٌ عَمَّـــا تُجِـــنُّ الْقُبـــورْ(٢)

يستدعي هذا الملفوظ إلى الذهن قوله تعالى: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(٣)، ويستضيف الشاعر مقطعاً من الآية كما هو، "دون أن يحدث أي تغيير على البنية السطحية للنص الشعري فجاءت البنية السطحية موافقة للصياغة التركيبية." (٤)، وهذا ليس غريباً على شاعر كأبي العتاهية، فهو صاحب موهبة شعرية مميزة(٥)، وهنا يمثل رجوع أبي العتاهية إلى النص القرآني رجوع الشاعر إلى أصل لغته وشخصيته العربية الإسلامية، فالقرآن الكريم جاء بأرفع لغة وأبلغ معنى لا نقول قالته العرب، ولكن نقول عجزت على أنْ تأتي بمثله، فلذلك نجد هذا التوظيف القرآني هو رجوع من الشاعر إلى جذوره فضلاً عما يسمو النص القرآني بشعر الشاعر وزيادة دلالته وجماليته"(٦).

ويستلهم الشاعر في هذا المشهد الشعري النص القرآني ليذكر بفعل واجب على كل مسلم، وهو الإيمان بالقضاء والقدر، فأمور الخلائق كلها في الآخرة بيد الله ، وهذا يأتي في سياقين متوازيين؛ سياق الترهيب، وسياق الترغيب، وكأنه يريد أن يقول: ليعمل كل منكم ما شاء ففي النهاية سيحاسب على فعله، ولكن ليجعل مخافة الله نصب عينية، ويضيف بأن الدنيا ما هي إلا غرور، والغرور "إِيهَام الْوُصُول إِلَى النَّفْع من مَوضِع الضّر"(٧)، وكل من تنطلي عليه هذه الخدعة غافل! لماذا؟، يُجيب أبو العتاهية: لأنه نسي أن نهاية الدنيا هي القبر، فلماذا لا نعمل لدار البقاء؟

---

(١) المثل السائر، لضياء الدين بن الأثير، ج١، ص١٨٠-١٨١.

(٢) ديوان أبي العتاهية، ص١٧٢.

(٣) سورة الشورى، الآية ٥٣.

(٤) أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير)، هالة فاروق فرج العبيدي، ص٨٥.

(٥) انظر: خبره مع فتيان يتذاكرون الشعر، (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٤٤).

(٦) المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري، ص٦٤.

(٧) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ج١، ص٤٨١.

وجميعنا يعلم بأن نهايتنا الحتمية هي الموت، والشاعر هنا يذهب مذهب العارف بحقيقة الدنيا الخبير بحالها ومآلها.

أما في تناصه مع **التوراة** بهذه الآلية فقد استلهم منها ما يبرز شخصيته الوجلة من تقلب الأحوال إلى ما يُحمد عُقباه، حيث يقول:

كُـلُّ امـرِئٍ فَكَمـا يَـدينُ يُـدان   سُـبْحانَ مَـنْ لَـم يَخْـلُ مِنْـهُ مَكـانُ(١)

ويقول في موضع آخر:

تُـدانُ يَوْمـاً مـا كَمـا تَـدِينُ   وَيْحَـكَ يـا مِسـكين يـا مِسـكِينُ (٢)

تناص الشاعر مع ما ذُكر في حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي: بأنه "شاهد موقوف، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب " الزهد " عن مالك بن دينار قال: مكتوب في التوراة، كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد ، وأخرج الديلمي في " مسند الفردوس " عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " مكتوب في الإنجيل كما تدين تدان، وبالكيل الذي تكيل تكتال"(٣)، قد لا يجد الباحث في التوراة والإنجيل المتداولة في وقتنا هذا النص الذي ذُكر في حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي بنفس الكلمات فقد ورد في انجيل متى: "لا تدينوا لكي لا تدانوا * لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون و بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم"(٤)، وفقط في الإنجيل، لكنه أيضاً موجود في الأمثال المتداولة في وقتنا هذا، والتي قد تمثل حكمة يمكن قوله للدلالة على عدم ثبات الحال، وأن الأيام يوم لك ويوم عليك، والشاعر عندما يستعير هذا النص يذكر المتلقي ويحذره من تقلب الدنيا، لأنك قد تكون اليوم صاحب مكانة يحتاجك الكثير من الناس، إلا أنك غداً قد تكون في مكانة تحتاج كل من في الأرض فاحذر!! ولكنه ينفي هذا التقلب عن الخالق سبحانه، ويُمثل هذا القول ما ورد في البيت الأول، أما في البيت الثاني فيذكر الإنسان بتقلب حاله بقوله " وَيْحَكَ يا مِسكين يا مِسكِينُ" كأنه يَهز المتلقي ليشعر بضعفه وأنه مجرد مخلوق لا حول له ولا قوة.

أما في تناصه مع **الحديث النبوي الشريف** فيبدو واضحاً في أكثر من موضع في أشعاره اقتباسه نصوصاً من الحديث، مما يدل على ثقافته الواسعة في علم الحديث، إما لأنه كان في

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل ، ص٣٧٠.

(٢) السابق، ص٤٥٨.

(٣) حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (ثلاث رسائل دكتوراه)، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٥م، ج١، ص١٩٠.

(٤) إنجيل متى: ٧/١-٢.

العصر الذي جُمع فيه الحديث، أو لأن عصره كان قريب العهد بعصر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقد يكون ذلك نابعاً من التربية التي ترباها أغلب أطفال المسلمين، والتي تأسست على ما جاء به القرآن الكريم والسنة، فكانت عقولهم أول ما وعت كلام الله وكلام رسوله –صلى الله عليه وسلم– ومن جميل شعره في الحث على الأخلاق، يقول:

إذا عِبْــت أَمْــراً فَـلَا تَأْتِـهِ ... وَذُو اللُّــبِّ مُجْتَنِــبٌ مَـا يَعِيــبُ
وَدَعْ مَـا يَرِيبُــكَ لَا تَأْتِــهِ ... وَجُــزْهُ إلــى كُــلِّ مَـا لَا يَرِيــبُ[١]

تناص الشاعر في هذا المقطع الشعري تناصاً اقتباسياً مع ما ورد من قول النبي –صلى الله عليه وسلم: " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ"[٢]، وفيه "يُبين أنَّ فعل الخير هو الطريق المؤدي إلى النجاة في الآخرة، واجتناب مواطن الريبة من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يبتعد عنها، ونفس المؤمن هي التي تدله على مواطن الشر، لأنها نفس شفافة، ولذلك يجب الابتعاد عن الشر إلى الخير"[٣]، والمتأمل للبيت الثاني يجد أن أبا العتاهية قد جاء بالحديث ثم أضاف إليه " لَا تأته وَجُزْهُ إلى كُلِّ" وكأنها قد جاءت جمله اعتراضية، لأن الكلام الذي استعاره هو كلام نبينا الذي أوتي جوامع الكلم، ويبدو أنه قد جاء بذلك لإقامة الوزن الشعري، ويُلاحظ أيضاً أنه في الكلمة الأخير من البيت قد حذف الضمير المتصل، وبهذا الحذف جعل الكلمة أكثر عموما، فهو يريد من المتلقي البعد عن كل فعل يريبه أو حتى يريب الناظرين إليه ممن حوله.

وفي باب وجوب إخلاص النية لله تعالى، وفي تأكيده على أن الله يعلم ما في الصدور وأخفى، يقول مستلهماً هذه المعاني:

نــافِس إذا نافَسْــتَ فــي حِكْمَــةٍ ... آخِ إذا آخَيْــتَ أَهْــلَ التّقــى
مــا خَيْــرُ مَــنْ لا يُرْتَجــى نَفْعُــهُ ... يَوْمــاً وَلا يُــؤمَنُ مِنْــهُ الأَذى
وَاللهُ لِلنَّــاسِ بأَعْمــالِهِمْ ... وَكُــلُّ نــاوٍ فَلَــهُ مــا نَــوى[٤]

يستلهم أبو العتاهية المعاني الواردة في القطعة السابقة من قول النبي –صلى الله عليه وسلم في باب الإخلاص: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل ، ص٣٧.

(٢) سنن النسائي المسمى بالمجتنى، للإمام أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، تخريج وترقيم وضبط: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص١٢٧١.

(٣) أثر القرآن الكريم والسنة في شعر أبي العتاهية، د. محمد علي الهرفي، دار الإصلاح للطباعة والنشر والتوزيع، الدمام– السعودية، ١٩٨٩م، ص٧٣.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٢.

يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"(١)، في توجيه المتلقي إلى المنافسة في عمل الخيرات، والابتعاد عن أذى الناس، وينصح المتلقي ألا يكون بدون فائدة للناس، ويؤكد على أنَّ لكل ناوٍ ما أضمر في نفسه من نية.

وقد ذهب أبو العتاهية في تناصه مع الحديث الشريف إلى حدود بعيدة، فهو قد أرفد أبياته الشعرية أحاديث ضعيفة، ويأتي ذلك في حديثه عن الأخلاق الإسلامية، التي عبر عنها من خلال قوله:

اَلْخَلْقُ كُلُهُمُ عِيالُ اللهِ تَحْتَ ظِلالِهِ
فأَحَبُّهُمْ طُرَّا إِلَيْهِ أبَرُّهَم بِعيالِهِ(٢)

فالشاعر يدعو إلى الإحسان للناس، لأن الخلق عيال الله، وأحب الناس إلى الله أبرهم بعياله، وقد أخذ شاعرنا هذا الكلام من حديثه –صلى الله عليه وسلم–: "الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله"(٣)، ويُلمس من التدقيق في البيتين أن الشاعر قد أورد أغلب الحديث كما هو في سياق النص الشعري، وقد أرفق ذلك بعض التوضيحات مثل (تحت ظلاله)، وقد أبدل كلمة (أنفعهم) بـ(أبرهم) وهي للدلالة على كثر العطاء وزيادة المنفعة، وأضاف كلمة (طرا) للزيادة على القرب بالإضافة للمحبة.

وفي تناصه مع **السيرة النبوية** تراه يستخدم هذه الآلية، فهو يُحيل المتلقي إلى أحداث كثيرة من سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– بأبيات قليلة، أو حتى ببيت واحد، فتراه يقول:

مَنْ لم يُصبْ مِمَّنْ تَرى بِمُصيبَةٍ هذا سَبيلٌ لَسْتَ فيهِ بِأوحَدِ
وَإذا ذَكَرْتَ مُحَمَّداً ومُصابَهُ فاذْكُرْ مُصابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ(٤)

تراه يتناص في البيت الثاني مع أحداث كثيرة من سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– منها؛ موت خديجة أم المؤمنين –رضي الله عنها– وموت عمه أبو طالب(٥)، وما لحق بهما من أذى من

---

(١) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجُعفي، ج٤، ص٢٥٧.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٣٣٥.

(٣) الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ج١١، ص١٤٩.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١١١.

(٥) أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي (رضي الله عليه) وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الاباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله، فحماه أبو طالب وصدهم عنه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فامتنع خوفا من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه، ووعد بنصرته وحمايته،=

قومه -صلى الله عليه وسلم-، وكما يَذكر في البيت الأول فإنَّ هذا هو حال جُل أهل الأرض إنْ لم يكن كلهم، ولتخفيف وطء المصيبة على المتلقي يُذكر بحال الحبيب -صلى الله عليه وسلم- فأين أنت من ذلك؟؟

قال القرطبي مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور: "من أعظم المصائب المصيبة في الدين .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها أعظم المصائب"(١) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه"(٢).

الناظر إلى هذه الشواهد التي استخدم الشاعر فيها آلية التناص الاجتراري، حيث إنه استعمل نصوصاً دينية كما هي دون أي تغيير يُذكر على مستوى المعنى والتركيب، أو بتغيير طفيف قد يظن أن هذا يمثل جانب ضعف لدى الشاعر، لكن الباحث يرى عكس ذلك، فالمتأمل لسيرة حياة الشاعر يرى أن هذه الآلية جاءت لتمثل جانب قوة لديه، حيث إنه يورد أجزاء من نصوص دينية ليوصل فكرة دون أن يخل ذلك بأسلوبه الشعري، ودون أن يظهر الاقتباس من النصوص الدينية كأنه جاء حشواً، كُل ذلك يُسهم في بقاء أشعار الشاعر في ذاكرة المتلقي لأطول فترة؛ لأنها تعتمد على مألوف للمتلقي، وهو بهذه الاقتباسات يُقرب للمتلقي المعنى المراد ويُناقش موضوعات طُرحت في النصوص الدينية وليست غريبة عنه.

ثانياً: التناص الامتصاصي/ الإحالي:

يعبر التناص الامتصاصي عن مرحلة أعلى في قراءة النص الأصلي، ولهذا " يكون أقل ظهوراً، مقارنة بالتناص الاجتراري، الذي يُعد أكثر حضوراً وتجلياً، فهو لا يُعلن عن وجود ملفوظ حرفي مأخوذ من نص آخر، ومندرج في بنيته بشكل صريح، كلي ومعلن، وإنما يشير إليه، ويحيل الذاكرة القرائية عليه، عن طريق وجود دال من دواله، أو شيء منه ينوب عنه،

=وفيه الآية: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ واستمر على ذلك إلى أن توفي، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة، وفي الحديث: ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب مولده ووفاته بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٤، ص١٦٦-١٦٧.)

(١) مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص٨٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ج٢/ ص١٧٦

بحيث يذكر النص شيئاً من النصوص السابقة...، ينفي ما يراه موائماً، وملائماً للرؤية التي يتبناها النص الجديد، وينفي ما عداها"(١).

استفاد أبو العتاهية من هذه الآلية التناصية في إيصال تجاربه إلى المتلقي، وذلك بالاعتماد على النص الديني دون تقيد بحرفيته، مع إمكانية إحالة المتلقي إلى النص الديني.

ففي **تناصه مع القرآن الكريم**، تجده يتكلم عن توحيد الخالق مراراً؛ ليؤكد على بعض الأمور المتعلقة بهذا المعتقد، فهو في سياق الثناء والمدح للخالق، يقول:

لَكَ الْحَمْدُ ياذا الْعَرشِ يا خَيْرَ مَعْبودِ	ويا خَيْرَ مَسْئولٍ ويا خَيْرَ مَحْمودِ
شَهِدْنا لَكَ اللَّهُمَّ أنْ لَسْتَ والِداً	ولكِنَّكَ الْمَوْلى ولَسْتَ بِمَوْلودِ
وأَنَّكَ مَعْروفٌ ولَسْتَ بِمَوْصوفٍ	وأنَّكَ مَوْجودٌ ولَسْتَ بِمَجْدودِ
وأَنَّكَ رَبٌّ لا تَزالُ ولَمْ تَزَلْ	قَريباً بَعيداً غائِباً غَيْرَ مَفْقودِ(٢)

تضمنت الأبيات معنى قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٣)، والتي يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– في حقها: "والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن"(٤)، والمتأمل هذا التفاعل النصي يجد أن ما تضمنه المقطع الشعري يُحيل إلى سورة الإخلاص، ولكن الشاعر أتى بكلمات من السورة تُحيل المتلقي إليها بِكل سهوله (لَسْتَ والِداً) و(ولَسْتَ بِمَوْلودِ)، لكن هذا التفصيل والتعداد في ذكر صفات الخالق جاء في سياق الحمد، وتضمن إقراراً بالربوبية والألوهية، والتناص الامتصاصي مع القرآن الكريم جاء ليعبر عن إيمان أبي العتاهية بالله.

وكذلك يتجلى التناص الامتصاصي مع القصص القرآني، ليكشف عن النهايات التي آلت إليها الأقوام السابقة، التي رسم لها صورة بقوله:

أَيْنَ الْقُرونُ الْماضِيَهْ	تَرَكوا الْمَنازِلَ خالِيَهْ
فَاسْتَبْدَلَتْ بِهِمُ دِيا	رُهُمُ الرِّياحَ الْهاوِيَهْ
وتَشَتَّتَتْ عَنْها الجُمو	عُ وفارَقَتْها الْغاشِيَهْ
فَإذا مَحَلٌّ لِلْوُحو	شِ ولِلْكِلابِ الْعاوِيَهْ
دَرَجوا فَما أَبْقَتْ صُرو	فُ الدَّهْرِ مِنْهُمْ باقِيَهْ

(١) التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر –أحمد العوضي أنموذجاً–، عصام واصل، ص٩٥.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٠٤

(٣) سورة الإخلاص، الآية ١–٤.

(٤) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، ج٣، ص٣٤٩.

فَلَـــــئِنْ عَقَلْـــــتُ لَأَبْكِيَـــــــ نَّهُـــــمُ بِعَـــــيْنٍ باكِيَـــــهْ[1]

يوحي المتناص الامتصاصي بالمعاني الواردة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[2]، لكن الإيحاء يبقى مفتوحاً على جموع القصص القرآنية التي روت أحداث لنهاية أقوام ظلموا أنفسهم، فالشاعر يتيح للمتلقي بهذا النسق الشعري أن يتدخل في اسقاط الأحداث على أي قصة من قصص القرآن التي فيها عذاب للأقوام، مع بقاء دلالتها الحديثة قائمة[3]، وتبقى الإحالة الأكبر لقصة قوم عاد، ومن الكلمات التي توحي بذلك قول الشاعر: " الرياح الهاوية" فإنها تُحال على قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، وقوله: " تَرَكوا الْمَنازِلَ خالِيَهْ" تُحال على قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾، وهو في هذه الأبيات يحاول أنْ يأسر المتلقي بفكرة النهاية الحتمية لكل المخلوقات والدليل عليها هو فناء هذه الأقوام السابقة، ليقوم من سلوكه، فهو يُشير إلى أنه من الحكمة البكاء على هؤلاء الأقوام، لكن يُظن أن أبا العتاهية لم يوفق في هذا البيت، فهو يُخالف قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[4]، لكن قد يكون ذلك نابعاً من الفطرة الإنسانية التي جبلت على الرحمة، أو أن البكاء هو على نفسه التي يخاف عليها أن يصيبها ما أصاب الأقوام السابقة.

وقد ترى أبا العتاهية يأخذ مضمون كلامه من القرآن الكريم مع الإشارة إلى أنه يتناص مع القرآن، وفي مثل ذلك يقول:

وَخلْـــــــــقُ اللهِ مُشْـــــــــتَبِهٌ وَسَـــــــعْيُ النَّـــــاس مُخْتَلِـــــفُ

وَمـــــــا الـــــــدُّنْيا بباقِيـــــــةٍ سَـــــــتُنْزَحُ ثُـــــمَّ تُنْتَسَـــــفُ

وقَـــــــــوْلُ اللهِ ذاكَ لَنـــــــــا ولَـــــيْسَ لِقَوْلِـــــهِ خَلَـــــفُ[5]

فأبو العتاهية يُنبه هنا إلى أنَّ هذا المعنى ليس وليد أفكاره وإنما له أصل في القرآن، وبذلك يوجه المتلقي إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[6]، ويُلاحظ أنَّ الشاعر لما استقى قوله من القرآن لم يأخذ النص كما هو وإنما أخذ جزئيه وأشار إليها ليجعل من المتلقي مساعداً له في التنقيب عن المعنى، لتكون أرسخ في ذاكرته،

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٤٣٧.

(٢) سورة الحاقة، الآيات ٦-٨.

(٣) انظر: هكذا تكلم النص (استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام)، د. محمد عبد الطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص١٦١.

(٤) سورة النور، الآية ٢.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٢٤٣.

(٦) سورة المرسلات، الآيات ٧-١٠

فكلمة" تنتسف" تُحيل المتلقي إلى مجموع الأهوال الحاصلة في يوم زوال الدنيا، ويؤكد الشاعر على أن المخلوقات وإن اختلف سعيها، فإن النهاية واحدة متشابهة لدى الجميع وهي الموت؟ وحتى الدُّنيا –وهي مخلوق– ستكون لها نفس النهاية فيا لخلق الله!!

وفي الدلالة على قوة إيمانه وحسن ظنه بالله، يقول:

يُـــدَبِّرُ مــــا نَـــرى مَلِـــكٌ عَزيـــزٌ ... بِـــهِ شَــــهِدَتْ حَوادِثُــــهُ وَغابـــا
أَلَـــيْسَ اللهُ مِــــنْ كُـــلٍ قَريبـــاً ... بَلـــى مِـــنْ حَيْـــثُ نـــودي أَجابـــا
وَلَـــمْ تَـــرَ ســـائِلاً بِهِ أَكْـــدى ... وَلَـــمْ تَـــرَ راجِيـــاً بِهِ خابـــا(١)

يستلهم أبو العتاهية القطعة الشعرية السابقة من العديد من الآيات القرآنية منها؛ قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٣)، لينبه المتلقي إلى عظيم الدعاء، فالله موجود والدليل مخلوقاته، وهو قريب يسمع دعاء الداعي والدليل إجابته للدعاء، وهو يستفهم من المتلقي، هل الله قريب منا؟، ويظهر من الشطر الثاني للبيت أن استفهامه للتقرير؛ فهو يجيب: بأنه قريب إذا نودي أجاب؛ وهو يؤكد على هذا بأنه لم ير راجياً لله خاب.

وتظهر قناعة أبي العتاهية على السطح كلما تحدث عن الرزق، ليبين مدى إيمانه بأن الرزق هو من عند الله فقط، وأنه لا جالب ولا مقسم إلا الله، يقول مستلهماً:

سَــبَقَ الْقَضــاءُ بِكُــلِّ مــا هُــوَ كــائِنُ ... واللهُ يـــا هـــذا لِرِزْقِـــكَ ضـــامِنُ
تُعْنـــى بمـــا تُكْفـــى وتَتْـــرُكُ مــا بِـــهِ ... تُوصـــى كَأَنَّـــكَ لِلْحَـــوادِثِ آمِـــنُ(٤)

يستلهم أبو العتاهية القطعة السابقة من قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾(٥)، لينبه المتلقي إلى ما يجب أن يوجه انتباهه إليه، فيجب على المتلقي أن لا يقلق على ما قدر الله له من قبل أن يولد، وضمنه له في اللوح

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٢٠.
(٢) سورة الرعد، الآية ٢.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٦.
(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٣٨١.
(٥) سورة الذاريات، الآية ٢٢-٢٣.

المحفوظ، وكأن أبا العتاهية علم ما للقناعة والرضا من فائدة تعود على الإنسان، فإنه إذا تفرغ لهموم الدعوة وإفادة الناس يكون ذا فائدة، وعنصر بناء، أما إذا تفرغ لما سبق القضاء به، فإن ذلك من قلة الإيمان، ويقتل الوقت، "قالوا: أسعد الناس: من كان القضاء له مساعداً، وكان لذلك أهلا، وأشقى الناس: من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا، ولم يثق بأحد لسوء ظنه، ولا وثق به أحدٌ لسوء فعله." [١].

وفي **تناصه مع التوراة** بهذه الآلية، يقول:

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلا تَقُلْ	خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقيبُ
وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يُغْفِلُ ما مَضى	وَلا أَنَّ ما يَخْفى عَلَيْهِ يَغيبُ
لَهْونا لَعَمْرُ الله حتى تَتابَعَتْ	ذنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ
فَيا لَيْتَ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ ما مَضى	وَيَأْذَنُ في تَوْباتِنا فَنَتوبُ[٢]

يستلهم أبو العتاهية القطعة السابقة مما ورد في التوراة فعن كعب الأحبار أنه قال: "قال الله عز وجل في التوراة: أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض"[٣]، وإنْ وجد في القرآن الكريم ما يشبه ما ورد في التوراة، فإن ذلك يذكر بما قاله النجاشي لرسولي قريش بعدما سمع مطلع سورة مريم: "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة."[٤]، والقطعة الشعرية استلهمت معانيها من القرآن الكريم والتوراة لتدلل على قدرة الله وعظمته، فليعلم صاحب العاصي في الخلوات أنَّ فعله لا يخفى على الذي يعلم ما في السموات والأرض وما بينهما، وأن الحساب والعقاب إذا تأخرا فلا يعني ذلك أن الله قد غفل عن ذلك –حاشا لله– ولكن الله يؤخر العقاب لحكمة، فلعل العبد يتوب عما اقترف من الذنوب، والشاعر يذكر المتلقي بضرورة التوبة عن ذنوبه حتى يغفر الله له ما كسبت يداه.

يُذكر أبو العتاهية بما جاء في الكتب السماوية من أن أصل خلق الإنسان من تُراب وأنه عائد إليه لا محالة، يقول مذكراً:

مِنْ تُرابٍ خُلِقْتَ لا شَكَّ فيهِ	وَغَداً أَنْتَ صائِرٌ لِلتُّرابِ

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ص٣٧.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٢١.

(٣) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تح: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف– الرياض، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م، ص١٢١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، ج٢، ص١٨٠.

كَيْـفَ تَلْهـو وَأَنْـتَ مِـنْ حَمَـإِ الطِّيـ نِ وَتَمْشــــي وأَنْـــــتَ ذو إعجـــابِ
فَخَـــفِ اللهَ وَاتْـــرُكِ الزَّهْـــوَ وَاذكُـــرْ مَوْقِـــفَ الخـــاطِئينَ يَــوْمَ الْحِســـابِ
وَسَـــــلِ اللهَ زُلْفَـــــةً وَاعْتِصـــــاماً وَخَلاصـــاً مِـــنْ مُؤلِمـــاتِ الْعِقـــابِ(١)

يتناص أبو العتاهية مع ما جاء في التوراة: "وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك ...* ... بِعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك ترابٌ وإلى تُرابٍ تعود"(٢)، ليذكر المتلقي بالنهاية الحتمية الحاصلة لكل إنسان، لكن في سياق يتناسب مع معتقدات العقيدة الإسلامية، ففي التوراة العودة إلى التراب كأنها عقاب لآدم وذريته من بعده بسبب أكله من شجرة الجنة المحرمة، أما في القرآن فيقول تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(٣)، فالعودة إلى التُراب دلالة على قدرة الله، ودعوة إلى الإعداد ليوم النشور.

وفي **<u>تناصه مع الإنجيل</u>** بهذه الآلية، يقول الشاعر:

رأيتُــكَ فيمـــا يخطِـــئُ النَّـــاسُ تَنْظُـــرُ ورَأْسُـــكَ مـــنْ مـــاءِ الْخَطيئـــةِ يَقْطُـــرُ
تَـــوارى بِجَـــدْرانِ الْبُيـــوتِ عَـــنِ الـــورى وأَنْـــتَ بِعَـــيْنِ اللهِ لَـــوْ كُنْـــتَ تَشْـــعُرُ (٤)

في الأبيات تناص امتصاصي مع القرآن الكريم* ، ومع الإنجيل حيث ورد في إنجيل متى: "ولماذا تنظر القذى الَّذي في عين أخيك؟ وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن إليها"(٥)، قد فطن أبو العتاهية إلى هذه الآفة في عادة الناس، وأنها لا تصح في خلق الإنسان المسلم، وإلا لماذا تكرر النهي عنها في الكتب السماوية؟ وتأتي أبياته الشعرية في نطاق تعديل السلوك، فلا يصح هذا في أخلاق الرجال، أن تنظر إلى عيوب الناس وكلك عيوب، فالأولى أن يشغل المرء نفسه بعيوبه ليصلحها بدل التلصص على الناس وكشف عيوبهم، وهذا من كمال الأخلاق، فهذا رد الربيع بن خَيْثَم (٦) "لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس، على سؤال أحدهم: ما نراك تعيب

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٤٣.

(٢) سفر التكوين: ٣/ ١٨-١٩.

(٣) سورة طه، الآية ٥٥.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٦٨.

- يُلمس أن البيت قد أخذ معناه من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف، الآية٢-٣).

(٥) إنجيل متى:٧/٣.

(٦) الربيع بن خيثم: بفتح المعجمة والمثلثة بينهما تحتانية ساكنة الثوري أبو يزيد الكوفي مخضرم عن ابن مسعود وأبي أيوب وعمرو بن ميمون وعنه الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو بردة قال له ابن مسعود لو رآك النبي لأحبك توفي سنة أربع وستين وكان لا ينام الليل كله رحمه الله تعالى. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للأمام الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي، تح: مجدي منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ج١، ص٣٤٦.)

أحداً ؟"[١].

أما في **تناصه مع الحديث الشريف** بهذه الآلية، فيلمس المتأمل تشرب أبو العتاهية لمعاني الحديث النبوي الشريف، فهو يصوغ الأحاديث صياغة جديدة؛ كأنما يشرح الحديث للمتلقي، فتراه مثلاً في حديثه عن بعض مظاهر خشية الله، يذكر أن من صفات المسلم الذي يخشى الله أنه يُحب في الله، ويبغض في الله، وأن هذا هو مقياس علاقة المسلم مع غيره من الناس، فالأهواء الشخصية، والمصالح المادية ليست هي التي تحدد العلاقة بين المسلم وغيره[٢]، فيقول في هذا المعنى:

لَـنْ يَصْدُقَ اللهَ المَحَبَّةَ عَبْدُهُ ... إلَّا أَحَبَّ لَهُ وَمِنْهُ وأَبْغَضَا[٣]

يُحال هذا البيت إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يحق* العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله، ويبغض لله، فإذا أحب لله، وأبغض لله، فقد استحق الولاء من الله، وإن أوليائي من عبادي، وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري، وأذكر بذكرهم"[٤]، فالحب الحقيقي لله أن تحب من أجل الله، وتبغض من أجل الله، وهذا دلالة على كمال الإيمان.

ويؤكد الشاعر على وجوب وجود القناعة في نفس الإنسان، فيذكر أن أهل الكفاف ليسوا فقراء، ولكن الفقراء هم الذين لا يتمتعون بالقناعة التي تجلب لهم الطمأنينة، وراحة البال، وفي هذا المعنى يقول:

قَدْ رَأَيتُ الدُّنيا إلى ما تَصيرُ ... كُلُّ شَيءٍ مِنْها صَغيرٌ حَقيرُ
أَنا في حيلَةِ التَّخَلُّصِ مِنها ... وَعلى ذلِكَ الإلهُ قَديرُ
هُوَ رَبِّي وحَسبيَ اللهُ رَبِّي ... فَلَنِعْمَ الْمَوْلى ونِعْمَ النَّصيرُ
أيّ شَيْءٍ أَبغي إذا كانَ لي ظِلٌّ ... وقوتٌ حِلٌّ، وثَوْبٌ سَتيرُ
ما بِأهْلِ الْكَفافِ فَقْرٌ وَلكِنْ ... كُلُّ مَنْ لَمْ يَقْنَعْ فَذاكَ فَقيرُ[٥]

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح، تح: سعد حسن محمد، مكتبة الصفا، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص١٠٢.

(٢) انظر: أثر القرآن الكريم والسنة في شعر أبي العتاهية، د. محمد علي الهرفي، ص٧٧.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٢٠٢.

* قال السندي: قوله: "لا يحق العبد ... إلخ"، أي: لا يستحق العبد أن يوصف بصريح الإيمان، ويقال: إنه صاحب صريح الإيمان.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ج٢٤، ص٣١٦-٣١٧.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٥٢

في الأبيات السابقة تناص مع أخلاق صحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– التي أخذوها عن النبي، من قوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"(١)،ومن قوله: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"(٢)، فيبدو أن القناعة النفسية التي وصل إليها من خبرته بالحياة، قد رسخت معاني هذين الحديثين في نفسه، فالدنيا لمن فهمها صغيرة، حقيرة، والعاقل لا يتمنى المزيد إذا كان له فيها قوت حلال، وثوب يستر جسده، وهذه الحالة لا تُمثل حالة الفقر، فالفقير هو الذي لا يقنع بما في يده، والغنى هو غنى النفس.

أما في مجال الأخلاق فيقول:

مَنْــزِلٌ مـــا يَثْبُــتُ المَــرْءُ بِـــهِ ... سَــــالِماً إلا قَلــــيلاً إنْ ثَبَــــتْ
بَيْنَمـــا الْإنْســـانُ فـــي الـــدُّنيا لَـــهُ ... حَرَكـــاتٌ مُسْـــرِعاتٌ إذْ خَفَـــتْ
أَبَـــتِ الـــدُّنيا عَلـــى سُـــكّانها ... فـــي الْبِلـــى والـــنَّقْصِ إلا مـــا أتَـــتْ
إنّمـــا الـــدُّنيا مَتـــاعُ بُلْغَـــةٍ ... كَيْفَمـــا زَجَّيْـــتَ فـــي الـــدُّنيا زَجَـــتْ
رَحِـــمَ اللهُ امْـــرَءاً أنْصَـــفَ مِـــنْ ... نَفْسِـــهِ إذْ قَـــالَ خَيْـــراً أوْ صَـــمَتْ(٣)

هذه الأبيات فيها إشارة إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ"(٤)، وأبو العتاهية إن تحدث عن خُلق في المقطع السابق، فإنه بإحالة المتلقي إلى الحديث يُحيله إلى بقية الأخلاق، ويأتي تنبيه أبي العتاهية إلى هذا الخُلق في سياق تأكيد على عدم بقاء الدنيا لأحد، وأن السلامة فيها قليلة، والابتلاء فيها هو الديدن السائد الغالب على حال البشر، ويأتي هذا في باب التنفير من الدُنيا للالتفات إلى الآخرة.

ويقول في مجاملة الناس وودهم؛ واصفاً الهدايا وتأثيرها في الناس، مستثمراً ما جاء في السنة النبوية:

هَـــدَايَا النَّـــاسِ بَعْضِـــهِمُ لِـــبَعْضٍ ... تُوَلِّـــدُ فِـــي قُلُـــوبِهِمِ الْوِصَـــالاَ
وَتَـــزْرَعُ فِـــي الْقُلُـــوب هَـــوَىً وَوُدًّا ... وَتَكْسُـــوهُمْ إذَا حَضَـــرُا جَمَـــالا(٥)

---

(١) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص ٦٨٨.

(٢) السابق، ص٦٨٩.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٦.

(٤) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٤٤٧.

(٥) ديوان أبي العتاهية، ص٦٠٨.

يجد المتلقي في قول أبي العتاهية، حكمة صاحب التجارب العميقة في الحياة، وهذه الخبرة كان أساس بنائها قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تَهَادُوا تَحَابُّوا"(١)، وأبو العتاهية يستقي هذه النظرة المتفحصة من حديث رسول الله، ومن خبرته في الحياة لينقلها إلى المتلقي في صورة محببة إلى النفس، فالشاعر بذكره لفوائد تقديم الهدية للآخرين من حب وود، وتجميل لصورة مقدم الهدية في عيون الآخرين؛ كل ذلك يجعل المتلقي يسارع في ابتداء من حوله بهذا الخلق الذي يسمو بالنفس البشرية.

وصفوة القول ظلت القيم الأخلاقية والدينية الإسلامية تطرز قصائد شعر الزهد ومقطعاته إذ وجد ثروة تغني شعره، لغةً ورموزاً ومعاني لذلك جاء شعر أبي العتاهية في عمومه سهلاً فصيحًا يسيرًا يجرى على اللسان كما يجري الدهان، فهو ليس بالغامض المعقد ولا بالبعيد المستعصي. (٢)

ثالثاً: التناص الحواري/ الإيحائي:

يعتبر هذا النوع من أنواع التناص الأكثر غموضاً والأكثر إعمالاً للعقل، وهناك من ترجمه بالإلماع allusion إذا إنه "أقل الأشكال وضوحاً وحرفية ... وهو أن يقتضي الفهم العميق لمؤدى ما enonce ، وملاحظة العلاقة بين مؤدى آخر، تُحيل إليه بالضرورة هذه أو تلك من تبادلاته، وهو بغير ذلك لا يمكن فهمه" (٣)، أما الدكتور علي جعفر العلاق فيترجمه "بالإشارة أو التلميح allusion ... كما تعرفه موسوعة الشعر والشعرية ... هو إشارة غير مباشرة إلى أثر أدبي آخر. إلى فن آخر. إلى تاريخ. أو إلى شخصيات معاصرة وما أشبه"(٤)

"والحوار تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي قد يُغلف الأشكال والثيمات والكتابة في الجديد وتناسي الاعتبارات الدينية، والعرفية، والأخلاقية، والخواص في المسكوت عنه لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحية في الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة، كان قانون الحوار"(٥).

---

(١) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م،ج٦، ص٢٨٠.

(٢) أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير)، هالة فاروق فرج العبيدي، ص٩٧.

(٣) آفاق التناصية المفهوم والمنظور، ترجمة وتقديم: د. محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص١٣٣.

(٤) الشعر والتلقي، دراسات نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، ط١، عمان– الأردن، ١٩٩٧م، ص١٣٢.

(٥) التناص في شعر الرواد ، د. أحمد ناهم، ص٦١-٦٢.

وقد أشار المبرد إلى مثل هذا التناص في كتابه الكامل في اللغة والأدب[١] إلى قول أبي العتاهية:

وَقَـدْ يَهْلِـكُ الإنْسـانُ مِـنْ بـابِ أمْنِـهِ   وَيَنْجـو لَعَمْـرُ اللهِ مِـنْ حَيْـثُ يَحْـذَرُ[٢]

إلى أنَّ أبا العتاهية قد أخذه من قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٣]، ويأتي البيت في باب التسليم بالقضاء والقدر، والتسليم بأمر الله، وكأني بالشاعر يحث المتلقي على التوكل على الله في كُل الأمور مع إخلاص النية، مع عدم ترك شيء فيه رضا الله لخوفه من الضرر أو الهلاك.

يُرى في استلهام أبي العتاهية لآيات **القرآن الكريم** أنه يريد أن يرسل للمتلقي رسائله، التي في غالبيتها مقتبسة من القرآن الكريم والسنة، ويلمس المتلقي مدى تشربه لهذه المعاني، عندما يأخذ معاني الآيات ويصوغ منها أشعاره، فيظن المتلقي أنه يُفسر الآية بالطريقة التي فهمها، وفي مثل هذا تراه يقول:

إنَّ الطَّبيـبَ بِطِبِّـهِ وَدَوائِـهِ   لا يَسْـتَطيعُ دِفـاعَ مَكْـروهٍ أَتـى
مـا لِلطَّبيـبِ يَمـوتُ بالـدّاءِ الَّـذي   قَـدْ كـانَ يُبْـرِئُ جُرْحَـهُ فيمـا مَضـى
ذَهَـبَ المُـداوي وَالمُـداوى وَالَّـذي   جَلَـبَ الـدَّواءَ وَبَاعَـهُ وَمَـنِ اشْـتَرى[٤][٥]

تُحيل الأبيات إلى عدد من الآيات القرآنية منها؛ قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٨]، ويُستنتج من قول أبي العتاهية، حقيقة أن الموت حق على كل مخلوق أكان كبيراً أم صغيراً، ملكاً أم فقيراً، وهذا لا يُضيف جديداً لدى المتلقي، ولكن كل هذا يأتي فقط في سياق التذكير، وإن جاء بألفاظ جديدة، وبصورة ناتجة عن تأمل الشاعر في آيات القرآن الكريم، إذا كان العنصر العقلي عند أبي العتاهية بسيطاً ، والفكرة واضحة، فإنَّ العنصر التأملي عنده كثير الإطالة والاستدامة بحيث يعطيه معاناة أطول تمتد به إلى

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تح: محمد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج١، ص٤٢٠.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٥١

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٨.

(٥) في حاشية الديوان: "قال أبو عمرو: لا أدري هذين البيتين الآخرين هما له أو لغيره والله تعالى أعلم بالصواب"، (أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل ، ص١٨.)

(٦) سورة الرحمن، الآية ٢٦

(٧) سورة النساء، الآية ٧٨

(٨) سورة الأعراف، الآية ٤٥.

طول نفس في الإنشاء وتمنحه فرصة أطول في التجديد والابتكار، وصياغة المعنى الواحد في فترات مختلفة وفي صيغ متجددة [١].

مثل هذه التناصات النابعة من فهم مُتعمِّق من أبي العتاهية، مع قريحة سيالة هو الذي أنتج مثل هذه الأبيات، حتى إنك لترى علماء الأدب في عصره أمثال ابن الأعرابي[٢] يذودون عن شخص أبي العتاهية، عندما يوصف بالضعيف؛ فابن الأعرابي في معرض الرد على بعض مَنْ حكم على شعر أبي العتاهية بالضعيف، يقول: "الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية، ألأبي العتاهية تقول إنه ضعيف الشعر فوالله ما رأيت شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منه وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر"[٣]، ولمثل هذا الطبع تجد أن "ذوي البصر بالشعر في عصره قد بهرتهم قريحته السيالة وشاعريته المتدفقة عن طبع أصيل لا أثر فيه للتقليد أو الإكراه، وحتى غُرماؤه الذين كانوا يحاولون دائماً النيل منه عن طريق مهاجمة شعره لم يجدوا منفذاً لمهاجمة طبعه، وإنما كان هجومهم على اللفظ.."[٤].

وله بيت في مدح الفضل بن ربيع[٥] يندرج تحت استعماله لهذه الآلية، فيقول:

قَدْ دَعَوْنَاهُ نائِياً فَوَجَدْنا ... هُ عَلَى نَأْيِهِ قَرِيباً سَمِيعا[٦]

يستلهم أبو العتاهية هذا البيت من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٧]، فالشاعر يعبر عن مدى كرم ممدوحه بأنه سريع الاستجابة رغم البعد المكاني الحاصل بين الشاعر وممدوحه، وفي هذا تعبير عن شدة الكرم التي وصل إليها الفضل بن الربيع.

---

(١) انظر: أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٧٦.

(٢) ابن الأَعْرَابي: محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. كان أحول. أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي، قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. وهو ربيب المفضَّل بن محمد صاحب المفضليات. له تصانيف كثيرة، منها؛ أسماء الخيل وفرسانها، مات بسامراء، سنة مائتان وواحدة وثلاثون. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٦، ص١٣١.)

(٣) الأغاني، للأصبهاني، ج٣، ص١١١.

(٤) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٢٧٧.

(٥) الفضل بن الربيع: ابن يونس الأمير الكبير حاجب الرشيد وكان أبوه حاجب المنصور، وكان من رجال العالم حشمة وسؤددا وحزما ورأيا، قام بخلافة الأمين وساق إليه خزائن الرشيد وسلم إليه البرد والقضيب والخاتم جاءه بذلك من طوس وصار هو الكل لاشتغال الأمين باللعب، فلما أدبرت دولة الأمين اختفى الفضل مدة طويلة ثم ظهر إذ بويع إبراهيم بن المهدي، فساس نفسه ولم يقم معه ولذلك عفا عنه المأمون، وهو من موالي عثمان رضي الله عنه. (سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وأخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ج١٠، ص١٠٩.)

(٦) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٧٦.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

وتراه يتناص مع القصص القرآني مع قصة تكررت، لتبين مدى العداء المتأصل بين الإنسان والشيطان، لكن أبا العتاهية يتفاعل مع هذا المعنى بشكل قد يبدو مختلفاً عما أرد الله في القرآن الكريم، يقول أبو العتاهية[١]:

كـــلُّ رِزْقٍ أَرْجـــوهُ مِـــنْ مَخْلُـــوقِ يَعْتَريـــهِ ضَـــرْبٌ مِـــنَ التَّعويـــقِ
وأَنـــا قائِـــلٌ وأَسْـــتَغْفِرُ اللَّـــــهَ مَقـــالَ المَجـــازِ لا التَّحْقيـــقِ
لَسْـتُ أَرْضـى مِـنْ فِعْـلِ إبلـيسَ شَـيْئاً غَيـرَ تَـرْكِ السُّـجودِ لِلمَخْلُـوقِ [٢]

يستلهم أبو العتاهية من القصص القرآني قصة رفض إبليس السجود لآدم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [٣]، ولكنه قبل أن يستلهم بعضاً من معاني القصة، يوضح الجزء الذي يرتضيه حتى لا يُفهم بطريقة لا يُريدها هو، فأبو العتاهية يُعجبه من فعل إبليس عدم قُبوله للسجود لآدم –عليه السلام–، لكن الجزئية التي يفضلها في هذا الفعل ترك السجود لمخلوق من مخلوقات الله، لا عصيانه لأمر من أوامر الله، وكأنه ينبه أن التودد إلى المخلوق للحصول على الرزق طريق لا فائدة منها، فلنتوجه إلى رب المخلوق لا للمخلوق لقضاء حوائجنا، وهذا من هدي المصطفى –صلى الله عليه وسلم– الذي حث الصحابة –رضوان الله عليهم– بعدم طلب أي شيء من الآخرين[٤]، ليعلمهم الزهد في الدنيا، فما ظنك بالمال الذي له مكانه في النفس، يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٥].

أما مع الإنجيل فيتناص أبو العتاهية بهذه الآلية ليكشف عن معتقداته الإسلامية، الموافقة للقرآن الكريم والسنة، لذلك فقد ترى أبا العتاهية يتناص مع الإنجيل بشكل عكسي، فتراه يقول في الموت:

بَيْنَمـــا الإنســـانُ حَـــيٌّ قَـــوِيٌّ إذ دَعـــاهُ يَوْمُـــهُ فَأجابـــا

(١) وردت الأبيات في كتاب معجم الأدباء معزوه إلى محمد بن علي بن الحسين بن عمر أبو الحسن بن أبي الصقر الواسطي. (انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ج١٨، ص٢٥٨.)

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٢٥٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١١-١٢.

(٤) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وَمَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ أَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟" قُلْتُ: أَنَا، قَالَ: "لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا" ، فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ: نَاوِلْنِيهِ، حَتَّى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ.(سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٣٢٠.)

(٥) سورة آل عمران، الآية١٤.

غَيْــــــرَ أنَّ الْمَـــــوْتَ جَليـــــلٌ   يَتْــــرُكُ الــــدُّورَ يَبابـــاً خَرابـــا
أيُّ عَـــــيْشٍ دامَ فيهـــا لِحَـــــيِّ   أيُّ حَـــيِّ مـــاتَ فيهـــا فَآبـــا
أيُّ مُلْــــكٍ كـــانَ فيهـــا لِقَــــوْمٍ   قَبْلَنـــا لَـــمْ يُسْـــلَبوهُ اســـتِلابا
إنَّمـــا داعـــي الْمَنايـــا يُنـــادي   اِحْمِلـــوا الـــزَّادَ وَشُـــدوا الرِّكابـــا
جَعَـــلَ الـــرَّحمنُ بَـــيْنَ المَنايـــا   أنْفُـــسَ الْخَلْـــقِ جَميعـــاً نِهابـــا[١]

يتناص أبو العتاهية مع فكرة عدم الرجوع من الموت من الإنجيل ولكن بشكل عكسي، فقد ورد في أعمال الرسل: "فاعلموا جميعا، وليعرف شعب إسرائيل كُلهُ، أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، والذي أقامه الله من بين الأموات، باسمه يقف هذا الكسيح أمامكم في تمام الصحة!" [٢]، وفي موضع آخر من أعمال الرسل: "وشرح لهم مبيناً أن المسيح كان لابُد أن يتألم ويقوم من بين الأموات ..."[٣].

في المقطع الشعري يتناول أبو العتاهية النص الأصلي "بالنفي الكلي؛ فالمقطع الدخيل منفي كلية، ومعنى النص المرجعي مقلوب"[٤]، فأبو العتاهية يقر أن الموت قد يأتي للإنسان وهو في كامل قوته ليأخذ روحه، وهذا من جلال الموت، فالموت يترك البيوت فارغة خربة، والموت لا يُبقي أحداً؛ ولا يعود منه أحدٌ، هذا الاعتقاد صحيح في دين الإسلام، أما في الإنجيل فإن المسيح –عليه السلام– كما ورد في النصوص السابقة يعود من الموت، والشاعر بهذا الاعتقاد الذي يذكر به المتلقي إنما ينبه إلى أن هذه النهاية لا تأتي إلا مرة واحدة، فليعد كلٌ نفسه لهذه اللحظة التي لا تتكرر، والشاعر يذكرُ هذه العظة على لسان داعي الموت لتعطي صدى أكبر في نفس المتلقي، ثم يعود ويؤكد على لسان داعي الموت أن الموت حق كتبه الله على كل مخلوق، فالكل ميت، والشاعر يُعطي للموت قوة عجيبة، وهبه الله إياها، فهو في قوته كأنه صاحب سلطة يأخذ النفس التي جاء ميعادها، ودون أي استئذان.

قد يعتقد المتلقي أنَّ هذا الحب للموت هو تعبير من أبي العتاهية عن روحة المتشائمة، لكن لو نظر المتلقي إلى الجهة المقابلة لهذا القول لوجد نفس مشتاقة إلى لقاء الله، نفسٌ قد علمت أن الدنيا عبارة عن طريق يوصل إلى الآخرة، التي لو أعد الإنسان لها فسيكون في راحة ما بعدها

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٤٠-٤١.
(٢) أعمال الرسل: ١٠/٤.
(٣) أعمال الرسل:٣/١٧.
(٤) علم النص، جوليا كريسطيفا، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط٢، ١٩٩٧م، ص٧٨.

راحة؛ وسينسى كل ما لاقى من متاعب، لهذا قد يُظن أن أبا العتاهية هو في شوق للقاء الله وليس مشتاقاً إلى الانتهاء من هذه الحياة ومن متاعبها.

وتجد خبرته في الحياة تظهر على السطح لتبين للمتلقي أن لا يأخذ الأمور بسطحيتها، يقول في هذا المعنى:

فَمـــا لـــي أرى النَّـــاسَ فـــي غَفلـــةٍ　　كـــأنَّ قُلـــوبَهُمْ ســـامِدَهْ
شَـــرَوْا بِرضـــا اللهِ دُنْيـــاهُمُ　　وقَـــدْ عَلِمـــوا أنَّهـــا بائِـــدةْ
إذا أصْـــبَحوا أصْـــبَحوا كالأُســـو　　دِ باتَـــتْ مُجَوَّعَـــةً حـــارِدةْ
يُطيعـــونَ فـــي الْغَـــيِّ أهْـــواءَهُمْ　　وقَـــدْ زَعَمـــوا أنَّهـــا راشِـــدَهْ
تَـــرى صُـــوَراً تُعْجِـــبُ النَّـــاظِرينَ　　ومَخْبَـــرَةً تَحْتَهـــا فاســـدَهْ(١)

تُحال القطعة السابقة على ما جاء في الإنجيل: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة * من ثمارهم تعرفونهم ..."(٢)، فأبو العتاهية يستلهم قوله من المعاني الواردة في النص الإنجيلي لينبه المتلقي بعدم الحكم على الناس من المظهر الخارجي فقط فهو لا يُعطي الصورة الحقيقية للمخبر، فقد يتصنع الناس ليظهروا ما يُخالف داخلهم، فليحذر المتلقي من الذئاب التي في ثياب الحملان، فهي الأكثر شراً وتوحشاً من تلك الذئاب التي لا تتصنع بأنها حملان.

وتراه كذلك يتناص مع **<u>السنة النبوية</u>** بهذه الآلية، فتجده يقول:

هَـــمُّ الْقاضـــي بَيْـــتٌ يُطْـــرِبْ　　قـــالَ الْقاضـــي لمّـــا عُوتِـــبْ
مـــا فـــي الـــدُّنيا إلا مُـــذْنِبْ　　هـــذا عُـــذْرُ القاضـــي وَاقْلِـــبْ*(٣)

يستلهم أبو العتاهية القطعة الشعرية من قوله -صلى الله عليه وسلم-:"كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"(٤)، في حوار يفهم منه؛ أن هذا القول رغم قبوله في نفس المؤمن، إلا أنه لا يجوز في حق أصحاب المكانات من أمثال القضاة أن يرتكبوا المحرمات، ثم يقولوا أن الله غفور رحيم!!، فهذا غير جائز من جهتين: الأولى أنه لا يجوز للإنسان ارتكاب المعصية مع سبق الإصرار وفي نيته التوبة، فعلى الإنسان أن لا ينظر إلى صِغر المعصية؛ ولكن النظر إلى عظم الملك الذي يعصيه!! والثانية أن العامة ينظرون إلى من فوقهم، فعندما يصدر مثل هذا الذنب

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٣٢.

(٢) إنجيل متى:٧/١٥-١٦.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٠٠

- ذُكر في حاشية الديوان "يريد أنه إذا قُلبت لفظة عذر بالتصحيف تصير :غدر". (أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٠٠.).

(٤) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٥٦٣.

منهم؛ فكأنهم يُخبرونهم بجواز فعل مثل هذا الأمر، ومن مثل هذه النماذج يُلمح ثقافة أبي العتاهية، وجرأته على قول الحق حتى في وجه أصحاب السلطة والمكانات الرفيعة(١)، وإن سلك هذه الطريق بشيء من الأدب.

يتناص أبو العتاهية مع أحاديث المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ليكشف عن معاني الفخر في نفسه، فيقول:

لا فَخرَ إلَّا فَخْرُ أَهلِ التُّقى	غداً إذا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقى	والْبِرَّ كانا خَيْرَ ما يُذْخَرُ
ما أَحْمَقَ الإنسانَ في فَخْرِهِ	وهوَ غداً في حُفْرَةٍ يُقبَرُ
ما بالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ	وُجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أصْبَحَ لا يَمْلِكُ تَقْديمَ ما	يَرْجو ولا تَأْخيرَ ما يَحْذَرُ
وأصْبَحَ الأمْرُ إلى غَيْرِهْ	في كُلِّ ما يُقْضى وما يُقْدَرُ (٢)

يتفاعل أبو العتاهية في هذه الأبيات مع العديد من النصوص الدينية، ومنها: حديث النبي –صلى الله عليه وسلم – الذي يقول فيه: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ، أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"(٣)، وفي الأبيات يؤكد الشاعر على المعاني الواردة في الحديث من ترك الفخر على الناس، فلا فخر إلا لأهل التقوى، وقد يكون الشاعر استلهم هذا المعنى من قوله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤)، وليوضح أبو العتاهية ضرورة التواضع فإنه ينقل المتلقي إلى لحظة ضمة القبر، فعندها يعلم الإنسان أنه لا حاجة له بالفخر بل الحاجة لأعمال الخير، وأبو العتاهية يستنكر فعل الفخر

---

(١) ذكر الأصبهاني أن "الرشيد قال لأبي العتاهية: عظني، فقال له: أخافك، فقال له: أنت آمن، فأنشده:

لا تَأْمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ	إذَا تَسَتَّرْتَ بِالأبواب والحَرَسِ
واعْلَمْ بأنّ سِهامَ الموت قاصدةٌ	لكلِّ مُدَّرعٍ منّا ومُتَّرسِ
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتَها	إنّ السفينةَ لا تَجْرِي على اليَبسِ

قال فبكى الرشيد حتى بل كمه. (الأغاني، للأصبهاني، ج٣، ص١١٢.)

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٥٢

(٣) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص ٦٩٤.

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٣.

من الإنسان؛ لأن أوله نطفة، وأخره جيفة! ويبدو أن أبا العتاهية قد اجتر البيت الرابع من قول بعضهم "مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرَهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ وِعَاءٌ لِقَذَرِهِ أَنْ يَفْخَرَ"[١].

ويذهب أبو العتاهية في نصحه للآخرين مذهب الواعظ الذي لا توجد فيه الصفة التي يطالب بها المتلقي، فرغم كثر الأشعار التي قالها أبو العتاهية إلا إنه يقر بأن قليل الكلام خير من كثيره، وأنَّ من الحكمة قلة الكلام، وأنه من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وفي مثل هذا يقول:

إنْ كـــانَ يُعجِبُـــكَ السُّـــكوتُ فإنَّـــهُ　　قَـــدْ كـــانَ يُعْجِـــبُ قَبْلَـــكَ الأَخيـــارا
ولَـــئِنْ نَـــدِمْتَ عَلـــى سُـــكوتِكَ مَـــرَّةً　　فَلَقَـــدْ نَـــدِمْتَ علـــى الْكَـــلامِ مِـــرارا
إنَّ السُّـــــكوتَ سَـــــلامَةٌ ولَرُبَّمـــــا　　زَرَعَ الْكَـــــلامُ عَـــــداوةً وضِـــــرارا[٢]

يستلهم الشاعر معنى هذه القطعة الشعرية من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي يتكلم فيه عن الإيمان الكامل، فيقول –صلى الله عليه وسلم–: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ..."[٣]، فأبو العتاهية يأخذ أصل المعنى في قوله من حديث رسول الله، ثم يُضيف ما علمته الحياة من تجاربه بأن السكوت خيرٌ من الكلام وإن ندمت عليه مرة، فإن ندمك على كلام قد قلته قد يكون أضعاف مضاعفة، ومراراً عديدة، وقد يلتقى ذلك مع ما ورد في المستدرك على الصحيحين " إن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله وتمنعه حكمته أن يسأله، فلما فرغ منها صبها على نفسه فقال: نعم درع الحرب هذه، فقال لقمان: الصمت من الحكمة، وقليل فاعله كنت أردت أن أسألك فسكت حتى كفيتني".[٤]

أما في تناصه مع **<u>أحداث السيرة النبوية</u>**، فكان لهذه الآلية نصيب في التناص مع السيرة النبوية، وقد يكون لأن التحرج في التعامل معها بشيء من التحوير أقل من التحرج القائم بالتحوير مع القرآن الكريم والسنة النبوية، فهو يستخدم أحداث السيرة للدلالة على معانٍ تختلف عن المعنى الأصلي، يقول:

---

(١) الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ج١٢، ص٢٢٨.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٤٢.

(٣) صحيح مسلم، للأمام أبي الحسين مسام بن الحجاج القشيري النيسابوري، ص٨٠–٨١.

(٤) المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة– الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، ج٤، ص١٣٤٤.

قُـــــل لِمَـــــنْ لَسْــــتُ أُسَـــمِّي بِــــأَبِي أنْـــــتِ وَأُمِّـــــي

بِـــــأَبِي أَنْـــــتِ لَقَـــــدْ أصْـــــــبَحْتِ مِـــــنْ أكْبَـــرِ هَمِّـــي

وَلَقَـــــدْ قُلْـــــتُ لأهْلِـــــي إذْ أذابَ الْحُــــــبُّ لَحْمِـــــي

وَأرادُوا لـــــــي طَبِيبــــــاً فَــــاكْتَفَوْا مِنِّــــي بِعِلْمِــــي

مَــــنْ يَكُــــنْ يَجْهَـــلُ مَــــا ألْقَــــى فَــــإنَّ الْحُــــبَّ سُـــقْمِي

إنَّ رُوحـــــــي لَبِبَغْــــــدَادَ وَفــــي الْكُوفَــــةِ جِسْــــمِي(١)

يلتقي قول أبي العتاهية في محبوبته "عتبة" في باب الغزل مع ما قاله النبي –صلى الله عليه وسلم– لخاله سعد بن أبي وقاص(٢) –رضي الله عنه–:"ارم فداك أبي وأمي"(٣)، لكن هذا الالتقاء لا يكون إلا في اللفظ فقط، مع اختلاف في بقية المحاور؛ فالمقصود في قوله –صلى الله عليه وسلم– خاله سعد بن أبي وقاص، في يوم أحد ليشجعه على الذود عنه –صلى الله عليه وسلم– أما قول أبي العتاهية فيأتي في باب الغزل والتغني بالمحبوبة، فهو كأنما يُرسل لها رسالة مع أحد معارفه يُخبرها فيها بمدى حبه لها، فهو يفديها بأبيه وأمه؛ وهما أغلى ما يملك الإنسان، و هذا القول يخبر بما يشعر به أبو العتاهية من الهم الذي أثقل كاهله ولا يخففه إلا ما يسليه من ذكرى محبوبته، والشاعر يصف الحالة التي يمكن أن يصل إليها إن بقي الحال على هذه الحالة، حتى لا يرهق أهله أنفسهم بإحضار الأطباء ليشخصوا حالته، فمرضه هو شوقه للمحبوبة، كيف لا؟ وهو من شدة الحب الذي وصل إليه يشعر بأن جسده في الكوفة، وروحه في بغداد، فكيف لا يكون مريضاً؟، ويلاحظ أن أبا العتاهية "يعبر عن لواعج شوقه إلى محبوبته وعن قسوة حرمانه منها، وعن إخلاص حبه لها وحدها، وكل ذلك في عفة ونقاء، وحتى في وصفه إياها لا يسلك طريق إبراز المفاتن الجسدية المثيرة من المرأة، وإنما يدل على هذه المفاتن في براءة وطهر" (٤)

ومن جميل الشعر الذي قاله أبو العتاهية في غرض الهجاء أبيات يتناص فيها مع أحداث سيرة المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، فتجده يقول فيها:

أَرقِيـــكَ أَرْقِيـــكَ باسْـــمِ اللهِ أرقِيكَـــا مِـــنْ بُخْـــلِ نَفْسِـــكَ عَـــلَّ اللهَ يَشْـــفِيها

مَـــا سِـــلْمُ كَفِّـــكَ إلّا مَـــنْ يُناوِلُهـــا وَلا عَـــــدُوُّكَ إلّا مَـــــنْ يُرَجِّيهـــــا

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٦٤٠.

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال. له فارس الإسلام. أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة، وشهد بدراً، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها. وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره، توفى سنة خمس وخمسون للهجرة. (الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٣، ص٨٧)

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، ج٤/ ص٣١.

(٤) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٣٣٩-٣٤٠.

إذا طاوعــتَ نَفْســكَ كُنْــتَ عَبْــداً لِكُــلِ دَنيئَــةٍ تَــدْنو إلَيهــا(١)

يستثمر أبو العتاهية في هذا المقطع الشعري مع ما ورد في السيرة من رقية سيدنا جبريل – عليه السلام– للرسول محمد –صلى الله عليه وسلم– ولكن بتوظيف جديد، "أَنَّ جِبْرَائِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: "نَعَمْ" ، قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ، أَوْ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ"(٢)، قد يكون هذا الذم للنفس البخيلة عامه وليس موجهاً لشخص بعينه كما يوضح ديوانه، ورغم ذلك يبقى ذماً لأن أبا العتاهية يستصغر هذه الصفة الطارئة في النفس البشرية، وإلا لماذا يُرقي النفس منها؟، ويرتجي شفاءها، وتراه بعد أن يحذر الإنسان من البخل يُوجه المتلقي إلى طريق الإنفاق، فالإنسان ليس عبداً للمال، وإنما المال طريق الوصول إلى مرضاة الله، وقد يُظهر مثل هذا المقطع الشعري "صفة الليونة في شعر أبي العتاهية، والتي تنسجم مع شعره في الغزل وتشبيبه بمحبوبته، ولكن هذه الليونة قد وجدت في أغراض أخرى غير الغزل"(٣)، مثل هذا القول عن سمة الليونة في شعره يُذكر بما قاله ابن المعتز في حقه: " أبو العتاهية أحد المطبوعين، وممن كاد يكون كلامه شعراً كله، غزله لين جداً مشاكل لكلام النساء، موافق لطباعهن"(٤)، ويبدو أنَّ هذه الصفة ظلت في شعره حتى نهايته ولم تقتصر على بداية حياته حيث كان يتغزل بعتبة.

ومهما يكن فإنَّ هذه السمة نفسها لا تعيب شعره، فشعر أبي العتاهية تبدو فيه سمات أخرى واضحة قوية، من براعة في الصياغة ومتانة في البناء، ووضوح في المعاني، بل إن صفة الليونة أكسبته رقة وسيرورة وشعبية.(٥).

ويُلمح تناص أبي العتاهية مع السيرة النبوية بهذه الآلية من التناص ليبين قلة توفيقه في حب عتبه، يقول مستلهماً أحداث السيرة النبوية:

تَلاعَبْـتِ بــي يــا عُتْــبُ ثُــمَّ حَمَلْتِنــي عَلَــى مَرْكَــبٍ بَــيْنَ الْمَنِيَّــةِ والسُّــقْمِ
خَلِيلَــيَّ مــا لــي لا تَــزالُ مَضَــرَّتي تَكُـونُ علـى الأَقْـدارِ حَتْماً مِـنَ الحَـتْمِ
يُصــابُ فُـؤادي حِـينَ أَرْمــى ورَمْيَتــي تَعُـودُ إلـى نَحْـري وَيَسْـلَمُ مَـنْ أَرْمـي(٦)

فأبو العتاهية يوظف ما ورد من تأييد الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– في معركة بدر عندما طلب الحصباء من علي –رضي الله عنه؛ ثم "رمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٤١٣.
(٢) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٥٨٨.
(٣) انظر: أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٢٧٨.
(٤) طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي، ص٢٢٨.
(٥) انظر: أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٢٨٠.
(٦) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٦٤٢.

دخل في عينه من ذلك التراب شيء ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم و يأسرونهم"(١)، و أنزل الله في ذلك : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢)، ليعبر عن قلة توفيقه في حب عتبه، وعن خيبة الأمل التي تقصم الظهر، فهو كلما أراد أن يوقعها في أشراك حبه، أصابت أشراكه قلبه؛ فازداد أبو العتاهية حباً لها، وسلمت عتبة من هذا الحب، وكأنَّ القدر لا يُريد أن يتحقق الحب بين أبي العتاهية وعتبة، وفي تناص الشاعر مع ماضيه لا يستطيع الشاعر طمث الماضي بشكل نهائي، "بل يظل ذاك الماضي يطل بين أونه وأخرى، يظل يخالط دلالته الجديدة ويمتزج بها"(٣).

وقد يستلهم أبو العتاهية أفعال الصحابة وأقوالهم –رضوان الله عليهم – في عهد النبي وبعده ليتخذ منها طريقاً للوصول إلى قلب، وعقل المتلقي، ففي تناصه مع أفعال الفاروق –رضي الله عنه– التي خلدها التاريخ، يقول أبو العتاهية:

واللهِ ما أُبالي متى ... ما مِتُّ يا سَلْمُ بَعْدَ ذَا السَّفرِ
أَلَيْسَ قَدْ طُفْتُ حَيْثُ طافَتْ وقَبَّـ ... ـلْتُ الَّذي قَبَّلَتْ مِنَ الْحَجَرِ(٤)

بمجرد سماع هذه القطعة الشعرية يُحال ذهن المتلقي إلى قول الفاروق –رضي الله عنه– في حجة له :"إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك ثم قبله"(٥)، وأبو العتاهية عندما يستلهم قول عمر بن الخطاب يستلهم معانيه التي تدل على اتباع الفاروق ومحبته للنبي –صلى الله عليه وسلم–، ليدلل على حبه لعتبة، بقسمه لسلم الخاسر(٦) على أنه لا يهتم للموت بعد هذا السفر الذي كان مع عتبة، فهو قد سار حيث سارت، وقبل الحجر الذي قبلت، أي أنه تبعها خطوة بخطوة، وفي كلا النصين تظهر القيمة التي أصبح عليها الحجر بمجرد ملامسة المحبوب، فقد حاول الشاعر إنعاش بعض أحاث السيرة الجاهزة، وبعث شخصيته فيها(٧)، وفي هذا دلالة على عميق الحب الذي يكنه لعتبة، وأبو العتاهية جعل من

(١) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٦م، ج٢، ص٤٣٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٣) في حداثة النص الشعري (دراسات نقدية)، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، عمان– الأردن، ط١، ٢٠٠٣م، ص٤٨–٤٩.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٤٩.

(٥) الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ج٦، ص٤٨٧.

(٦) سلم بن عمرو بن حماد: شاعر، خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي. سكن بغداد. له مدائح في المهديّ والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية. وشعره رقيق رصين. قيل: سمي الخاسر، لأنه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا، مات سنة مائة وست وثمانون للهجرة. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٣، ص١١٠.)

(٧) انظر: في حداثة النص الشعري (دراسات نقدية)، د. علي جعفر العلاق، ص٤٨.

مناسك الحج المرهقة سبيلاً للاستمتاع؛ لأن هذا الطريق الذي سلكه في الحج هو نفس الطريق الذي سلكته المحبوبة !!

يُلاحظ في أشعاره المتعلقة بالغزل ، "تكرر الحلف بالله والضراعة إليه والتوسل به والالتفات إليه وإلى الموت، وما بعد الموت، مما يبدو متعدداً في مظهره، وهو في حقيقة الأمر نابع من مصدر واحد عميق الغور في نفسه، .... وهذا لا يمكن أن يكون شيئاً عارضاً أو صناعة أو تكلفاً. فذكر الله أمر قوي في حياة أبي العتاهية الوجدانية والعاطفية بحيث يطفو دائماً على صفحة شعوره ويمتد إلى فنه وتعبيره ... حتى يكاد يدخل اسم الله في كل صغيرة وكبيرة من شئون عاطفته ووجدانه اعتقاداً منه بأنه مطلع على كل أحواله.[١]

---

(١) أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، ص٢٠٩-٢١٠.

الفصل الرابع:

مستويات التناص

أولاً: المستوى الإفرادي.

ثانياً: المستوى التركيبي.

الفصل الرابع

مستويات التناص

يتميز التناص بالتعدد في مستويات توظيفه، وذلك حسب حاجة الشاعر في التعبير عن حالته الفكرية والانفعالية، وقد يكون التوظيف من العقل الباطني، دون تدخل من العقل الواعي، وهذا يعتمد على ثقافة الشاعر التي تبرز حجم معجمه الشعري، وتنوع مستويات التناص لدى الشاعر يُسهم في توصيل المعنى المراد بأقل الكلمات، ويُسهم كذلك في تثبيت المعلومة في عقل المتلقي ووجدانه، ويمكن الحديث عن مستويات التناص في ديوان أبي العتاهية، بناء على المؤشرات المتوافرة في مستويين:

الأول: المستوى الإفرادي.

الثاني: المستوى التركيبي.

أولاً: المستوى الإفرادي:

"ونعني بهذا ما يتصل بقُدرة المبدع على اختيار ألفاظ بعينها، لا بحسب ما فيها من قيم صوتية، وإنما بحسب ما فيها من قيم دلالية، يمكن أن تمتد عند التركيب إلى غيرها من الدلالات الأخرى؛ لتصنع الإطار الدلالي المركب." (١)

في عملية التحليل النصي يتقصى الأديب بنيات النص ويتعمق به حتى الوصول إلى البنية الأساسية له وهي اللفظة "فيمكننا في هذا الصدد، تلمس المستوى الإفرادي للتناص، والإشارة إلى المكونات الأساسية، مهتمين بتصور ينبني على نموذج البنية الدلالية الكلية في أعمال الشاعر لا يظهر في بنية القصيدة الواحدة فحسب، بل يمتد ليظهر في الوحدات البنائية الصغرى في

---

(١) جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص١٠١.

القصيدة، مثل التراكيب اللغوية والصوتية والإيقاعية، التي تشكل في مجموعها مستويات البنية السطحية للنص الشعري." [1].

المتأمل للأشعار الإسلامية بعد نزول القرآن الكريم، وانتشار أحاديث النبي بين الناس يجد ألفاظاً كثيرة منهما في هذه القصائد، إذ " إنَّ تشبع ذهن الشاعر بهدى القرآن الكريم من خلال إمعان النظر في آياته البينات قد رسخ في مخيلته المعجم القرآني"[2]، "وقد حفل شعر الزهد بشواهد كثيرة لم تُعنَ بحرفية النص القرآني أو الحديث النبوي الشريف قدر عنايتها باستلهام الروح الإيمانية الذي يحققه الجهد الشعري إذ جاءت هذه الألفاظ بلسان الحقيقة والوضوح والصراحة والجزالة ولا سيما أنها قد اشتملت على معاني القرآن الكريم الذي يصلح لكل زمان و مكان"[3]

وإذا كانت الألفاظ التي يستخدمها الشاعر هي المحدد لماهية الإبداع الفني، "فالألفاظ مادة الأديب الأولية التي يتم بها تشكيل عمله الفني مثلما تُمثِّل الألوان التي يُلوِّن بها الرسام لوحاته..."[4]، ولذلك فإنَّ أبا العتاهية قد استقى الكثير من مفرداته من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد تطرق إلى بعض الألفاظ المستقاة من النصوص الدينية الأخرى، وهذا يكشف عن تعدد الثقافات في بيئته الحياتية، وعزز من اختياره للألفاظ الدينية، هذا إلى جانب أسلوب أبي العتاهية القريب من الروح الإسلامية في إنتاج قصائده التي استمتع بها المتلقي وأفاد منها بل وحفظها[5] في بعض الأحيان.

والمتأمل في شعر أبي العتاهية يجد أن معجمه الشعري فيه كثير من الألفاظ الدينية، وهذا يدلل على إيمان عميق، مع سعة في الاطلاع، فابن الأثير –مثلاً– يرى شعر أبي العتاهية –على الرغم من أنه كان في غرة الدولة العباسية وسط شعراء كثيرين– كالماء الجاري رقة ألفاظ ولطافة

---

(١) إضاءة النص (قراءات في الشعر العربي الحديث)، اعتدال عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٨م، ص٨٠.

(٢) أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول، هالة فاروق فرج العبيدي(رسالة ماجستير)، ص٩٧.

(٣) السابق، ص١٠٠.

(٤) مدخل للسانيات سوسير، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م، ص١٢٨.

(٥) ذكر الأصبهاني "مات شيخ لنا ببغداد فلما دفناه أقبل الناس على أخيه يعزونه فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزع شديد فعزاه ثم أنشد:

لا تَأمن الدَّهْرَ والْبَسْ ... لكلِّ حينٍ لِبَاسَا

لَيَدْفِنَّنَا أُنَاسٌ ... كما دَفَنَّا أُنَاسَا

قال فانصرف الناس وما حفظوا غير قول أبي العتاهية." (الأغاني، ج٣، ص٤٧-٤٨.)

سبك، وليس بركيك ولا واهٍ."[١]، كما ويرى أنَّ كل شعر أبي العتاهية سهل الألفاظ، فيه سلاسة الطبع وترويق الخاطر[٢]، ويبدو أن ذلك كان بسبب كثرة استعماله لألفاظ النصوص الدينية، لكن يجب الحذر من "أن الاعتماد على المفردة اللغوية وحدها في رصد التناص، لا يمكن أن يقود إلى رصد التداخل، لأن المفردات قبل التركيب لا يختص بها أحد دون آخر، وإنما تأتي الخصوصية من دخول المفردة في تركيب أولاً، ثم دخول التركيب في سياق ثانياً"[٣].

ومن الألفاظ التي استقاها من **النصوص الدينية** وتفاعل معها، واستثمرها ضمن المستوى الإفرادي:

أ- الجنة والجحيم:

"الجنة: الحديقة ذَات النّخل وَالشَّجر والبستان وَدَار النَّعيم فِي الْآخِرَة، وجمعها جنان"[٤]، وهي ما أعدَّ الله لعباده في الآخرة، و"الجحيم: النّارُ الشديدة التأَجُّج والالتِهاب"[٥]، الناظر إلى ديوان أبي العتاهية يجد هذين اللفظين بمعانيهما يتكرران، كما يتكرران في القرآن الكريم، وقد يؤكد هذا الاستقراء أن أبا العتاهية أكثر من ذكر الموت لخوفه مما بعد الموت وليس لروح التشاؤم التي تُريد الخلاص من الحياة.

يـــا للشَّـــبابِ المَـــرِحِ التَّصـــابي   روائـــحُ الجنَّـــة فـــي الشَّـــبابِ [٦]

عقب الجاحظ على هذا البيت بقوله :"انظروا إلى قوله: "روائحُ الجنّة في الشّباب"، فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل، وإدامة التفكير وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه"[٧]، وإذا كانت الألفاظ بشكلها الفردي لا تعني أكثر من دلالتها الوضعية، وأن طاقتها الخبيئة تتفق بكونها لبنة فاعلة، وعضواً حيوياً، في منظومة كلية، تُتيح لها المجال للتحرك على أكثر من مستوى

(١) المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، ج١، ص١٧٩.

(٢) انظر: السابق، ج١، ص١٧٩.

(٣) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث (دراسات أدبية)، د. محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٥م، ص١٧٠.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص١٤٦.

(٥) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج٣، ص٨٧.

(٦) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٤٩.

(٧) الأغاني، للأصبهاني، ج٣، ص٤٠.

دلالي [1]، فإن أبا العتاهية صاحب السليقة اللغوية، والطبع الشعري قد أبدع في توظيف هذه الألفاظ في شعره [2] دون أي ضعف يظهر في شعره في الغالب.

يستثمر أبو العتاهية لفظ رائحة الجنة ليدلل من خلاله على مفهوم الشباب ومعناه، لكن المعنى لا يُلمس بالحواس وإنما المعنى يُعرف بالقلب وتعجز عن ترجمته الألسنة كما أشار الجاحظ[3]، ولعل ذلك يُحيلنا إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحسن والحسين: "إِنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا"[4]، وكأن أبا العتاهية يقصد بالشباب الحسن والحسين سبطي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، في إشارة أن الولد يشم، ويقبل، كما تشم الرياحين.

ويستثمر أبو العتاهية لفظتي "الجنة" و"النار" ليدلل على الحيرة والخوف المتجذر في أعماق مما بعد الموت، فتراه يقول:

المــوْتُ بــابٌ وكــلُّ النــاسِ داخِلُــهُ ... يـا ليْـتَ شـعرِيَ بعـدَ البـابِ مـا الـدَّارُ
الــدَّارُ جنَّــةُ خلــدٍ إنْ عمِلــتَ بِمَــا ... يُرْضِـي الإلَـهَ، وإنْ قصّـرْتَ، فالنّـارُ [5]

يُدلل هذا المقطع الشعري على أن تكرار ذكر أبو العتاهية للموت لا يقصد منه الموت نفسه، وإنما ما هو كائن بعده من تباين في الطريق، فكما هو معلوم أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْه"[6]، ويبدو أن أمثال هذا الحديث هو مَنْ صنع نفس أبي العتاهية القلقة، التي تظهر من خلف كل ذكر للموت لتعبر عن مدى الخوف الكامن في قلب ذلك المخلوق الذي يخاف العذاب، ويأمل الرضا، يخاف النار، ويأمل في الجنة، والظاهر أنَّ أبا العتاهية لم يقتصر على استخدامه للألفاظ الدينية وإنما تعدى ذلك إلى استلهام المعنى العام من النص القرآني، فهو هنا

(١) انظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م، ص٢٦٤.

(٦) يحكى أن أبا نواس جلس يوما إلى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء، فاستسقى ماء فلما شرب قال: (عَذُبَ المَاءُ وَطَابَا...)، ثم قال أجيزوه، فأخذ أولئك الشعراء يترددون في إجازته، وإذا هم بأبي العتاهية فقال: ما شأنكم مجتمعين؟، فقالوا: هو كيت وكيت وقد قال أبو نواس: (عَذُبَ المَاءُ وَطَابَا ...)، فقال أبو العتاهية: (حَبَّذَا الْمَاءُ شَرَابَا ...)، فعجبوا بقوله على الفور من غير تلبث. (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، ج١، ص١٧٩–١٨٠).

(٣) انظر: الأغاني، للأصبهاني، ج٣، ص٤٠.

(٤) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٨٥٢.

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٤٣.

(٦) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٥٢٢.

يستلهم المعنى العام من قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١]، فأبو العتاهية يُذكر بالعدل الرباني القائم على أن الجنة جزاء للمتقين، والنار جزاء للكافرين.

ب-الخطايا والذنوب:

والذَّنب: هو "أمر غير المشروع يُرتكب"[٢]، و"الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الإثم إلا تعمدا ثم كثر ذلك حتى سميت الذنوب كلها خطايا"[٣]، جاءت لفظة "خطايا" في ديوان أبي العتاهية لتدلل على رحمة الله بالعباد، فمن رحمته تعالى أنَّ الخطايا لا تفوح رائحتها مثل رائحة الجروح، وفي ذلك يقول:

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّموحُ	أيُّها الْقَلْبُ الْجَموحُ
لِدَواعي الْخَيْرِ والشَّـ	ـرِّ دُنُوٌّ ونُزوحُ
هَلْ لِمَطْلوبٍ بِذَنْبٍ	تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصوحُ
كَيْفَ إصْلاحُ قُلوبٍ	إنَّما هُنَّ قُروحُ
أحْسَنَ اللهُ بِنا أَنَّ	الْخَطايا لا تَفوحُ[٤][٥]

تكررت لفظة "الخطايا" في الإنجيل ولكن في سياق ينافي السياق الذي جاء عند أبي العتاهية، فالخطايا عندهم تغفر من الإنسان(يقصدون المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام)، وقد تعدى الأمر بعد ذلك إلى كهنتهم، جاء في إنجيل متى "أيُّما أيسر أن يُقال مغفور لك خطاياك، أم أن يقال قُم وامشِ* ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا"[٦]،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان٨١-٨٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٣٢٧.

(٣) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، ص٢٢٢.

(٤) أخبر الأصبهاني: حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا محمد بن صالح العدوي قال أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات إذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم. فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه. فقيل له: ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس، قال: فوجه إلي الرشيد قل شعرا حتى أسمعه منهم، ولم يأمر بإطلاقي، فغاظني ذلك. فقلت: والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسر به. فعملت شعرا ودفعته إلى من حفظه الملاحين، فلما ركب الحراقة سمعه وهو: خانَكَ الطَّرْفُ ... الأبيات. (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٧١)

قال: فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة، وأشدهم عسفاً في وقت الغضب والغلظة. فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا. (الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، ج٣، ص١٧٢.)

(٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٩٧.

(٦) إنجيل متى: ٩/٥-٦.

وورد في إنجيل يوحنا: "رأى يوحنا يسوع آتياً نحوه، فهتف قائلاً : "هذا هو حمل الله الذي يُزيل خطيئة العالم"[١]، وقد تناول أبو العتاهية لفظة "الخطايا" في سياق يتناسب مع المعتقد الإسلامي، فالشاعر جاء باللفظة في سياق الحمد لله تعالى على أنه ستر عيوبنا وخطايانا فلم يجعل لها رائحة تفوح منها كما للقروح والجروح روائح سيئة، في دعوة للمتلقي –وإن وجه الكلام للرشيد– بضرورة التوبة من هذه الخطايا ليُطهر القلب من جُروحه، وقد أشار شكري فيصل[٢] إلى أنَّ قول أبي العتاهية من قوله –صلى الله عليه وسلم–: " لو تكاشفتم ما تدافنتم"[٣]، ويُلاحظ من تأثر الرشيد بهذه الأبيات؛ أنَّ الرشيد وأبا العتاهية كليهما قد وعى ما للخطايا من خطر على مستقبل الإنسان في حياته الدنيا والآخرة، فالشاعر وفق في نقل المعنى والرشيد وفق في فهمه، لأن ما يخرج من القلب يصل إلى القلب.

وكأن أبا العتاهية طبيب شَخص الداء، ووصف له الدواء وهو التوبة حتى تندمل الجروح، والرشيد المريض الذي أخذ الدواء الذي وصفه الطبيب ففاضت عيناه ندماً على ذنوبه، وخوفاً مما بعد الموت.

ولشدة خوف أبي العتاهية من الخطايا فهي حاضرة في ذاكرته لا تغيب، فنفسه اللوامة لا تنفك من تذكيره بما اقترف، يقول في هذا، مستنكراً فعل مَنْ يغفل عن تذكر الخطايا:

أَلاَ بِهِ أنْــــتَ فَتـــــىً وكَهْـــــلاً — تَلُــوحُ عَلَـــى مَفارِقِـــهِ الـــذُّنوبُ
هُـــوَ الْمَـــوْتُ الَّـــذي لا بُـــدَّ مِنْـــهُ — فَــلا يَلْعَــبْ بِــكَ الأَمَــلُ الْكَــذوبُ
وَكَيْـــفَ تُريـــدُ أَنْ تُــدْعى حَكيمًـــا — وَأَنْـــتَ لِكُـــلِّ مـــا تَهْــوى رَكُــوبُ
وَمـــا تَعْمـــى الْعُيـــونُ عَـــنِ الْخَطايـــا — وَلكِـــنْ إنَّمـــا تَعْمـــى الْقُلُـــوبُ
وَتُصْـــبِحُ ضـــاحِكًا ظَهْـــرًا لِـــبَطْنٍ — وَتَــذْكُرُ مــا اجْتَرَمْــتَ فَــلا تَــذوبُ[٤]

يستلهم أبو العتاهية معنى الصورة السابقة من العديد من النصوص الدينية منها: قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٦]، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "... وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى

(١) إنجيل يوحنا: ٢٩/١.
(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٩٧.
(٣) البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ج٣، ص٨٨.
(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٢٣.
(٥) سورة الرحمن، الآية ٢٦.
(٦) سورة الحج، الآية٤٦.

الْقُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ"(١)، ليظهر عظيم أثر الخطايا على الإنسان المسلم، والخطر القائم الناتج من إغفال أمرها وعدم الانتباه لها!، وهذا الخطر العظم ليس في الدنيا وحدها، وإنما في الآخرة، ويؤكد بأنَّ إغفال الخطايا ليس لعمى في البصر؛ ولكن لعمى في القلب؛ فالقلب الحي يذكر ذنوبه فيستغفر ويرجع وينوب، وكيف لا يَذكر المذنب خطاياه ولا يتوب من سوء فعاله؟، ليس لعظم الذنب ولكن لعظم الناظر إليه الذي يعصيه، وهو ينبه المتلقي بالحذر من أن يلعب به الأمل الكذوب، لأن آخر الدنيا هو الموت فلا يتمنى المرء الأماني.

ت-صليبة:

وهي مشتقة من كلمة صلب، "ومن المجاز: عربي صليب: خالص النسب. وامرأة صليبة: كريمة المنصب عريقة. وماء صليب: يسمن عليه وتقوى عليه الماشية وتصلب"(٢)، وقد استعملها أبو العتاهية في هجاء والبة بن الحباب(٣)، يقول فيه:

نَطقـتْ بنـو أسَـدٍ ولـم تَجهـرْ	وتكلَّمـت خَفيـاً ولـم تَظهـرْ
وابـنُ الحُبـابِ صَـليبةً زعمـوا	ومـن المحـالِ صـليبةٌ أشـقَرْ
مـا بـال مَـنْ آباؤه عُـرُبِ الألْوان	يُحسـب مـن بنـي قيصـرْ
أتـرون أهـلَ البـدوِ قـد مُسِخوا	شُـقراً أمـا هـذا مـن المُنْكَـرْ (٤)

ترددت كلمة الصليب في الإنجيل، وفي الثقافة المسيحية، لتدلل على الضعف تارة "وكان المجتازون يُجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين آه يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام* خلص نفسك وانزل عن الصليب"(٥)، وعلى الكرامة تارة أخرى، إلا أنها في القرآن الكريم مثلت الفعل الذي قامت به اليهود في مَنْ ظنوه بأنه المسيح عليه السلام، يقول تعالى :﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ﴾(٦)، وفي اللغة العربية جاءت كلمة

(١) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، ص٦٩٦.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ج٣، ص٢٠٩.

(٣) والِبَة بن الحُبَاب: والبة بن الحباب الأسدي الكوفي، أبو أسامة: شاعر غزل، ظريف، ماجن، وصاف للشراب، من أهل الكوفة. من بني نصر بن قعين، من أسد بن خزيمة. وهو أستاذ أبي نواس. رآه غلاما في البصرة، يبري العود، فستصحبه إلى الأهواز ثم إلى الكوفة، فشاهد معه أدباءها، فتأدب بأدبهم. وقدم والبة بغداد، في أواخر أعوامه، فهاجى بشارا وأبا العتاهية وغلباه، فعاد إلى الكوفة كالهارب. وكان أبيض اللون أشقر الشعر. ولما مات رثاه أبو نواس، توفي سنة مائة وسبعين للهجرة. (الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، ج٨، ص١٠٩)

(٤) الأغاني، الأصبهاني، ج١٦، ص١٤٤.

(٥) إنجيل مرقس: ١٥/٢٩-٣٠.

(٦) سورة النساء، الآية ١٥٧.

صليبية لتدلل على الكرامة في النسب أو العلو في المنصب[1]...، وقد أفاد أبو العتاهية من هذه الكلمة في شعره، وقد ورد ذلك في سياق هجائه لوالبة ابن الحباب؛ فالشاعر ينفي عن والبة صفة العلو في النسب؛ لأنه أشقر فأبو العتاهية يعتبر لون والبة الشبيه بلون بني قيصر منقصة، بل إنه مسخ جرى على والبة، وينكر هذا على والبة، وإن كان ما جاء به أبو العتاهية مُنكر في الدين؛ إلا أنه قد شنع في والبة مما دفعه إلى ترك بغداد والذهاب إلى الكوفة هرباً من لسان أبي العتاهية.

ث-آدم وحواء:

آدم: هو سيدنا آدم -عليه السلام- أبو البشر، وحواء: هي أم البشر خرجت من ضلع آدم -عليه السلام-، وقد تردد ذكرهما في ديوان أبي العتاهية كثيراً، حسب المعنى المراد، فقد تراه يذكر آدم ليذكر المتلقي بحقيقة فناء الخلق جميعاً وبدون استثناء، وفي رسمه لهذه الصورة يقول:

يا نَفسُ أينَ أبي، وأينَ أبو أبي ... وأبُوهُ عَدِّي لا أبَا لَكِ واحْسُبِي
عُدّي، فإنّي قد نَظَرْتُ ، فلم أجِدْ ... بيني وبَيْنَ أبيكِ آدَمَ مِنْ أبِ
أفأنْتِ تَرْجينَ السّلامَةَ بَعدَهمْ ... هَلاّ هُديتِ لسَمتِ وجهِ المَطلَبِ[2]

يخاطب أبو العتاهية عقل المتلقي بالبينة والبرهان ليوضح الفكرة التي يريد أن يؤكد عليها، فهو يريد أن يجلي في ذهن المتلقي حقيقة أن الموت حق على الجميع، والدليل أن ما بين أب المتلقي_ متمثلاً نفسه- وبين آدم -عليه السلام- من أب موجود، لأنهم قد ماتوا، وأبو العتاهية استمد المعنى العام للأبيات من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[3]، وإذا كان الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، فإن أبا العتاهية فد أبدع في اختيار ألفاظه الدالة على المراد الكامن في نفسه، ويؤكد أبو العتاهية على المعنى الوارد في القطعة السابقة، ولكن بطريقه مختلفة، فيقول:

ألاَ إنَّنَا كُلُّنَا بائدُ ... وأيّ بَنِي آدَمٍ خالِدُ ؟
وبدءُهُمُ كانَ مِنْ رَبّهِمْ ... وكُلٌّ إلى رَبّهِ عائِدُ[4]

يُذكِّر أبو العتاهية بحقائق ثابتة؛ أن الله هو الذي خلقنا، وإليه معادُنا، وليس منا مَنْ هو مخلد، فلنعمل لما بعد الموت، وهو يستمد معاني هذه الصور من كتاب الله؛ فمنه قوله تعالى:

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي، ج٣، ص٢٠٩.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل، ص٣٢.

(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٦.

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، شكري فيصل، ص١٠٢-١٠٣.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(٢).

وعندما يَذْكُر حواء يذكرها قريناً لآدم، ويتناول اسمها ليدلل على أن الناس أصلهم واحد، بعكس بعض الشعراء الذين يعتبرونها أصلاً للخطيئة؛ " وينسبون الناس لها كأنهم يريدون بذلك أن يُحقرهم بنسبتهم إلى امرأة، كما يريدون أن ينسبوا إليهم ما يرونه منها من دنس ولوم"(٣)، أما أبو العتاهية فيتناول اسمها ليبين أن الإنسان معلق بعمله لا بنسبه، فأصل الناس جميعاً واحد؛ وهو آدم وحواء، يقول مستلهماً هذه المعاني:

حِلْمُ الْفَتَى مِما يُزَيِّنُهُ	وتَمامُ حِلْيَةِ فَضْلِهِ أَدَبُهْ
والأَرْضُ طَيِّبَةٌ وكُلُّ بَنِي	حَوَّاءَ فيها واحِدٌ نَسَبُهْ
إيتِ الأُمورَ وأَنْتَ تُبْصِرُها	لا تَأْتِ ما لَمْ تَدْرِ ما سَبَبُهْ (٤)

يستلهم أبو العتاهية قوله من قول النبي –صلى الله عليه وسلم–"كَرَمُ المَرْءِ دِينُهُ وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ" (٥)، وقوله –صلى الله عليه وسلم: "كلكم لآدم وحواء كطف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم" (٦)، يُذكر أبو العتاهية إلى أن الإنسان لا يَشرف بنسبه، فكلنا لآدم وحواء، وآدم وحواء من تُراب، وإنما الإنسان يشرف ويتزين بالأخلاق وبالدين، ولهذا يدعو أبو العتاهية المتلقي إلى تحكيم عقله وإتيان ما به تحل المنفعة له في الدنيا والآخرة، لا ما تحل به المضرة والخسران وضياع الدنيا والآخرة.

ج- طوبى:

لاحظ بروكلمان تأثر أبو العتاهية بالنصارى لأنه يُكثر من افتتاح أبياته بلفظ كلمة "أين"(٧)، وقد رد عليه بعض الكتاب العرب؛ بأن ذلك قد يكون مستمد من القصص

(١) سورة طه، الآية٥٥.
(٢) سورة الرحمن، الآية ٢٦.
(٣) أبو العتاهية حياته وشعره، محمد محمود الدّش، ص٣٨١.
(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: شكري فيصل، ص٥٠.
(٥) الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ج٧، ص٣٨٠.
(٦) السابق، ج٨، ص١٥٨-١٥٩.
(٧) انظر: تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ج٢، ص٣٥.

القرآني، إلا أن الناظر إلى أشعاره يرى تكرراً للفظ "طوبى"(١)، وتعني في اللغة "الْحسنى وَالْخَيْر"(٢)، يقول أبو العتاهية:

مـــاذا يُرِيـــكَ الزَّمـــانُ مِـــنْ عِبَـــرِهْ ... ومِـــنْ تَصـــارِيفِهِ وَمِـــنْ غِيَـــرِهْ
طُـــوبَى لِعَبْـــدٍ ماتَـــتْ وَساوِسُـــهُ ... وَاقْتَصَـــرَتْ نَفْسُـــهُ عَلَـــى فِكَـــرِهْ
طُـــوبَى لِمَـــنْ هَمُّـــهُ الْمَعـــادُ وَمـــا ... أَخْبَـــرَهُ اللهُ عَنْـــهُ مِـــنْ خَبَـــرِهْ
طُـــوبَى لِمَـــنْ لا يَزِيـــدُ إِلَّا تُقـــى ... لِلّهِ فِيمـــا يَـــزدادُ مِـــنْ كِبَـــرِهْ(٣)

تكررت الشواهد لدى أبي العتاهية في ديوانه التي استخدم فيها كلمة "طوبي"، والتي تكرر استخدامها في التوراة كما في سفر الأمثال: "طوبى للإنسان المتقي دائما أما المقسى قلبه فيسقط في الشر"(٤)، كما ورد في إنجيل متى: "طوبى للأنقياء القلب. لأنهم يعاينون الله * طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يدعون * طوبى للمطرودين من أجل البر ..."(٥)، إلَّا أن هذا التكرار لا يُلائم روح العقيد الإسلامية؛ فالله تعالى يقول: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(٦)، وأبو العتاهية يذكر هنا الكلمة ولكنه مستلهم معناها من سياقها الذي ورد في القرآن الكريم؛ أن هذا الأجر والثواب يكون لمن اتقى الله، وأخلص في عبادته، ونقى قلبه من أمراض القلوب، وجعل شغله في الدنيا عمل الصالحات حتى ينجو من عقاب يوم الميعاد، وللذين يزدادون تقوى كلما تقدمت بهم الحياة لما يَرون من آيات الله ومعجزاته في هذا الكون، وقد وافق معنى قوله ما جاء في السنة المطهرة(٧)، وما جاء في كتب الأثر على لسان سيدنا عيسى –عليه السلام–: "طُوبَى لِمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ"(٨).

(١) فعن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، كُلُّ شَجَرِ الْجَنَّةِ مِنْ أَغْصَانِهَا". (الزهد، عبد الله بن المبارك المرزوي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٣٨٦هـ.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٥٩٣.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٧٧

(٤) سفر الأمثال: ١٤/٢٨.

(٥) إنجيل متى: ٥/٨–١٠.

(٦) سورة الرعد، الآية٢٩.

(٧) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا». (سنن ابن ماجة، لابن ماجة، ج٢، ص١٢٥٤.)

(٨) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ج٤٧، ص٤٣٣.

ح- صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]:

استلهم أبو العتاهية أسماء صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- كما استلهم أسماء الأمم التي أهلكها الله جزاء ما اقترفت أيديهم، ليبين أن الموت حق على كل من خلق الله، وأن الله لن يترك على هذه الدنيا أحداً سواء أكان عبداً مقرباً، أم عبداً جاحداً كافراً، يقول مستلهماً هذه المعاني:

أَيْـــنَ الْقُـــرُونُ وَأَيْـــنَ المُبْتَنُـــونَ لَنَـــا ... هــذي الْمَــدائِنَ فِيهــا المــاءُ وَالشَّــجرُ
وأيْــنَ كِسْــرَى أَنــو شَــرْوانُ مَــالَ بِــهِ ... صَــرْفُ الزَّمَــانِ وَأَفْنَــى مُلْكَــهُ الغِيَــرُ
بَـلْ أيْـنَ أَهْـلُ التُّقَـى بَعْـدَ النَّبـيِّ وَمَـنْ ... جَــاءَتْ بِفَضْــلِهِمُ الآيَــاتُ وَالسُّــوارُ
أُعْــدُد أَبَــا بَكْــرٍ الصِّــدِّيقَ أَوَّلَهُــمْ ... وَنَـادِ مِـنْ بَعْده فـي الفَضْـلِ يَـا عُمَـرُ
وَعُـدَّ مِـنْ بَعْـدِ عُثْمَـانٍ أَبَـا حَسَـنٍ ... فَــإِنَّ فَضْــلَهُما يُــرْوَى وَيُــدَّكَرُ
لَــمْ يَبْــقَ أَهْــلُ التُّقَــى فِيهــا لبِــرِّهِمُ ... وَلا الْجَبَــابِرَةُ الأَمْــلاكُ مَــا عَمَــرُوا
فاعْمَــلْ لِنَفْسِــكَ وَاحــذَرْ أَنْ تُوَرِّطَهــا ... فــي هُــوَّةٍ مَــا لهــا وِردٌ وَلَا صَــدَرُ
مَــا يَحْــذَرُ اللهَ إِلَّا الرَّاشِــدُونَ وَقَــدْ ... يُنْجِـي الرَّشِـيدَ مِـنَ المَحْـذُورَةِ الْحَـذَرُ[٢]

وقد استلهم أبو العتاهية هذه الأسماء من سير الصحابة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبعده، وفي الحديث ما يشهد على علو هذه الهامات، ففيه أنه "ارتج أحد وعليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اثبت أحد ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان""[٣]، وأبو العتاهية عندما يستوحي عظم هذه الشخصيات، وكيف أنها ماتت، ولم يبقَ منها إلا السيرة العطرة، يُذكِّر بأن الموت حقٌ على جميع المخلوقات، ففي التنزيل يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٤]، لكن الاختلاف بين فناء الأمم الظالمة وموت أصحاب الطاعات؛ في أن أصحاب الطاعات ذكراهم باقية حية في الأجيال التي تلتها وحتى يومنا هذا، أما الأقوام الظالمة فلم تبقَ إلا مساكنهم وذكراهم السيئة التي يؤخذ من العبر، فليعمل الإنسان لذلك اليوم الذي سيحاسب فيه وليتق الله، علَّ اللهُ يرحمه بما قدم من أعمال صالحة، والشاعر هنا يجعل إرادة الله ورحمته هي الدخول إلى الجنة لا الأعمال الصالحة، وفي هذا تناص مع ما روي

---

(١) يلاحظ ظهور بعض أسماء الرسل في ديوان أبي العتاهية، لكن هذه الأسماء كانت للخلفاء أو أبنائهم الذين كان يمدحهم، لكن في أحد الشواهد تراه يستعمل حصيلته اللغوية في الدلالة على معاني غريبة للكلمة، فهو القائل:

حُلِقَــــتْ لِحْيَــــةُ موســــى بِاســـــمِهِ ... وبهـــــــرُنَ إذا مـــــــا قُلِبـــــــا

(أبو العتاهية أشعاره وأخباره، د. شكري فيصل، ص٤٨٥).

فقد يظن المتأمل من الوهلة الأولى أن هذا من التناص لكن عند تحليل البيت، يعلم أنه شاهد بلاغي.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص١٥٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ج١٩، ص١٥٨-١٥٩.

(٤) سورة الزمر، الآية٣٠.

"عن علي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا، وفي يده عود ينكت به، قال: فرفع رأسه فقال: "ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار" قال: فقالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ قال: "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له"(١).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ج٢، ص٥٦.

ثانياً: المستوى التركيبي:

يوظف الشاعر أحياناً تراكيب جاهزة في ذاكرته، إما لأنها تعطي المراد في داخله بأقل الكلمات، أو لأنها رسخت في ذاكرته وتحاول دائماً أن تقحم نفسها في كلامه، وهذا يعتمد على الثقافة التي تلقاها وخصوصاً في مراحل حياته الأولى، فتلك التراكيب تكون أرسخ من غيرها، وتظهر على السطح كلما ظن عقله أنه بحاجة إليها.

لكن هذه "الجمل الشعرية ليست مجرد حشد للألفاظ ورصف للتراكيب بشكل عشوائي بل هي بناء فني مقصود نابع من الحساسية الشعرية، قائمة على أساس ... يهدف إلى خلق نشاط لغوي متفاعل قادر على التوالد الدلالي وزاخر بطاقات جمالية، وواعد بظلال إيحائية كثيفة، وهذا مرهون بإجادة المبدع لصياغة جمله الشعرية، وانسرابها داخل سياقه النصي واندماجها مع مكوناته؛ لأنَّ انتظام الجمل وتفاعلها مع مكونات النص والنظر إليها من خلال إطاره الكلي يساعد في إبراز خفاياها ويمنحها احتمالات دلالية تثري العمل الفني وتزيد كثافته"(١)، وعدم انسجام التركيب المستدعى في النص، يُحدث إطراباً ظاهراً يؤدي إلى خلل ملموس في النص، ومن ثم لا يؤدي التركيب المستدعى المعنى الدلالي الذي جلب من أجله.

وتتجلى فاعلية التناص التركيبي الديني في شعر أبي العتاهية من خلال التناص مع بعض التراكيب الدينية منها:

١- التناص مع القرآن الكريم:

لم يتوقف أبو العتاهية في شعره عند التناص اللفظي مع ألفاظ من القرآن الكريم، بل تجاوز ذلك إلى التناص مع اسم أعظم أية في القرآن الكريم، يقول مستلهماً المعاني الواردة في أية الكرسي:

إِنِّي أعوذُ مِنَ الَّتي شَغَفَتْ   مِنِّي الْفُؤادَ، بِآيَةِ الْكُرْسي(٢)

يقولون إنه من "ما أنكر على أبى العتاهية قوله لما ترفّق في نسيبه بعتبة: البيت، وآية الكرسي يهرب منها الشياطين ويحترس بها من الغيلان"(٣).

---

(١) الرمز ودلالته في الشعر العربي الفلسطيني الحديث دراسة تحليلية فنية لشعر محمود درويش وسميح القاسم وفدوى طوقان (أطروحة دكتوراه)، د. محمد مصطفى كلاب، جامعة الفاتح- كلية الآداب، ليبيا، ٢٠٠١م، ص٣٩٠

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٧٠.

(٣) الموشح مآخذ العُلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م، ص٣٢٤..

ويلاحظ أن أبا العتاهية مع رقّة طبعه، وقرب متناوله، وسهولة نظم المنثور عليه، وسرعة بديهته، لا يخلو شعره من السخيف التافه، وهذا ما يذهب إليه الأصمعي في قوله: "شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى"(١).

لكن رغم كثرة الأحداث التي ذكرت في سيرته التي تؤكد على كثرة أشعاره، وكثرة سقطاته، وأنه لما سئل عن العروض فقال: أنا أكبر من العروض، إلا أنَّ هذا الأسلوب المعتمد على السهولة في اللفظ والتركيب، لا ينفي بلاغة الشاعر، فهدف أبي العتاهية من هذا كله هو محاولته لتوسيع دائرة متلقيه، فإنه لما كانت الحرية للشاعر في اختياره أسلوبه؛ كانت الحرية للمتلقي حرية الرفض والقبول لهذه الأشعار(٢).

وتراه في مواقف أخرى يستعير التركيب القرآني ليضعه في النص الشعري ببراعة ، ليظهر جمال أشياء يراها هو جميلة، ويريد أن ينقل المعنى للمتلقي فلا يجد أفضل من التراكيب القرآنية ليظهر هذا المعنى الدفين في قلبه، يقول في وصف الخمر:

بزُجاجةٍ تَسْتَخْرِجُ السِّرَّ ... الدّفينَ مِنَ الضَّمير
زَهْراءَ مثْلِ الكَوْكَبِ الدُّ ... رِّيّ فِي كَفّ المُدير(٣)

وأبو العتاهية يستلهم في هذه القطعة الشعرية المعاني الواردة في قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤)، "فالله وصف الزجاجة فقال : ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾، أي منسوب إلى الدر لأن فيه من الصفاء والحسن ما يشابه الدر"(٥)، وهذا هو المعنى الذي طلبه أبو العتاهية فأسعفه التركيب القرآني المختزن في الذاكرة ليوصل الصورة إلى ذهن السامع دون أن يقلل من جودة الصورة الأولى، لكن الملاحظ أن الشاعر قد استخدم تركيباً

---

(١) الأغاني، للأصبهاني، ج٣، ص٤٣.
(٢) انظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، دار الشروق، عمان- الأردن، ط٢، ١٩٩٢م، ص١١١.
(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٤٥-٥٤٦.
(٤) سورة النور، الآية ٣٥.
(٥) فتح القدير، للشوكاني، ج٤، ص٤٧.

قرآنياً؛ حتى وهو في بداية حياته، ورغم ما كان به من حالة مجون، والملاحظ أن الشاعر يستخدم التركيب القرآني في غير محلة.

ويكمل في نفس القصيدة وصفه للجواري من حوله فيقول:

ومُخَصَّـــراتٍ زُرْنَنـــا بَعْـــدَ الهُـــدوِّ مِـــنَ الخُـــدُورِ
رَيّـــا رَوادِفُهـــنّ يَلْـــبَسْنَ الخـــواتمَ فـــي الخُصـــور
غُـــرِّ الوُجـــوه محجَّبـــا تٍ قاصـــراتِ الطّـــرف حُـــور
مُتَنَعِّمـــاتٍ فـــي النَّعيـــمِ مُضَـــمَّخاتٍ بـــالعَبير [١]

وأبو العتاهية يستلهم المعاني الوارد في القرآن الكريم من وصف نساء أهل الجنة، فالله تعالى يقول: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾[٢]، ليصف من حوله من الراقصات، والمتأمل في هذه الأبيات يرى مدى المخالفة في الوصف، فالشاعر أراد أن يرفع من مكانة هذه المجموعة من النساء؛ فشبههن بنساء أهل الجنة، وهذا تجاوز من الشاعر، فما كان لمثلهن أن يشبههن بنساء أهل الجنة، "فقوله تعالى : {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} يدل على عفّتهن ، وعلى حسن المؤمنين في أعينهن ، فيحببن أزواجهن حبًّا يشغلهنَّ عن النَّظر إلى غيرهم ، ويدل أيضاً على الحياء ؛ لأن الطرف حركة الجفن، والحييَّةُ لا تحرك جفنها، ولا ترفع رأسها." [٣].

وقد يظهر من تكرر استخدام أبي العتاهية للتراكيب القرآنية في وصف النساء والأشياء من حوله، ما للقرآن من مكانه في صدره رغم الحالة التي وصل إليها أبو العتاهية من المجون، فتراه يقول في عتبة:

وَإِنّـــي لَمَعْـــذورٌ عَلـــى طُـــولِ حُبِّهـــا لِأَنَّ لَهـــا وَجْهـــاً يَـــدُلُّ عَلـــى عُـــذْري
إِذا مـــا بَـــدَتْ وَالْبَـــدْرُ لَيْلَـــةَ تِمِّـــهِ رَأَيْـــتَ لَهـــا فَضْـــلاً مُبِينـــاً عَلَـــى الْبَـــدْرِ
وتَهْتَـــزُّ مِـــنْ تَحْـــتِ الثِّيـــابِ كَأَنَّهـــا قَضـــيبٌ مِـــنَ الرَّيْحـــانِ فـــي ورَقٍ خُضْـــرِ
أبَـــى اللهُ إِلَّا أَنْ أمُـــوت صَـــبابَةً بِســـاحِرَةِ الْعَيْنَـــيْنِ طَيِّبَـــةِ النَّشْـــرِ
وتَبْسِـــمُ عَـــنْ ثَغْـــرٍ نَقِـــيّ كَأَنَّـــهُ مِنَ اللُّؤلُـؤ الْمَكْنـونِ فـي صَـدَفِ الْبَحْـرِ
يُخَبِّرُنـــي عَنْـــهُ السِّـــواكُ بِطِيبِـــهِ ولَسْـتُ بِـهِ، لَـوْلا السِّواكُ، بِذِي خُبْرِ [٤]

جاءت هذه القطعة الغزلية على لسان أبي العتاهية، لتظهر مدى جمال عتبة، الذي يراه بعين قلبه، فهو يراها أجمل من القمر في أفضل حالاته؛ وهو في تمامه، وهي عنده أجمل من

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٥٤٦.
(٢) سورة الصافات، الآية ٤٨.
(٣) تفسير اللباب، أبو حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى الحنبلى، دار الكتب العلمية . بيروت،ج١، ص٣٥٠.
(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٤٥٧.

قضيب الريحان في رقته، ثم يقول بأن هذا الحب هو قدر الله الذي قدره على قلبه، وليس له أن ينكر هذا الشعور على نفسه، ثم يأتي بتركيب قرآني ليخبر عن مدى روعة أسنانها عندما تبسم؛ فهي أجمل من اللؤلؤ المكنون، وقد استقى أبو العتاهية هذا التركيب من قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [1]، و"(اللؤلؤ المكنون) أجمل اللؤلؤ لأن الصون، والكن يحسنه"[2]، لكنه يضيف أنه علم هذه الحقيقة عن جمال أسنانها من السواك ولولا السواك لما علم بهذه الحقيقة، ليظهر للمتأمل أن أبا العتاهية لم يطلق هذا الوصف على أسنانها إلا بعلمه أن هذه الأسنان لا تظهر لأحد، فهي محفوظة في فمها؛ وهذا كنايه على شدة حيائها، فهي لا تبتسم لأحد، ويُلاحظ لسان الحب العذري الذي يخاطب الشاعر به محبوبته؛ فهو يترفع عن أن يذكر صفاتها الجسدية!!

وقد يستلهم القصص القرآني ليدلل على أن الموت حق على الجميع، حتى للذين تملكوا الأموال، والجاه، والسلطان، يقول في هذا:

أَيْـنَ الْمُلُـوكُ ذَوُو الْمَنَـابِرِ والدَّسا	كِـرِ [3] والْعَسـاكِرِ والْقُصـورِ الْمُشْـرِفاتِ
والمُلْهِيـاتُ فَمَـنْ لَهـا الْغادِيـا	تُ الرَّائِحـات مِـنْ الجِيـادِ الصّـافِناتِ
هُـمْ بَـيْنَ أَطْبـاقِ التُّـرابِ فَنـادِهِمْ	أَهْـلَ الـدِّيار الْخالِيـاتِ الْخاوِيـاتِ
هَـلْ فـيكُمْ مِـنْ مُخْبِـرٍ حَيْـثُ اسْـتَقَرَّ	قَـرارُ أَرْواحِ الْعِظـامِ الْبالِيـاتِ
فَلَقَـلَّ مـا لَبِـثَ الْعَوائِـدُ بَعْـدَكُمْ	وَلَقَـلَّ مـا ذَرَفَـتْ عُيـونُ الباكِيـاتِ
وَالـدَّهْرُ لاَ يُبْقِـي علـى نَكَباتِـهِ	صُـمُ الجِبـالِ الرَّاسِـياتِ الشَّـامِخاتِ [4]

يستلهم أبو العتاهية المعاني الواردة في قصة سيدنا سليمان –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[5]، ليتساءل عن الملوك التي ألهتها الملهيات والنعم، فقد بادت، ولم يكن رد فعلها على هذه الملهيات ما كان من سليمان –عليه السلام– عندما تعرض لمثل هذا الموقف، فقد "شرع يذبحها ويقطع أرجلها تقرباً إلى الله، لتكون طعاماً للفقراء لأنها شغلته عن ذكر الله قال الحسن: لما رُدَّت عليه قال: لا والله لا تشغليني عن طاعة ربي ثم أمر بها فعقرت"[6]، ويستلهم التركيب الحاصل في

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٢٣.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ج٥، ص١٧١.

(٣) دسكر: الدَّسْكَرةُ: بناء شبه قصر، حوله بيوت، وجمعه: الدَّساكر، تكون للملوك.(كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ج٥، ص ٤٢٦.)

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٧٢–٧٣.

(٥) سورة ص، الآيات ٣٠–٣٣.

(٦) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج٣، ص١٠٥٠.

البيت الأخير من سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: "دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه، فرفعت رأسي في البيت، فو الله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر، إلا أهب ثلاثة معلقة، وصبرة من شعير، فهملت عينا عمر فقال: "ما لك؟" فقلت: يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه؟ فجلس محمرا وجهه، فقال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ثم قال: أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟» قلت: بلى، يا رسول الله، فأحمد الله عز وجل، وزاد أبو الحسن بن الضحاك: "يا عمر لو شاء أن يسيّر الجبال الراسيات معي ذهبا لسارت""(١)، ليبين مدى رفضه لدنيا لم يقبلها سيد المرسلين فكيف يقبلها مَنْ سار على دربه واقتدى بسنته؟، وليظهر مدى هوانها عليه.

٢– التناص مع التوراة:

ورد في التوراة الموجودة بين أيدينا اليوم تركيب لفظي استخدمه أبو العتاهية بدون أل التعريف، ليعبر عن تبجيله لله الرازق يقول أبو العتاهية:

تَبَارَكَ رَبٌّ لا يَزَالُ وَلَمْ يَزَلْ عَظِيمَ الْعَطَايَا دائِمِ السَّيبِ(٢)
لَهِجْتُ بِدارِ المَوتِ مُسْتَحْسِناً لَهَا وَحَسْبِي لِدارِ المَوتِ بالموتِ مِنْ عَيْبِ(٣)

يستلهم أبو العتاهية التركيب اللفظي الوارد في العديد من أسفار التوراة، فقد ورد في سفر يهوديت: "تبارك الرب الذي خلق السماء و الأرض الذي سدد يدك لضرب رأس قائد أعدائنا"(٤)، وورد في سفر التكوين "تَبَارَكَ الرب إِلَهُ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ الذِي لَمْ يَتَخَل عَنْ لُطْفِهِ وَوَفَائِهِ لِسَيِّدِي"(٥)، ليعبر عن مدى حبه لخالقه ورازقه، وفي البيت الثاني يعبر عن فلسفته القائمة على تمني الموت، فالموت رغم استحسانه له ليس هو الهدف الأساس، فيكفيه عيبٌ أنه موت، وقد يستشف من هذه القطعة الشعرية ما ترمي إليه نفسه من طلب الموت في أنه يتمنى لقاء الذي أحبه وهو الله تعالى، ويلاحظ أن أبا العتاهية يلتقي مع النصوص التوراتية بما يتناسب مع المعتقد الإسلامي، ويترك ما لا يتناسب ومعتقده.

---

(١) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج ٧، ص٧٧.

(٢) السَّيْب: المعروف والعطاء.(كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ج٧، ص ٣١٣.)

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٤٢.

(٤) سفر يهوديت: ١٣/٢٤.

(٥) سفر التكوين: ٢٤/٢٦.

٣- **التناص مع الحديث النبوي الشريف:**

أفاد أبو العتاهية من التناص التركيبي المستمد من الحديث النبوي في إيصال الفكرة للمتلقي، فتراه يُعبر عن مدى حبه لصديقه، وأمانته معه، بقوله:

آمَنْـــــتُ بِـــــــاللهِ وأيْقَنْـــــــتُ ... وَاللهُ حسْـــــبِي حَيْثُمـــــا كُنْـــــتُ
كَـــمْ مِـــنْ أخٍ لـــي خـــانَني وُدُّهُ ... ولا تَبَـــــدَّلْتُ ولا خُنْـــــــتُ
الحَمْـــــدُ لِلهِ عَلـــــى صُـــنْعِهِ ... إنِّـــي إذا عَـــزَّ أخـــي هُنْـــتُ[١]

يستلهم أبو العتاهية المعاني الواردة في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[٢]، ليبين مدى التزامه بمحبة أخيه في جميع حالاته وتقلباته، والشاعر يرد هذا الفضل في كونه صادقاً في محبة أخيه لله فيحمده على صنعته له، وقد يكون هذا الثبات في التعامل رغم اختلاف الأوقات والأحوال ناتجاً من كون الشاعر يعلم بأن الله مطلع عليه دائماً، ولا يخفى على الله شيء بأي حال من الأحوال.

ويستلهم أبو العتاهية نفس التركيب ليدلل على أن الموت يأتي في أي مكان فهو غير مرتبط بمكان أو زمان محددين، يقول مستلهماً هذه المعاني:

ولِـي سـاعةٌ لا شَـكَّ فيهـا وَشـيكَةٌ ... كَـأني قَـدْ حُنِّطْـتُ فيهـا وَكُفِّنْـتُ
ألَـمْ تَـرَ أَنَّ الأَرْضَ مَنْـزِلُ قُلْعَـةٍ ... وَإنْ طـالَ تَعْميـري عَلَيْهـا وَأزْمَنْـتُ
وَإِنِّـي لَـرَهْنٌ بـالْخُطوبِ مُصَـرَّفٌ ... ومُنْتَظِـرٌ كَـأسَ الـرَّدى حَيْثُمـا كُنْـتُ[٣]

والشاعر هنا يستلهم التركيب المستمد من قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٤]، ويستلهم المعنى أيضاً من حديثه -صلى الله عليه وسلم-: "اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[٥]، ليذكر بضرورة أن يضع المتلقي مخافة الله بين عينيه دائماً، لأنه لا يعرف متى تكون نهايته، فرغم ما به من نعيم فإن ذلك ليس بدائم ، لأننا جميعاً إلى فناء.

يظهر من هذا الفصل أن أبا العتاهية قد تأثر بما في ذاكرته من تراكيب دينية في إسعاف نفسه بكلمات توصل المراد من كلامه للمتلقي، مع كون هذه الأبيات أقدر على الالتصاق بالذاكرة، فرسالة أبي العتاهية "كانت ذات هدفين: هدف اجتماعي أخلاقي هو الوعظ والتذكير والتهذيب،

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٨٠.
(٢) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٤٥١.
(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، ص٧٦-٧٧.
(٤) سورة لقمان، الآية ٣٤.
(٥) سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ص٤٥١.

وهدف فني هو التعبير عن النواحي في أسلوب شعري سمح بعيد عن الغريب، يفهمه الجميع، فيتغنى به حين يعمل، ويتأسى به حين يأسى، ويسهل وصوله إلى نفوس أولي الأمر فيتخذون من آياته واعظاً ونذيراً"(١).

بهذا يمكن القول أنَّ التناص الديني كان له حضور كبير في أشعار أبي العتاهية، وأنَّ التأثر بالنصوص الدينية كان واضحاً في أشعاره وهذا نابع من العديد من الأسباب التي يكون أولها الحركة الثقافية في عصره العصر العباسي، وأسلوب الشاعر وبديهته القريبة التي مثلت مرآة تعكس ثقافته وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، ليثبت في ذاكرة التاريخ الوضع الثقافي الذي كان يعيشه أسلافنا في العصر العباسي.

(١) أبو العتاهية حياته وشعره، تح: د. محمد محمود الدُش، ص٤٠٦.

الخاتمة

وتتَضمَّنُ:

١. النتائج.

٢. التوصيات.

الخاتمة

حاولتُ في هذه الدراسة الوقوف على أهم جوانب التناص الديني في شعر أبي العتاهية، بالشرح، والتحليل، لإظهار البراعة الفنية لدى الشاعر في استخدام التراث الديني في إيصال الفكرة الكامنة في داخله إلى المتلقي، ولتظهر الثقافة العميقة والمتنوعة التي يتحلى بها أبو العتاهية، والتي أنتجت مثل هذه الأشعار، بالإضافة إلى قريحة الشاعر السيالة، ولعل أهم النتائج والتوصيات التي خرجتُ بها من هذا البحث ما يلي:

أولًا: النتائج:

١- تناولت الدراسة شخصية تعد من أعلام الشعر ليس في العصر العباسي فقط؛ ولكن في جميع العصور، والدليل أن اسم أبي العتاهية مازال يصدح في الأفاق من جيل لآخر.

٢- تظهر الدراسة المستوى الثقافي الذي تمتع به عامة الناس فضلاً عن شعراء ذاك العصر الذي تنوعت فيه الثقافات وتجمعت فيه الحضارات في مكان واحد، الأمر الذي أنتج شاعر مثقف ومتلقي لا يقل ثقافة عن الشاعر.

٣- كشفت الدراسة عن شخصية أبي العتاهية القلقة المتوترة والخائفة مما بعد الموت، فلا شك أن الموت وما بعده من بعث وحشر سيطر على أشعار أبي العتاهية، فكان النبع الأهم الذي ينهل منه ليعبر عن هذا القلق هو النصوص الدينية؛ فقد وجد فيها ما يبرر هذا الخوف.

٤- يلاحظ تناص أبي العتاهية مع أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومع العديد من شخصيات الصحابة وذكره للأقوام السابقة؛ ليظهر أن الموت حق لابد منه؛ فإن اختلفت الأعمال فالنهاية الأولى واحدة ولابد منها، وقد استلهم أبو العتاهية أحداثاً وقعت في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- إما ليسحبها على واقعه وإما ليتناص معها بشكل اجتراري؛ ليأخذ المتلقي العبرة منها بشكل مباشر.

٥- يلاحظ انحسار التناص مع التوراة والإنجيل في شعر أبي العتاهية، وأنَّ التناصات الموجودة جاءت موافقة لما في القرآن الكريم والسنة، وفي نطاق العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٦- ظهور الأثر الديني في شعر أبي العتاهية رغم القدح في إيمانه من القدماء والمحدثين، مما يُظهر حقيقة إيمان الشاعر.

٧- اختلاف المحدثين والقدماء في حقيقة إيمان الشاعر يترك الباب موارباً للمزيد من الدراسات لتظهر لنا حقيقة إيمان هذه الشاعر.

٨- رغم النفي القائم على أن أبا العتاهية لا يتميع بفلسفة خاصه، إلا أنه عكس العديد من الفلسفات الجارية على ألسنة أصحابها، وما ذاك إلا لسعة ثقافة هذا الشاعر.

ثانيًا: التوصيات:

يوصي الباحث أهل العلم، والباحثين، والمهتمين، بما يأتي:

١- أن ينهل جميع الدارسين من معين اللغة العربية والثقافة الإسلامية، الذي لا ينضب.

٢- الابتعاد عن الأحكام الجاهزة التي ترفع من شخصية أو تضعها، واعتماد الميزان القائم على البحث العلمي البعيد عن التحيز.

٣- دراسة التناص المعرفي في شعر أبي العتاهية، فمن خلال البحث تبين أنه قد تناص مع العديد من أقوال الشخصيات من معاصريه وممن سبقوه.

الفهارس الفنيـة

- فهرس الآيات القرآنيـة.
- فهرس الأحاديث النبويـة.
- فهرس ما أخذ من التوراة.
- فهرس ما أخذ من الإنـجيل.
- المصادر والمراجع.

الآيات القرآنية

الرقم	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	البقرة	٤٤	٤٧
٢	﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	البقرة	٨١-٨٢	١١١
٣	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾	البقرة	٩٦	٥٤
٤	﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	البقرة	١١٧	٢٩
٥	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	١٣٣	٣٦
٦	﴿ إِنَّ اللهَّ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾	البقرة	١٤٣	٧١
٧	﴿ وَمَا اللهَّ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	البقرة	١٤٩	٣١
٨	﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾	البقرة	١٧٧	٤٤
٩	﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهَّ﴾	البقرة	١٨١	٤١
١٠	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	البقرة	١٨٦	٩٦،٨٩
١١	﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾	البقرة	١٩٧	٣٧
١٢	﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾	البقرة	٢١٦	٩٥
١٣	﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ	البقرة	٢٥٦	٣٩

	بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾			
١٤	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾		١٤	٩٧
١٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾		٧٧	٥٠
١٦	﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾		١٠٣	٣٩
١٧	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾		١٥٩	٧١
١٨	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾		١٨٧	٥٠
١٩	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾	النساء	٧٨	٤١-٤٢-٩٥
٢٠	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾		٤٤	٥٠
٢١	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾		١٥٧	١١٣
٢٢	﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾	المائدة	١٣	٥١
٢٣	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾	الأعراف	١١-١٢	٩٧
٢٤	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً		٤٥	٤١-٩٥

	وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾			
٢٥	﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾	التوبة	١٢٨	٧١
٢٦	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾	هود	١٠٦	٣٥
٢٧	﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	الرعد	٢	٨٩
٢٨	﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾		٢٩	١١٦
٢٩	﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	إبراهيم	١	٣٠
٣٠	﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾	الإسراء	٣٧	٤٧
٣١	﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾		٧٨	٤٣
٣٢	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾	مريم	٣٠	٤٤
٣٣	﴿مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾		٣٥	٦٥
٣٤	﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	طه	٧	٣١
٣٥	﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾		١٥	٤٢
٣٦	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾		٥٤	٣٠
٣٧	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾		٥٥	٩١-١١٥
٣٨	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾	الأنبياء	٣٤-٣٥	٤٠
٣٩	﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾	الحج	٢	٣٣
٤٠	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ		٤١	٤٤

	الأُمُورِ﴾			
٤١	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾		٤٦	١١٢
٤٢	﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾		٧٨	٤٤
٤٣	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾	النور	٢	٨٨
٤٤	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾		٣٥	١٢٠
٤٥	﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾		٣٧	٤٥
٤٦	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾		٥٦	٤٤
٤٧	﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾	الشعراء	٨٨-٨٩	٤٢
٤٨	﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾		٢١٥	٤٦
٤٩	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمْ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾	العنكبوت	١٤	٥٤
٥٠	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	لقمان	١٤	ج
٥١	﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾		١٩	٤٦
٥٢	﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾		٣٤	١٢٥،٤١،٢٧
٥٣	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾	الأحزاب	٥٦	٣٠
٥٤	﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾	الصافات	١١	٤٧

٥٥	﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾		٤٨	١٢٢
٥٦	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾	ص	٣٠-٣٣	١٢٣
٥٧	﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾	الشورى	٣٥	٨٣
٥٨	﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	الفتح	١٠	٣٢
٥٩	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	الحجرات	١٣	١٠١،١١٦،٣٨
٦٠	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	ق	١٦	٣١
٦١	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾		١٨	٣١
٦٢	﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾	الذاريات	١٧	٤٥
٦٣	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾		٢٢	٩٠
٦٤	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	الرحمن	٢٦-٢٨	٩٦،٤١،٤٠،٢٨، ١١٦،١١٥،
٦٥	﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾		٧٨	٢٨
٦٦	﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾	الواقعة	٢٣	١٢٣
٦٧	﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾		٥٠	٤١
٦٨	﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	الحديد	٣	٢٩
٦٩	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾		٤	٢٩
٧٠	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	الجمعة	٢	٢٩
٧١	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾		٦	٥٢

٧٢	﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾		٨	٤٢
٧٣	﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾	التغابن	٩	٣٣
٧٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم	٤	٤٦
٧٥	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾	الحاقة	٤-٦	٤٩
٧٦	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)﴾		٦-٨	٨٩
٧٧	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾		١٩	٣٤
٧٨	﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾		٢٥	٣٤،٣٥
٧٩	﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾		٣١	٣٣
٨٠	﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾	الجن	٣	٢٨
٨١	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	المدثر	٧	٧٤
٨٢	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾	القيامة	٢٢	٣٦
٨٣	﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾		٢٦-٣٠	٨١
٨٤	﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾	المرسلات	٧	٨٩
٨٥	﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	الأعلى	٣	٢٩
٨٦	﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	الزلزلة	١	٣٣-٨٢
٨٧	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	الماعون	٤-٥	٤٣
٨٨	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	الإخلاص	١-٤	٣٢، ٥٩، ٨٨

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث	الرقم
٦٤-٦٥	"أكثروا ذكر هادم اللذات"	١
٦٦	...أو الدجال فشر غائب يُنتظر"	٢
٦٦-١٠٢	"إنَّ الله عز وجل أوحى إليَّ أن تواضعوا...	٣
٦٨	"لا تحقرن من المعروف شيئا...	٤
٦٨	"أحب لأخيك ما تحب لنفسك"	٥
٦٨	" أفضل الفضائل أن تصل من قطعك...	٦
٦٩	"من يُحرم الرفق يُحرم الخير"	٧
٧٤	"إن العين تدمع...	٨
٧٦	"إنَّ عبدا من عباد الله خيره الله...	٩
٨٨	"إذا أصاب أحدكم مصيبة...	١٠
٤٥	"إنَّ الله قال: من عادى...	١١
٥٢	" والذي نفسي بيده لا يقولها أحد...	١٢
٦١	"إنما لك من مالك ما أكلت...	١٣
٦٢	" لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ...	١٤
٦٣-٩٥	" لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ ...	١٥
٦٤	عجبا لأمر المسلم إنَّ أمره كله خير..	١٦

١٧	" من أصبح منكم معافى في جسده...	٦٤-٩٥
١٨	"لو أنكم تتوكلون على الله...	٦٢
١٩	" كلكم لآدم وآدم من تراب"	٦٣
٢٠	"إنَّ هذا الدين متين	٦٣
٢١	" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...	٩٥- ١٠٣
٢٢	"تهادوا تحابوا"	٩٦
٢٣	"كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"	١٠١
٢٤	"لو تكاشفتم ما تدافنتم"	١١٤
٢٥	"كرم المرء دينه...	١١٧
٢٦	"كلكم لآدم وحواء كطف الصاع...	١١٧
٢٧	" إِنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا"	١١٢
٢٨	إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْه"	١١٢
٢٩	"... وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَات	١١٤
٣٠	" اثبت أحد ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان"	١١٩
٣١	"ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار"	١١٩
٣٢	"اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"	٦٣-١٢٦
٣٣	"إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"	٣٥

فهرس ما أخذ من التوراة

الرقم	النص	السفر	رقم الصفحة
١	إنما الموت يفصل بيني وبينكم	راغوث	٥٢
٢	" وسار اخنوخ مع الله ولم ...	التكوين	٥٢
٣	"بالإيمان نقل أخنوخ كي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله"	التكوين	٥٢
٤	" زبدا وعسلا يأكل...	إشعياء	٥٣
٥	" وعاش نوح بعد الطوفان...	التكوين	٥٤
٦	"طوبى للإنسان المتقي دائما أما المقسى قلبه فيسقط في الشر"	الأمثال	١١٧
٧	" تبارك الرب الذي خلق السماء و الأرض الذي سدد يدك لضرب رأس قائد أعدائنا"	يهوديت	١٢٤
٨	"تَبَارَكَ الرب إِلَهُ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ الذِي لَمْ يَتَخَل عَنْ لُطْفِهِ وَوَفَائِهِ لِسَيِّدِي"	التكوين	١٢٤

فهرس ما أخذ من الإنجيل

الرقم	النص	الإنجيل	رقم الصفحة
١	"وكان المجتازون يُجدفون...	مرقس	٥٧،١١٤
٢	"فإنَّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله."	رسالة بولس الرسول الأولى	٥٧
٣	"حلو الدنيا مُر الآخرة ...	مرقس	٥٧
٤	"بالحق قلت لأنه الله واحد...	مرقس	٥٨
٥	"حينئذ قال له يسوع...	متى	٥٨-٥٩

٦	"إنه وُلد لكم اليوم...	لوقا	٥٨
٧	"فمن أين لي هذا...	لوقا	٥٨
٨	"سمعتم انه قيل تُحب قريبك وتبغض عدوك	متى	٦٧
٩	"لا تدينوا لكي لا تدانوا ...	متى	٨٤
١٠	"ولماذا تنظر القذى الَّذي في عين أخيك...	متى	٩٢
١١	"فاعلموا جميعا، وليعرف شعب إسرائيل كُلهُ ...	أعمال الرسل	٩٩
١٢	"وشرح لهم مبيناً أن المسيح كان لابُد أن ...	أعمال الرسل	٩٩
١٣	"احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم ...	أعمال الرسل	١٠٠
١٤	"أيُّما أيسر أن يُقال مغفور لك خطاياك، أم أن يقال قُم وامشِ.. سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا"	متى	١١٢
١٥	" رأى يوحنا يسوع آتياً نحوه، فهتف قائلاً : "هذا هو حمل الله الذي يُزيل خطيئة العالم"	يوحنا	١١٣
١٦	"طوبى للأنقياء القلب ...	متى	١١٧

المصادر والمراجع

المصادر

*** القرآن الكريم كلام رب العالمين.**

*** التوراة.**

*** الإنجيل.**

*** أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تح: د. شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.**

*** ديوان أبي العتاهية، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص١٧٢.**

١- الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د. ت).

٢-البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣- بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تح: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤- البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.

٥- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٦- تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد، تح: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ.

٧- تاريخ مدينة السلام، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٨- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٩- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٠- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١١- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢.

١٢- تفسير اللباب، أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

١٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٥- الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختنا أحمد الندوي، الدا السلفية، بومباي- الهند، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٦- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للأمام الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي، تح: مجدي منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

١٧- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تح: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٨- الزهد، عبد الله بن المبارك المرزوي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٨٦هـ.

١٩- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٢٠- سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجة)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الرياض- السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

٢١- سنن الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٢- سنن النسائي المسمى بالمجتنى، للإمام أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، تخريج وترقيم وضبط: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٢٣- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وأخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، ط١١، .- ٢٠٠١م.

٢٤- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٦- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٧- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجُعفي، دار الحديث، القاهرة- مصر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢٨- صحيح مسلم، للأمام أبي الحسين مسام بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٩- طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، تح: عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٣.

٣٠- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تح: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف- الرياض، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٣١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٢- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

٣٣- فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٤- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تح: محمد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٥- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوراني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٣٧- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٨- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين بر رجب الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٣٩- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ.

٤٠- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٤١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٢- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادي، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

٤٣- مروج الذهب في معادن الجواهر، للمؤرخ ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تح: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م.

٤٤- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٥- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح، تح: سعد حسن محمد، مكتبة الصفا، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، المشرف العام على هذه الموسوعة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٧- مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي ، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٤٨- مسند الربيع بن حبيب، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، تح: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٩- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د. ت).

٥٠- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.

٥١- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١.

٥٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٥، ٢٠١١م.

٥٣- الموشح مآخذ العُلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ١٣٨٥هـ.

٥٤- نزهة الألباب في الألقاب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٥٥- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط١٤٢٠،١هـ- ٢٠٠٠م.

٥٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت- لبنان.

٥٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، تقديم: محمد عبد الحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

المراجع

٥٨- آفاق التناصية المفهوم والمنظور، ترجمة وتقديم: د. محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٥٩- أبو العتاهية حياته وشعره، د. محمد محمود الدّش، دار الكاتب العربي، القاهرة- مصر، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٦٠- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ.

٦١- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، دار الشروق، عمان- الأردن، ط٢، ١٩٩٢م.

٦٢- أثر القران الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول(رسالة ماجستير) ، هالة فاروق فرج العبيدي، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦٣- أثر القرآن الكريم والسنة في شعر أبي العتاهية، د. محمد علي الهرفي، دار الإصلاح للطباعة والنشر والتوزيع، الدمام- السعودية، ١٩٨٩م.

٦٤- أدب الزهد في العصر العباسي (نشأته وتطوره وأشهر رجاله)، د. عبد الستار متولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٤م.

٦٥- أدونيس منتحلاً، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التناص؟، كاظم جهاد، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٣م.

٦٦- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- ليبيا، ط١، ١٩٧٨م.

٦٧- الأسس الجمالية في النقد الأدبي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٢م.

٦٨- اسلاميات أحمد شوقي (دراسة نقدية)، د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم، تقديم ومراجعة: د. سهير القلماوي، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٨٧م.

٦٩- استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، د. إخلاص فخري عمارة، دار الأمين، الجيزة- مصر، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧٠- إشكالية التلقي والتأويل، د. سامح الرواشدة، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان- الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٧١- إضاءة النص (قراءات في الشعر العربي الحديث)، اعتدال عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٨م.

٧٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٧٣- أعلام الفكر العربي "أبو العتاهية"، د. هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٧٤- انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.

٧٥- تاريخ الأدب العربي، د. بلاشير ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة- دمشق، ١٩٧٣م.

٧٦- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٨، ١٩٧٢م..

٧٧- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٢، (د. ت).

٧٨- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م.

٧٩- تحولات النص، بحوث ومقالات في النقد الأدبي، د. إبراهيم خليل، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، ط١، ١٩٩٩م.

٨٠- ترويض النص، حاتم الصكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٨١- التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٦، ١٩٥٩م.

٨٢- التناص التراثي في الشعر المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.

٨٣- التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات الشعرية، مصطفى السعدني، منشأة المعارف بالإسكندرية- مصر، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٨٤- التناص في ديوان لأجل غزة (رسالة ماجستير)، حاتم عبد الحميد محمد المبحوح، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٨٥- التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم الداهون، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١١م.

٨٦- التناص في شعر الرواد، د. أحمد ناهم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٨٧- التناص في الشعر العربي الحديث -البرغوثي نموذجاً-، حصة البادي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان- الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٨٨- التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ليديا وعدالله، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٨٩- التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، ط١، ١٩٩٥م.

٩٠- ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، عبد الله الغذامي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط٢، ١٩٩٣م.

٩١- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٩٢- جمع الوسائل في شرح الشمائل، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، المطبعة الشرفية – مصر، (د. ط)، (د. ت).

٩٣- حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (ثلاث رسائل دكتوراه)، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٥م.

٩٤- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، عبد الله الغذامي، النادي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٨٥م.

٩٥- الخطيئة والتكفير والخلاص(الخطاب الشعري عند الشاعر محمد حسيب القاضي) دراسة نصانية، مي عمر نايف، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة- فلسطين، ط١، ٢٠٠٢م.

٩٦- الرمز ودلالته في الشعر العربي الفلسطيني الحديث دراسة تحليلية فنية لشعر محمود درويش وسميح القاسم وفدوى طوقان (أطروحة دكتوراه)، د. محمد مصطفى كلاب، جامعة الفاتح- كلية الآداب، ليبيا، ٢٠٠١م.

٩٧- السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٩٨- الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها (٣- الشعر المعاصر)، د. محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط٣، ٢٠٠١م.

٩٩- الشعر والتلقي، دراسات نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، ط١، عمان- الأردن، ١٩٩٧م.

١٠٠- علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٩١م.

١٠١- في حداثة النص الشعري (دراسات نقدية)، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

١٠٢- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

١٠٣- في معرفة النص، يمنى العيد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.

١٠٤- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث (دراسات أدبية)، د. محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١٠٥- قراءات في الشعر العربي المعاصر، د. على عشري زايد، دار الفكر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

١٠٦- لذة النص، رولان بارت، تر: د. منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، سورية، ط١، ١٩٩٢م.

١٠٧- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م

١٠٨- المبدأ الحواري ميخائيل باختين، وتزفيتات تودروف، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٩٦م.

١٠٩- مدخل للسانيات سوسير، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م.

١١٠- المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع٢٣٢، نيسان ١٩٩٨م

١١١- المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري، دار صفاء للنشر والتوزيع- مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١١٢- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١١٣- نظرية التناص، جرهام ألان، تر: د. باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، ط١، ٢٠١١م.

١١٤- هكذا تكلم النص (استنطاق الخطاب الشعري لرفعت سلام)، د. محمد عبد الطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

المجلات والدوريات

١١٥- التناص (النشأة والمفهوم) جدارية محمود درويش (نموذجاً)، إيمان الشنيني، مجلة أفق الثقافية (الاثنين، ١٥-١٠-٢٠١٣م).
http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=print&sid=1382

١١٦- التناص التاريخي والديني: مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية "رؤيا" لهاشم غرايبة، أحمد الزغبي، مجلة أبحاث اليرموك، مج١٣، ع١، إربد- الأردن، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١١٧- التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، شربل داغر، مجلة فصول، م١٦، ع١، صيف ١٩٩٧م.

١١٨- التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر، د. عزة محمد جدوع، مجلة فكر وإبداع، ع٩، الكويت، ١٩٥٣م.

١١٩- مفهوم التناص في اللغة، د. ناصر علي، مجلة الثقافية، ع٦١، كانون الثاني، نيسان ٢٠٠٤م.

فهرست المحتويات

المقدمة...خ
التمهيد:...٣
اسمه:...٣
سبب كنيته: ٤
أصله:...٤
أوصافه:...٥
صنعته:...٥
مذهبه وفلسفته:...٦
اتهامه بالبخل:...٩
احتضاره:...١٠
وفاته:...١١
الفصل الأول (مفهوم التناص)...١٤
أ- التناص لغة:...١٤
أولاً: التناص عند النقاد العرب:...١٥
ثانياً: التناص عند النقاد الغربيين : ٢١
الفصل الثاني (مصادر التناص الديني عند أبي العتاهية)...٢٦
أولاَ: التناص مع القرآن الكريم: ٢٦
ثانياً: التناص مع التوراة:...٥١
ثالثاً: التناص مع الإنجيل: ٥٦
رابعاً: التناص مع الحديث الشريف:...٦٠

خامساً: التناص مع السيرة النبوية:.................................. ٧٠
الفصل الثالث (آليات التناص).. ٧٩
أولاً: التناص الاجتراري/ الاقتباسي:................................... ٨٠
ثانياً: التناص الامتصاصي/ الإحالي: ٨٧
ثالثاً: التناص الحواري/ الإيحائي:.................................... ٩٥
الفصل الرابع (مستويات التناص) ١٠٨
أولاً: المستوى الإفرادي: ١٠٨
ثانياً: المستوى التركيبي: ١٢٠
الخاتمة ١٢٧
أولًا: النتائج:.. ١٢٨
ثانيًا: التوصيات: ١٢٩
الفهارس الفنية ١٣٠
المصادر والمراجع.. ١٤١
فهرست المحتويات ١٥٤